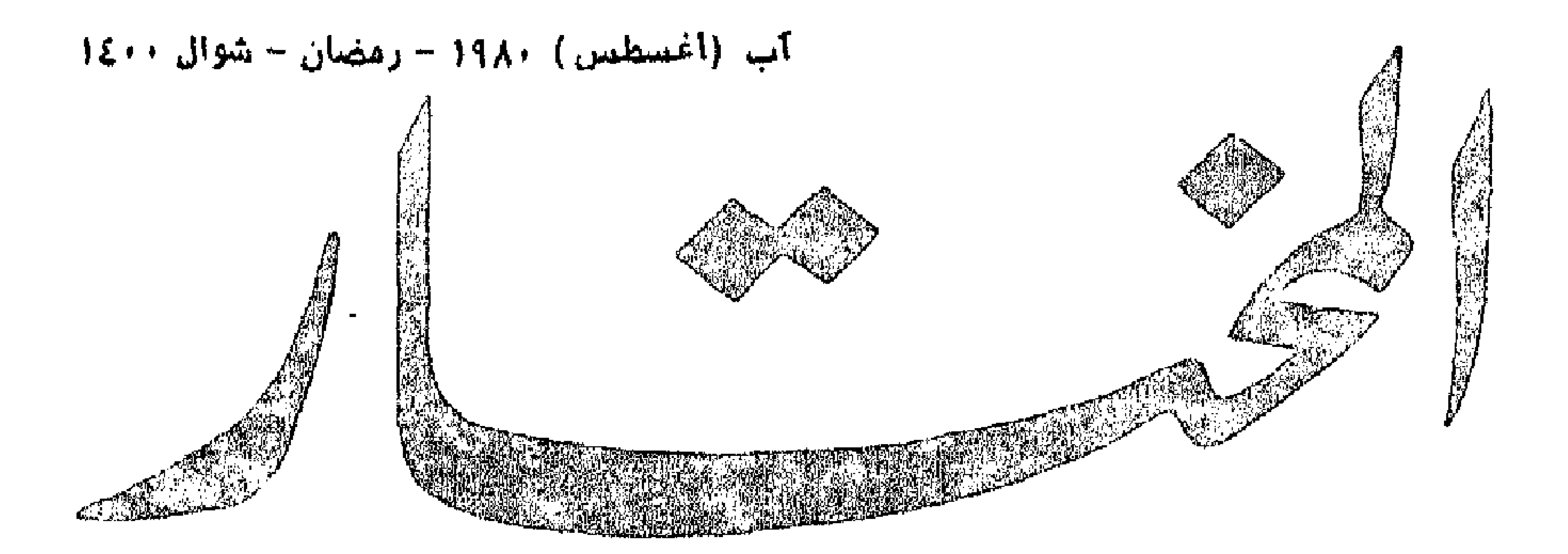


AL MUKHTAR min Reader's Digest August 1980 Nº 21

آب (اغسطس) ١٩٨٠ - رمضان - شوال ١٤٠٠





من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٧٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٤د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د



أكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

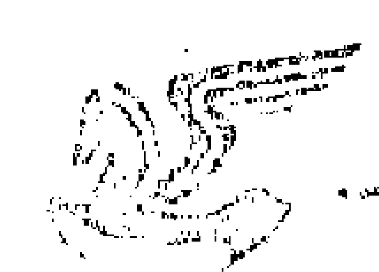
يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

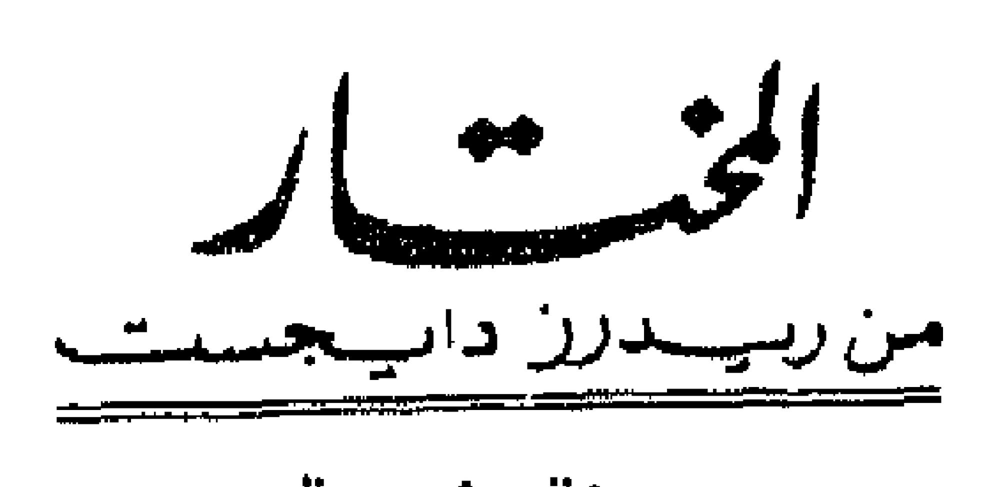
- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك حديقة أفكار...).
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
37, Avenue George V
75008 Paris, France


فاخرة،
أنيقة، مثيرة.
ساعات سيكو ٥ الجديدة
ذات القرص البرّاق.
سيكو
SEIKO





مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
رئيس التحرير المعاون: رمزي بخعازي.
امانة التحرير: راغدة حداد.
الاخراج: امل الزين عيد.

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا.
مدير التحرير: آلان دوليرو.

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.
الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية - بيروت.
الخدمات الصحافية:
شركة النهار ش.م.ل. بيروت.
التحرير:
شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية ص.ب ٢٢٦ - ١١ (التلكس الموقت) ٢٢٣٤٤ بيروت.
الادارة والاعلانات والاشتراكات:
شارع المقدسي، بناية الشرتوني - الطبقة السادسة التلكس LE ٢٢٢٨٨ ص.ب ٨٧٠٧ - ١١؛ التلفون ٣٤١٥٩٧ - ٣٤٥٧٣١

توجه المراسلات والاشتراكات الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE

الصف والتنفيذ:
المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

الغلاف: الطاووس.

AL MUKHTAR min Reader's Digest
August 1980 No 21 (New Series). Vol. 2

POLIGRAFICI EDITORIALE SPA — PRINTED IN ITALY

الحلم والأمل

منذ مباشرتنا تحضير هذا العدد من "المختار"، وهو الاول الذي يصدر من بيروت، غمرنا الشعور نفسه الذي احسسنا به ونحن نحضّر العدد الاول من المجلة في باريس قبل عامين. وهو شعور القلق الذي يرافق كل ولادة جديدة. القلق الذي تولده الرغبة في ان يأتي العمل كاملا، مرضياً ومحققاً للآمال.

وكان همنا الرئيسي ان يكون مناخ بيروت مناسباً للمجلة والعاملين فيها، وان يكون الانتقال من باريس الى بيروت حقق فعلا الامنية التي نشدتها "المختار"، اي العودة من الغربة الى الوطن.

... وتمت العملية بنجاح، وها هو المولود يتجاوز مرحلة القلق ويحمل الفرح الى اهله وعائلته الكبرى المنتشرة فيارجاء العالم العربي وخارجه.

الا ان انتقال المجلة من فرنسا الى لبنان ترتبت عليه مجموعة من التضحيات ابرزها انفصال جزء من السرب الذي انطلقنا به من باريس والذي لولاه لما كان لنا "المختار" الذي نعرف. فمن بين مجموعة الكفايات التي تحلقت حولنا هناك من لم تسمح له ظروفه بالعودة معنا الى بيروت فبقي في باريس صديقاً للمجلة وقارئاً ناقداً، غيوراً على مصالحها. كما ان هناك من ترك كل شيء في باريس وتبع "المختار" الى حيث استقرت في بيروت مكملا الرحلة الطويلة مع رفقاء جدد.

فالى الذين بقوا في باريس نقول ان فضلكم على المجلة كبير، واننا نعاهدكم الوفاء لكل ما جمعنا بكم وشدنا اليكم، اما الذين انضموا الينا حديثاً فنقول لهم، ان رحلتنا طويلة وانكم مطالبون بتضحيات كبيرة لاستحقاق ثقة القراء وتقديرهم، فهما الحلم والامل بالنسبة الينا جميعاً.

رئيس التحرير.

قرن البوظة
ابتكار سوري

هناك اشخاص اصحاب مشاريع
طريفة، تخلو المراجع من اسمائهم
الا انهم موجودون في واقع الحياة اليومية

القرن السوري ـ كان ارنست حموي، وهو بائع فطير ولد في دمشق، قد حصل على ترخيص لبيع الزلابية (كعكة فارسية رقيقة تقدم مع السكر أو غيره من المحليات) في معرض سان لويس الدولي عام ١٩٠٤، وعلى خطوات منه كان هناك كشك لبيع الجيلاتي (البوظة) في اطباق صغيرة. وفي يوم صيف نفدت الأطباق لدى بائع الجيلاتي. فاذا بحموي يتناول الزلابية الساخنة ويجعلها في شكل قمع، ويدعها تبرد ثم يفرغ فيها ملعقة من الجيلاتي. وقد حقق الابتكار الذي سمي "قرن السوق الدولي" ـ وسمي لاحقاً "قمع الجيلاتي" (قمع الآيس كريم) ـ نجاحاً فورياً.

حلقات النعناع ـ كان كلارنس كرين يعمل أساساً في مجال صناعة الشوكولاتة. الا ان شدة الحرارة في أشهر الصيف كانت تسيل انتاجه فتهبط نسبة المبيعات. لذلك اتجه كرين الى اختصاص آخر مارسه في فترة الصيف، اذ اخذ ينتج نوعاً من حلوى النعناع. واستعان بصاحب مصنع اقراص الدواء لكبس النعناع في شكله الخاص. وحالت بعض العقبات الآلية دون انتاج النعناع على شكل مستديرات بسيطة، فجعله كرين على شكل حلقات طرحها في الأسواق

Condensed from «Felton & Fowler's Famous Americans You Never Knew Existed», copyright 1979 by Bruce Felton and Mark Fowler, published by Stein & Day, Briarcliff Manor, N.Y.

عام ١٩١٢، تحت اسم «Life Savers» (المنقذون). ومنذ ذلك الحين تم بيع ٢٩ مليار لفة منها.

عربة التسوق – في العام ١٩٣٧ ابتكر رجل من مدينة اوكلاهوما، يدعى سيلفان غولدمان، عربة التسوق، اذ انه كان يتألم – وهو صاحب شبكتين من المحلات الكبيرة (السوبرماركت) – كلما رأى الزبائن يتجهون الى نقاط الدفع من غير ان يملأ الواحد منهم سوى سلة واحدة. اما الآن فقد أصبحت تلك العربة أهم واسطة نقل على اربع عجلات؛ من حيث الانتشار، بعد السيارة. وقد حصل المعهد السميثوني على احدى عربات التسوق الأصلية لضمها الى معروضاته.

واقية الاذن – في العام ١٨٧٣ تلقى تشستر غرينوود – وكان في الخامسة عشرة من عمره – مزلجين كهدية عيد الميلاد. فهرع بحماسة الى البركة المتجمدة ليجربهما. الا أن اذني تشستر كانتا حساستين للبرد، فلم تمر بضع دقائق حتى عاد الى المنزل وأذناه تؤلمانه كثيراً.

وبعد محاولات عدة جرب فيها تشستر تشكيلة من اغطية الرأس، توصل الى وقاء الأذن المثالي ضد البرد، وهو قطعتان من القماش تتصلان بسلك رفاص في شكل نصف دائرة. وما لبثت والدة تشستر وجدّته أن انشغلتا بانتاج اغطية واقية لاذان جميع جيرانها من بلدة فارمينغتون الصغيرة في ولاية مين، بينما سجل المخترع الشاب براءة اختراعه تحت اسم "ابتكار غرينوود الرائد لحماية الآذان"، تحت الرقم ١٨٨،٢٩٢. وهكذا أصبحت فارمينغتون عاصمة العالم لوقاية الآذان، وصار تشستر غرينوود صاحب ملايين.

الكوكتيل – ظهر "الكوكتيل" للمرة الاولى في حانة صغيرة في مقاطعة وسنسستر (ولاية نيويورك) خلال الثورة ضد السلطات البريطانية. ويرجع الفضل في ابتكار ذلك الشراب، الذي يعد من خمور مختلفة، الى ساقية الحانة، واسمها بيتسي فلاناغان، التي مزجت أول كوكتيل اعدته بريش من ديك الجيران. وكانت مجموعة ضباط تجلس على البار في انتظار المشروبات التي كانت بيتسي تعدها. فلما قدمتها اليهم اقترح أحدهم، وهو فرنسي، ان يشرب الجميع نخب "الكوكتيل" (بالانكليزية ذيل الديك). وهكذا اطلق الاسم على المشروب.

رقاقات البطاطا – كان أحد هنود أمريكا، ويدعى جورج كرام، أول من خرط رقاقات البطاطس (البطاطا). ففي العام ١٨٥٣ كان كرام يعمل طباخاً في مطعم أنيق في بلدة ساراتوغا سبرينغز (ولاية نيويورك). وذات مساء رفض ضيف صعب الارضاء قبول البطاطس المحمرة مرات عدة لأنها "اكثر سماكة من اللازم". فأمسك كرام بالبطاطس وخرط منها رقاقات في سماكة الورقة، ثم غطسها في الزيت المغلي، فكانت النتيجة رقاقات ذهبية ملتوية أعلن الزبون العنيد أنها لذيذة. وقد عرف هذا الصنف حتى

بداية هذا القرن باسم "ساراتوغا تشيبس"، الا أنه سمي لاحقاً "تشيبس البطاطس، أي رقاقات البطاطس.

ورق التواليت — في العام ١٨٥٧ انعم جوزف غاييتي، من أهالي نيويورك، على العالم بورق المرحاض (التواليت) الذي طرحه في الأسواق تحت اسم "ورق غاييتي الطبي — صنف في منتهى النقاء من مستلزمات الحمام". وكانت كل ورقة تصنع من القنب غير المصبوغ المستورد من مانيلا، والذي كتب عليه غاييتي اسمه بطريقة التمويج المائي. وقد سعرت العلبة، التي تحتوي على ٥٠٠ ورقة، بنصف دولار.

دب الرئيس — عندما ذهب الرئيس الامريكي الراحل تيودور روزفلت الى ولاية مسيسيبي عام ١٩٠٢ للمساهمة في حل الخلاف الجاري على الحدود بين تلك الولاية وولاية لويزيانا، انتهز الفرصة لممارسة رياضة صيد الدببة. فأطلق المرشد كلاب الصيد على دب عجوز اعرج، فساقته الى زاوية تمكن المرشد فيها من ربطه بشجرة ليكون هدفاً سهلا للرئيس. الا ان روزفلت رفض اطلاق الرصاص على الحيوان الأعزل. فاستوحى رسام كاريكاتور من الحادث صورة نشرها في الجريدة اليومية. فلما رآها موريس ميتشوم، وهو صاحب محل لعب وحلوى، خطر له ان يبتكر لعبة على هيئة حيوان بني اللون ذي أطراف متحركة وعينين من أزرار.

ولما انتهى ميتشوم من صنع اللعبة ووضعها في واجهة العرض مع صورة كاريكاتورية وعبارة **«Teddy's Bear»** (دب تيدي، أي تيودور روزفلت)، كتب ميتشوم الى الرئيس روزفلت يستأذنه استخدام اسم "تيدي" كعلامة تجارية للعبة. فأجابه الرئيس بخط يده: "أشك في ان يكون لاسمي أثر في ترويج تجارة الدببة، ولكن في امكانك أن تستخدمه اذا شئت". ولم تنقض أربع سنوات حتى كان "تيدي بير" يكتسح اسواق اللعب في الولايات المتحدة.

■ **بروس فلتون ومارك فاولر**

"النتيجة المشرفة"

قبل حلول عيد الام ببضعة ايام، جرت مناقشة في الصف حول افضل الطرق لاسعاد الأم. والفكرة التي نالت اكبر استحسان كانت: "لا تحمل سجل علاماتك الى البيت في نهاية العام".

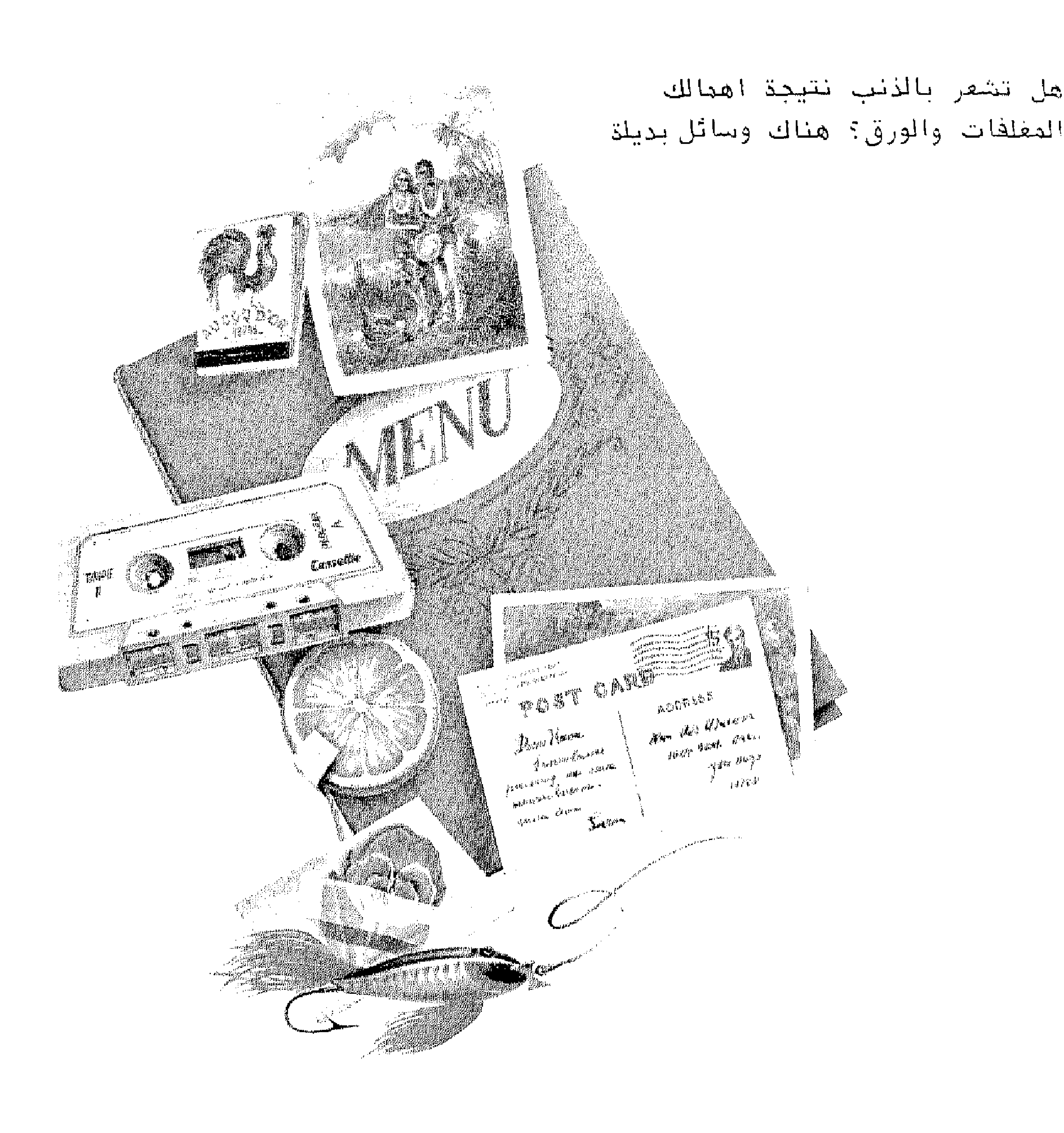
ش.ش.

خيط رفيع

بين الشجاعة والحماقة خيط رفيع، ليته كان سياجاً.

ج.ف.

هل تشعر بالذنب نتيجة اهمالك المغلفات والورق؟ هناك وسائل بديلة



هناك اساليب متنوعة لاستخلاص الرسائل من المتقاعسين عن الكتابة. وقبل فترة غير بعيدة قرأت الاعلان الآتي في صحيفة للطلاب: "عجوز قصيرة ولطيفة ترغب في مراسلة طالب طوله ١٨٢ سنتيمتراً، بني العينين، الحروف الاولى من اسمه ج.د.ب. التوقيع: امه!"

وذات مرة راهن الكاتب الشهير اندرو كارنيغي بمبلغ مئة دولار على اغراء ابن اخيه الذي لا يحب المراسلة على الكتابة اليه، فبعث الى الصبي برسالة حافلة بالدعابة والمرح، وأنهاها بالآتي: "طيه خمسة دولارات"، من غير ان يرفق أي نقود برسالته. واذا به يفوز باجابة كئيبة

Condensed from Woman's Day (November' 75), copyright 1975 By Fawcett Publications Inc. New York, N.Y.

A winning combination to America has finally come up.

Most gamblers can't wait to try their luck.

So if you're planning a trip to America and gambling is included, your best bet is to fly there on one of our magnificent 747's.

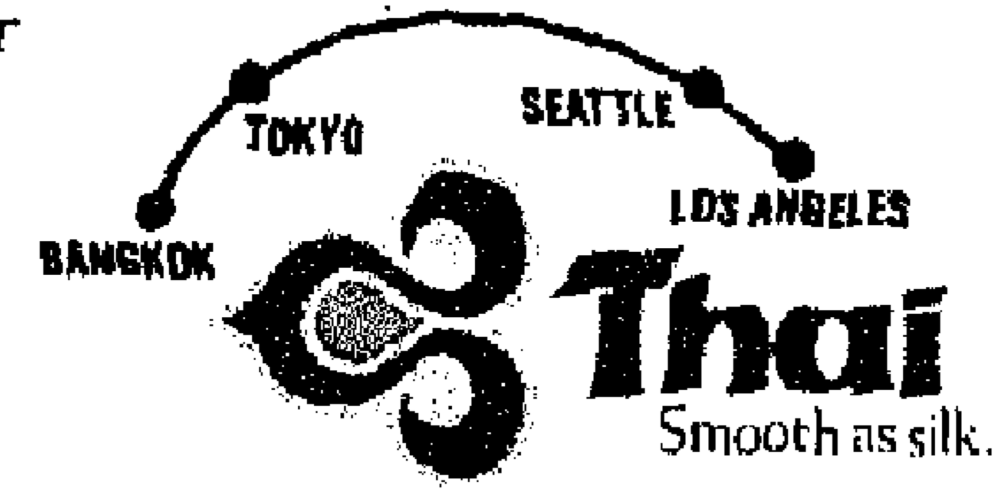
For a start, we can get you there over an hour faster, because Seattle is 432 miles closer to Tokyo than other west coast airports.

From Seattle you're closer to the action, too.

The airport is less congested than others on the west coast, so the odds are you'll be quicker off the plane, quicker through immigration and quicker with your onward connections.

Whether you're reclining on a slumber seat in First Class, savouring the quiet of our Business Class, or enjoying our famous Royal Orchid Service in Economy, you'll arrive in good shape for the business at hand.

All things considered, you'll hit the jackpot when you put your money on Thai.



على جناح السرعة: "عمي العزيز اندرو..."

وجدير بالذكر أن الكسل في كتابة الرسائل ليس بالظاهرة الجديدة. فقبل نحو ألفي عام عاتب الكاتب الروماني بلينوس الأصغر أحد مراسليه المتخاذلين بقوله: "اذا صح انه ليس هناك ما تكتب عنه، فاكتب واخبرني انه ليس هناك أمر للكتابة عنه!"

١. البطاقات البريدية.

للبطاقة حيز محدود. وفي امكانك ان تكرس جانباً كبيراً منه للحديث عن الصورة على الوجه الآخر. ويمكنك ايضاً الكتابة بأحرف كبيرة. وما عليك الا ان تحمل بطاقات عليها طوابع بريدية داخل حقيبة اليد. وكلما خطرت لك ملاحظة طريفة وانت في حافلة النقل أو في غرفة انتظار طبيب الاسنان او في أي مكان آخر، فأسرع الى تدوينها.

٢. الجعبة البريدية.

لهذا النوع الغريب من فنون المراسلين الكسالى أتباع عديدون. ومن هؤلاء عالم طبيعة يؤثر الصمت ويرسل الى زملائه قشوراً من جذع شجرة او أزهاراً نادرة مجففة. وبعد متعة البحث السريع عن مرسل تلك الاشياء الطريفة، تسمع كلا منهم يتمتم: "ألا ترى ان سليماً كان يقضي وقتاً في الجبال؟"

وهناك صياد قوي، الا انه قليل الكلام، يقشر بعض حراشف مثيرة للاعجاب عن سمكة فضية ضخمة ويرسلها الى اصدقائه الذين يحسدونه.

والخبير في اختيار المآكل قد يبعث الى اصدقائه بمنافض سجائر خفيفة وعلب كبريت تذكارية من فندق شهير، اضافة الى لائحة الطعام. فاذا كان الطعام رديئاً عمد الى شطب القائمة بخطين متقاطعين، واذا كان جيداً وضع طيها شريحة ليمون دلالة على جودة الطهو.

٣. بطاقات التحية.

في ايامنا هذه هناك بطاقة لكل مناسبة، من فرح وتهنئة الى حزن وتعزية، ومن معايدة قريب او صديق بلغ السابعة والستين الى المشاركة في الحزن على موت سمكة ملونة عزيزة!

٤. الرسائل الصوتية.

نظراً الى توافر الوف آلات التسجيل والأشرطة، لن يتعذر على احد ان يسجل رسائله او ان يستمع الى شريط سجله سواه. ولا داعي الى اعداد خطاب رسمي. بل ان تسجيل اجتماع افراد الاسرة حول مائدة الطعام، مثلا، أو تسجيل حفلة صغيرة في حضور الجيران، هو كل ما تحتاج اليه.

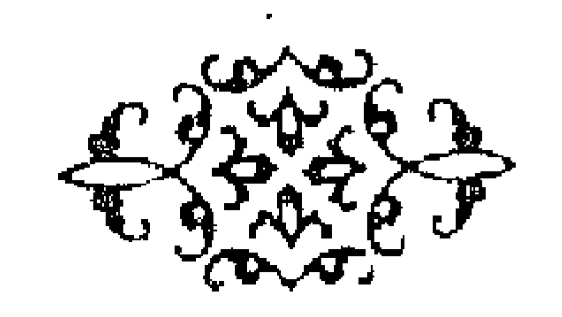
٥. الصور الفوتوغرافية.

ما عليك الا التأكد من ان الصور مأخوذة عن قرب وانها واضحة وتمكن رؤية تفاصيلها. ويجب ان تروي كل صورة قصتها. فهناك، مثلا، ام كابدت طوال عشر سنين أعباء غسل أقمطة اطفالها الثمانية. ولما تجاوز اصغرهم مرحلة استعمال القماط، ارسلت تلك الأم الى أهلها صورة لحبل الغسيل وقد خلا من كل شيء سوى علم رفعته فوقه. ولم يكن اهلها في حاجة الى اي تعليق بالكلام.

٦. القصاصات.
من غير كتابة كلمة واحدة، يمكنك ان تبلغ اسرتك انك انتخبت رئيساً لنادي الفتوة او انك كنت في عطلة مدرسية. وقد توجه قصاصة الى جدتك تقرأ فيها بافتخار ان حفيدها وحفيدتها يحتلان لائحة الشرف المدرسية.

٧. الهدايا.
كم من مرة شاهدتر في واجهة احد المحلات الهدية المثالية لعمتك مثلا، بثمن زهيد والآن مر عيد ميلادها وما زالت هناك أشهر قبل ان تحين مناسبة اخرى للتهنئة، علماً انك مدينة لها برسالة. لم لا تشترين الهدية وترسلينها، بغض النظر عن وجود مناسبة، وترفقين معها كلمات مقتضبة: "اظن ان هذه تناسبك"؟ إن العمة ستغفر لك على مدى سنوات عدم محافظتك على المراسلة.

■ ج. ماكستون غراهام



اختلاف فطري

سألتني صديقة عما اذا كنت اظن ان هناك اختلافاً كبيراً بين تصرف البنات والصبيان الصغار. فأخبرتها عن الاحتفال الاول بعيد ميلاد ابنتي.

لقد اهدى اليها جدها وجدتها في تلك المناسبة عربة للعبة. فما كان منها الا ان وضعت فيها احدى لعبها الجديدة واخذت تدور بها حول الغرفة. وكان في الحفلة صبي صغير عبّر عن افكاره بطريقة مختلفة كلياً. فقد قلب العربة رأساً على عقب وحاول ان ينتزع عجلاتها.

ج.غ.ب.

كبار وصغار

سُمح لطفلة بالجلوس على درج المنزل فترة قصيرة حين دعا اهلها عدداً كبيراً من الأصدقاء الى حفلة استقبال. وفي اليوم التالي سُئلت عن رأيها في الحفلة، فأجابت: "لقد شعرت، وسط ذلك الضجيج، بأني في الحافلة التي تنقلني الى المدرسة".

ي.م.و.

الله يسعدهم ويبعدهم

وجدت امرأة اغراض منزلها مبعثرة بعدما قضت ساعات طويلة تعتني باحفادها، وأخذت تتمتم: "يشهد الله على اني مستعدة لاقتسام آخر لقمة من خبزي معهم، بشرط ان يحملوها الى بيتهم ليأكلوها هناك".

ا.س.س.



أصداء من عالم الطب

الكف عن جراحة تغيير الجنس

"متبدلو الجنس" هم الذين يصرون على اعتبار انفسهم منتمين الى الجنس الآخر. ويعرض الآلاف منهم حالياً انفسهم لجراحات عنيفة من اجل اكتساب هوية "جنسية" جديدة.

هذه الجراحات كانت مثار جدل دائم بين الاطباء. وقد قرر الآن مستشفى جونز هوبكنز في بالتيمور (ولاية ماريلاند الامريكية) ـ وهو مستشفى ذو شهرة ومكانة. إحدى المؤسسات الاولى في الولايات المتحدة التي اجرت جراحة تغيير الجنس ـ عدم جدوى هذه الجراحة في افادة عدد ضخم من المرضى. الى حد انها قررت الكف عن اجرائها في المستقبل.

وكانت لجنة تحديد الجنس التابعة لمستشفى جونز هوبكنز احالت اكثر من مئة مريض على جراحة تغيير الجنس خلال العقدين الماضيين. وقد سوغ اجراء تلك الجراحات النظرة القائلة بأن مبدلي الجنس يستطيعون ممارسة حياة سعيدة بمجرد السماح لهم باكتساب الجنس الآخر جسدياً وعقلياً.

لكن الدراسة التي قام بها جون ماير. طبيب الامراض النفسية في مستشفى جونز هوبكنز. اظهرت ان الجراحة لم تحسن من انسجام مبدلي الجنس مع محيطهم. وقد قوم ماير وزميلته دونا ريتر النشاط الجنسي والعلاقات العائلية والتكيف مع الحياة اليومية لدى خمسين مريضاً سابقاً. فلم يجدا اي اختلاف يذكر بين تكيف من اجرى جراحة تغيير الجنس ومن لم يجرها.

"نيوزويك"

ورم يزن ٩٠ كيلوغراماً

نجح حديثاً الاطباء في جامعة كاليفورنيا (سان فرنسيسكو) في ازالة ورم خبيث يقارب وزنه التسعين كيلوغراماً من مبيض امرأة في الثلاثين من العمر. ويعد هذا الورم الضخم واحداً من اكبر الاورام المعروفة حتى اليوم. ويقدر الاطباء ان هذا الورم استمر في النمو مدة ١٥ سنة. فقد اخذ وزن المرأة في الازدياد مذ كانت في سن المراهقة، لكنها ظنت ان الامر مجرد سمنة عادية.

وقد اجرى العملية الجراحية التي استغرقت اربع ساعات ونصف ساعة، في ٢٤ مايو (ايار) ١٩٧٩، فريق من سبعة اطباء سحبوا قرابة ٧٢ كيلوغراماً من السائل من كتلة الورم قبل ان يتم استئصال ١٨ كيلوغراماً من المادة الصلبة وهي على حالها.

وحين دخلت المرأة المستشفى كانت تزن ١٧٢ كيلوغراماً وتشكو ألماً في البطن. ولكن مع انتهاء العلاج انخفض وزنها فاصبح ٨٢ كيلوغراماً.

"اسوشيتد برس"



صَبَاحَ الخَيْر!
NESCAFÉ
café instantané
instant coffee
نسكافه

العلاج بالتنويم المغناطيسي

هذا النوع من العلاج ليس جديداً.
وفي احيائه، كما تبين هذه الامثلة، أمل كبير
في تطوير أساليب العلاج الحديثة

قصد اخيراً طبيب شاب في الثلاثين من عمره عيادة الطبيب النفسي هارولد وين في مستشفى وولتر ريد العسكري في العاصمة الامريكية واشنطن. وكان الاول قد جرح انفه قبل خمس سنوات وهو يلعب الكرة الطائرة، وبات العظم المكسور يعوق تنفسه. وكان في حاجة الى جراحة تستعمل فيها آلات من نوع المطرقة والمبضع والمشرط من أجل اعادة مظهر أنفه الطبيعي. لكن فكرة تلك العملية اخافته، فقصد لطبيب النفسي من أجل مساعدته على تبديد مخاوفه.

وجدير بالذكر ان وين، المختص في الناحية النفسية من الامراض، ينتمي الى جماعة طبية نامية تستعمل التنويم المغناطيسي كوسيلة فعالة الى جانب العلاج العادي. وقد توصل الطبيب الشاب، في اشراف وين، الى حال من الاسترخاء العميق تبدد معها قلقه ازاء العملية الجراحية. وبعد جلستين استغرقت الواحدة منهما ٤٥ دقيقة، حقق مستوى من الجرأة والثقة جعله يعلن عن استعداده للجراحة ولاجرائها تحت اثر التنويم المغناطيسي وحده وعدم استعمال المخدرات التقليدية مطلقاً.

وبموافقة الجراح، قاد وين مريضه الى حالة غيبوبة. ويقول وين ان "الهدف كان نقله، عن طريق الايحاء، الى شاطىء استوائي، حيث ينظر الى

القوارب تطلق اشرعتها للريح بينما تبلل وجهه نسمة عليلة. وقد استغرق في ذلك المشهد الذهني الى حد أنه لم يجفل او يهتز مرة واحدة خلال ساعة كاملة اجريت فيها الجراحة".

تعود ظاهرة التنويم المغناطيسي كعلاج الى آلاف السنين الى المصريين والاغريق الذين لجأ كهنتهم الى هذا الفن لمعالجة المرضى. غير ان الناس في القرون الوسطى نظروا الى الذين يتمتعون بتلك الموهبة على انهم سحرة. ولدى حلول القرن التاسع عشر، بات التنويم المغناطيسي، بما حمل من عناصر صوفية، محصوراً في ممارسي السحر والمشعوذين الذين جعلوا بعض صغار العقول يصدقون ان الواحد منهم دجاجة او مكنسة.

سلاح فعال — مع تراكم الشواهد المخبرية والتجارب العيادية الناجحة اليوم، ازداد الادراك بأن التنويم المغناطيسي، بالنسبة الى الاشخاص المختارين، يمكن ان يكون سلاحاً فعالا للسيطرة على الالم والخوف والعادات السلبية. وفي امكان التنويم المغناطيسي احداث ظواهر حسية قد لا تصدق لفرط غرابتها لولا الشواهد الثابتة على صحتها.

ففي أحد الاختبارات اعطيت مجموعة من طلاب الطب حقناً عبر الوريد من مسكّن قوي اسمه "سيربازيل"، بمقادير من شأنها ان تولد فيهم النعاس والخمول. لكن الطلاب وضعوا تحت تأثير التنويم المغناطيسي قبل اعطائهم الدواء، واوحي اليهم ان الدواء لن يكون له اثر البتة. وفور حقنهم بالدواء، اجري للطلاب امتحان متعدد الجوانب، يحوي عناصر مكانية وآلية وعصبية وعضلية، فأظهرت ردود فعل كل منهم يقظة وانتباهاً طبيعيين. وبعد ايام حقن أفراد المجموعة نفسها بجرعات من مسكن سيربازيل، قليلة بالنسبة الى الجرعات الاولى، من دون لجوء الى التنويم المغناطيسي. لكنهم اخفقوا جميعاً في الامتحان اللاحق، واستسلم بعضهم للنوم خلال الامتحان.

ان السيطرة على الالم هي الحقل الذي تظهر فيه حسنات التنويم المغناطيسي الحقيقية. وفي دراسة على ضحايا الحروق في مستشفى بروك العسكري في هيوستن (ولاية تكساس)، تبين ان التنويم الذي ترافقه ايحاءات ايجابية وصور ذهنية ممتعة يمكن ان يخفف كثيراً من كمية العقاقير اليومية المهدئة. وقد اظهر المرضى الذين عولجوا بالتنويم انهم يحتاجون الى أقل من نصف كمية العقاقير المهدئة التي يحتاج اليها المرضى الذين يعالجون بالادوية فقط. وأتاح لهم تخفيف كمية العقاقير المسكنة أن يأكلوا على نحو افضل ويظهروا وعياً وانتباهاً اقوى ويحققوا شفاء أرسخ.

صداع الشقيقة — كذلك تبين ان الذين يعانون صداع الشقيقة (الميغرين) أفادوا من العلاج بالتنويم. وفي احدى الحالات، قدر لرجل في الحادية والخمسين من عمره، كان اختبر هذا النوع من الصداع مدة ست ساعات يومياً طوال ثلاثة وعشرين عاماً، ان يبرأ برءاً شبه تام من نوبات الصداع ويقلع عن تناول المسكنات، وبمساعدة التنويم المغناطيسي ايضاً،

تمكنت امرأة في الثامنة والثلاثين من عمرها لازمها منذ الطفولة نوع من الصداع يرافقه العمى احياناً، ان تتحرر من هذه الاعراض. وقد اجريت دراسة استمرت عاماً كاملا في بريطانيا على مرض صداع الشقيقة، تبين منها ان فعالية العلاج بالتنويم تفوق فعالية العلاج بالعقاقير أكثر من ثلاثة أضعاف من حيث ازالة الالم.

وهناك امراض اخرى أثبت التنويم المغناطيسي جدارة في معالجتها، مثل الارق والقلق وارتفاع ضغط الدم ونزف الدم والربو.

ما هو التنويم المغناطيسي بالتحديد؟

يقول الدكتور هربرت شبيغل، استاذ الطب النفسي العيادي في كلية كولومبيا للاطباء والجراحين، ان "أفضل طريقة لفهم ماهية التنويم المغناطيسي ربما كانت معرفة ما ليس هو".

١. التنويم المغناطيسي لا يؤدي الى نوم عادي.

على رغم ان العبارة مشتقة من الكلمة اليونانية "هيبنوس" التي تعني فعلا "النوم"، الا ان النوم المغناطيسي يبقى شيئاً مختلفاً. ويوضح شبيغل ان "النوم المغناطيسي، على صعيد الوعي الانساني، هو على الطرف الآخر للغيبوبة، مع الوعي العادي في الوسط. وتشبه حالة النوم المغناطيسي شعاعاً من الانتباه العالي التركيز الذي يعكس في ضوئه المهيجات الخارجية". وهناك حالات شبيهة بحالة النوم هذه، تحدث في الحياة اليومية خلال أحلام اليقظة مثلا، او عندما "ينسى" المرء نفسه او "يضيعها" لدى مشاهدة عرض سينمائي او قراءة كتاب.

٢. النوم المغناطيسي لا يعني ان تكون تحت سيطرة شخص آخر.

ليس هناك شيء "يتم فعله" بالنسبة الى الشخص المنوَّم. ولكن - كما يقول شبيغل - "هناك قابلية فطرية للنوم، وهي مثل قابلية العزف على البيانو، وتمكن تنميتها بواسطة التعليم والتمرين. وما يفعله المنوِّم هو مساعدة المنوَّم على استعمال ملكة كانت أصلا لديه".

٣. القابلية على النوم ليست علامة ضعف عقلي.

"على العكس"، يقول شبيغل، "انها علامة الذكاء والقابلية على التركيز". ان الاشخاص الذين يتمتعون بأكبر قابلية على النوم هم اولئك الذين يتحلون بخيال خصب. أما اصحاب التفكير التحليلي فهم أبعد الناس عن هذه القابلية. وفي تقدير معظم الخبراء ان نسبة ٥٠ الى ٩٠ في المئة من الناس تمكنها الافادة، الى حد ما، من التنويم، وان نسبة ١٠ في المئة لا يمكنها الاستغراق في حالة النوم الى الحد الذي ينقطع معه الالم الحاد كلياً.

٤. النوم المغناطيسي ليس ظاهرة محض نفسية، بل هو ظاهرة جسدية ايضا.

يعتقد شبيغل ان هناك تغيرات مادية قابلة للقياس تطرأ على تموجات الدماغ، وان بعضها تمكن مراقبته على لوحة خاصة ترتسم عليها التموجات خلال فترة النوم. وقد اظهرت الدراسات الحديثة ان في

امكان الدماغ انتاج مسكنات نابعة منه، وهي مواد كيميائية تشبه المورفين. ويذهب بعض الاطباء النفسيين الى القول بأن الشخص، خلال فترة التركيز العميقة التي يتيحها النوم، ربما استطاع انتاج هذه العقاقير الطبيعية.

ويعتقد شبيغل ايضاً ان النوم المغناطيسي يضع الجزء التحليلي من الدماغ في حال استكانة، في حين يضع الجزء الانفعالي الحساس في أقصى حال من التأهب. وهذا يجعل الدماغ في حال تقبل للايحاءات الواردة من الخارج من غير رقابة نقدية او منطقية من جانبه. وهذا هو السبب في أن الايحاءات التي ترد على الشخص خلال النوم المغناطيسي يمكن ان تفعل مباشرة في اعطاء نتائج جسدية، منها التغيرات التي تطرأ على حركة الدم وحرارة الجلد والانتباه. ويخرج شبيغل من هذا الى "أن لدينا سيطرة على وظائفنا الجسدية والنفسية أكبر كثيراً مما نتصور".

في الواقع ان التنويم، عندما يتم على وجه حسن، يمكن ان تكون له نتائج مذهلة في مجالات كثيرة. ويمكن، في أشراف منوم بارع، التخلص بسرعة من ضروب الخوف. ويروي عالم النفس السريري ميلفين غرافيتس من واشنطن قصة امرأة كانت تخشى ركوب الطائرة الى حد الذعر. لكنها اضطرت يوماً الى حضور حفلة زفاف ابن أخيها في سويسرا. فاستشارت غرافيتس الذي عالجها في ثلاث جلسات وضعها خلالها تحت اثر التنويم وجعلها، عن طريق الايحاء، تتصور نفسها في طائرة. وهكذا قضى على هواجسها. ويقول غرافيتس انها "ركبت الطائرة من دون اي مشكلة. وهي، منذ ذلك الحين، تسافر في الطائرة دونما خوف".

نطاق واسع ـ اما نطاق الاستعمال الممكن للتنويم المغناطيسي فيبدو واسعاً سعة الحاجات الانسانية. وقد نجح البحاثة السوفييت في اعتماد التنويم من اجل تقوية ملكة الابداع لدى الموسيقيين والرسامين ولاعبي الشطرنج. ويقول طبيب نفسي ـ عصبي من موسكو ان هذه العملية "توقظ طاقات كامنة ربما كان صاحبها يجهلها".

وهناك استعمال متزايد للتنويم في حقل العلاج الجنسي. ويقول ملتون كلاين من مؤسسة نيويورك الرسمية لبحوث التنويم:"ان تنويم المريض ينقلنا الى بداية الصدمة الجنسية، وهي فترة لا يحفظها المريض في وعيه عموماً. ثم نوقظ لديه الذكريات الجميلة التي من شأنها ان تطغى على الذكريات الاليمة. وغالباً ما يكون اكتشاف سبب الصدمة والكلام عنه خلال عملية التنويم كافيين لتحسين حال المريض".

ولا شك في ان المجال الذي يشهد فيه التنويم المغناطيسي الحديث اكبر تقدم هو السيطرة على العادات. وقد اعتمد شبيغل التنويم لمساعدة بعض الاشخاص على الاقلاع عن التدخين، فانقطع ٣٠ في المئة منهم عن التدخين بعد جلسة العلاج الاولى. واستعمل كلاين الطريقة نفسها في بضع جلسات، فنجح ٨٠ في المئة من مرضاه في الانقطاع عن التدخين.

وفي مستشفى وولتر ريد توصل الدكتور وين، الذي يصف نفسه بأنه مفرط بعض الشيء في الاكل، الى تخفيف خصره من ١٠٢ سنتيمتر الى ٨٦ سنتيمتراً عن طريق التنويم الذاتي. وهو يقول: "الشرط الاول الذي نسعى الى تحقيقه في محاولة تخفيف الوزن هو مساعدة الشخص في ان يكون سيد نفسه والايحاء اليه، وهو تحت اثر التنويم، بضرورة النظر الى ذاته ليس كوعاء للفضلات بل كذواقة، وضرورة التلذذ بكل لقمة يمضغها والتفكير في المتعة الفائقة التي تنتج عن تخفيف الكمية". وجدير بالذكر ان ٦٠ في المئة من مرضى وين ينجحون في تخفيف وزنهم، حتى ان أحدهم خسر نحو ٩٠ كيلوغراما.

ثمة مجالات اخرى سجل فيها الدكتور وين نجاحاً في استعمال التنويم المغناطيسي، مثل التأتأة في النطق وآلام الذبحة الصدرية والغثيان الناتج من معالجة السرطان بالمواد الكيميائية. لكن وين، كسواه من الذين يتعاطون العلاج بالتنويم على نحو رزين، يسارع الى التحذير من أن التنويم المغناطيسي ليس ذلك العلاج السحري الذي يشفي كل الامراض. ولكن يجب استعماله بما يناسب حال كل مريض بمفرده.

ان الاهتمام النامي بالتنويم المغناطيسي قد يكون ذا نفع في المجتمعات التي تعتمد العقاقير بكثرة. ويقول شبيغل ان هناك "نظرة طبية متطرفة جعلتنا نكثر من الاتكال على الاطباء الذين يقصرون علاجهم على استعمال الاشياء الملموسة، كالعقاقير والمباضع والاجهزة الالكترونية، لمحاربة المرض والالم. ولهذه الاشياء، حتماً، موضعها. لكن هناك عنصراً مفقوداً في المسألة، وهو أننا منذ زمن بعيد أهملنا قدرة العقل العلاجية".

ويوصي الخبراء اولئك الذين يسعون الى العلاج بالتنويم بان يلزموا جانب الحذر ويحسنوا اختيار الطبيب. ويقول وين ان "أفضل طريقة للعثور على منوّم مغناطيسي جدير هي ان تسأل طبيبك او تكتب الى المؤسسات العلمية المختصة".

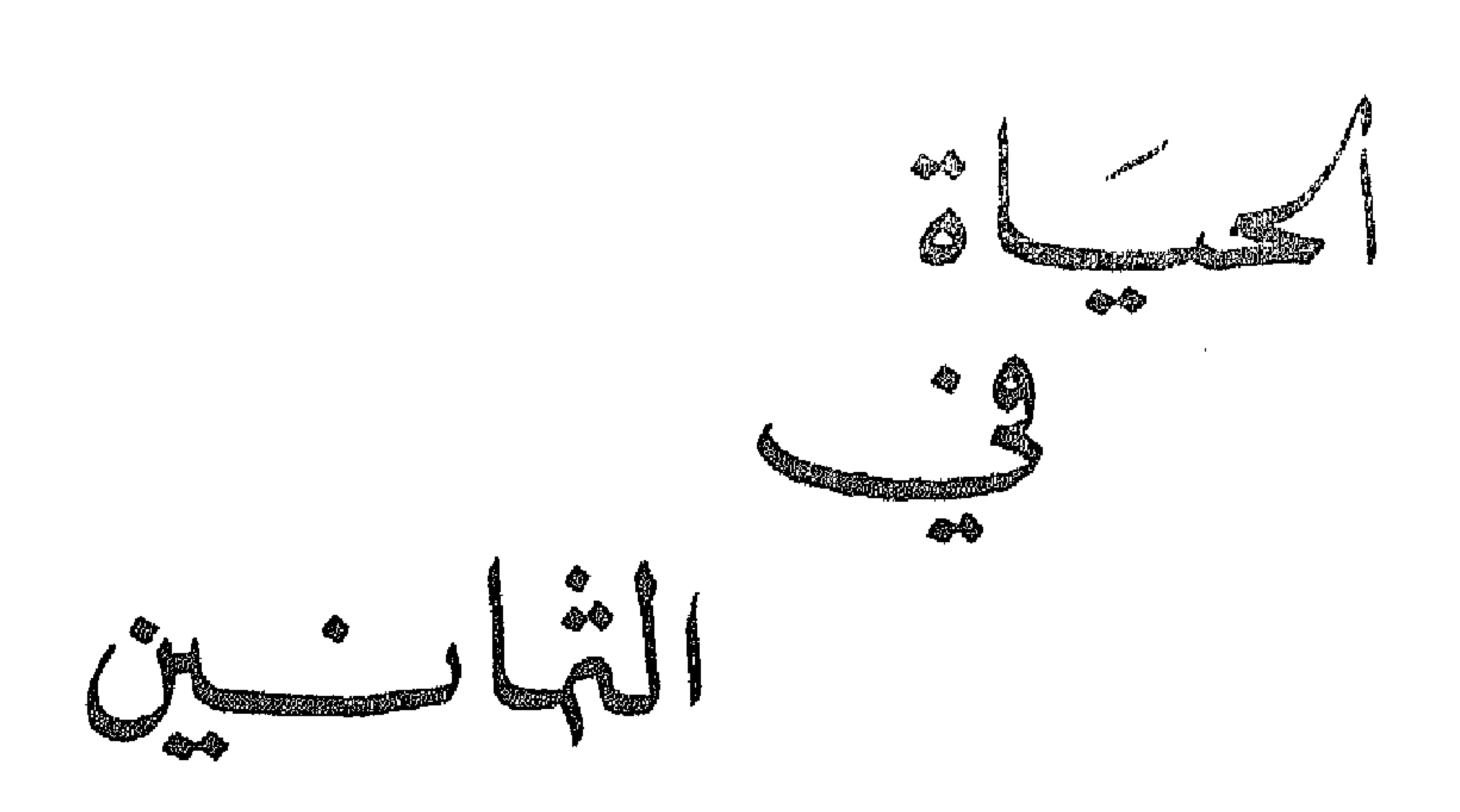
■ اميلي وبير دولير

لا يخشى النقد

كان رجل الدين يشجع افراد الرعية على التكلم معه بعد الصلاة لابداء آرائهم في عظاته. ومرة سمع التعليمات الآتية:

- انك دائماً تجد شيئاً لملء الوقت.
- لا يهمني ما يقوله الآخرون عنك، لكني احب عظاتك.
- لو عرفت انك ستبلي بلاء حسناً اليوم لاصطحبت احد جيراني.
- هل تدري ان هناك ٢٤٣ لوحاً من الزجاج في هذه النوافذ؟
- ينبغي ان نجعلك تكف عن الوعظ معظم الاحيان.

ا.م.ا.



كاتب كبير يكتشف حياة مختلفة بعد الثمانين

هكذا اقاموا لي حفلة في عيد ميلادي الثمانين. وانهالت علي البطاقات والرسائل والبرقيات والهدايا، وحتى كعكة عيد الميلاد الكبيرة التي غرسوا في سطحها، لسبب اجهله، شمعتين فقط... ترى هل رجعت القهقرى الى طفولتي.

انا اؤمن بالحفلات الكبيرة التي تقام في المناسبات الخاصة كعيد الميلاد الثمانين، فمن يعش ثمانين حولا يدخل مرحلة جديدة من الحياة: فصلها الاخير. فلا بأس ان هو خضع للطقوس اللائقة بالعبور الى الضفة الثانية.

ان من يعمر ثمانين عاماً ينضم الى أقلية او نخبة من الناس. ولا اخالك ايها القارىء الا منضماً الى صفوف هذه الاقلية يوماً اذا قيضت لك النجاة من ارتفاع ضغط الدم والسرطان القاتلين. واذا شئت ان تعرف ما ستلقاه في دار الثمانين، فاليك تقريري الخاص أقدمه خريطة تسترشد بها.

يشعر الثمانيني الجديد، وهو جالس على كرسي مريح، بأنه قوي البنية كسابق عهده تماماً. ويسترسل في الذكريات والاحلام والتأمل، فيرى ان الشيخوخة زي فرض على سواد، وان الذات الجوهرية الحقة لا يطالها الهرم. وبعد هنيهة تراوده فكرة النهوض من كرسيه والخروج في نزهة الغابات، حاملا معه بندقيته او قصبة

Condensed from Life (December' 78), New York, N.Y.

صيد السمك اذا كان الفصل ربيعاً. لكنه حين يقف على قدميه، تقرقع مفاصله، فيبالغ في الانحناء الى الامام كي يحافظ على توازن جسمه. حينئذ يدرك انه لن يحقق شيئاً مما اعتزمه لان جسده يقول له: "انت هرم". وهي عبارة يرددها الجسم مراراً كلما انجز - بعد اعمال الفكر والتبصر في العواقب والتؤدة - ما كان ينجزه فطرياً في ما مضى، أو كلما وجد انه لا يستطيع الوقوف على رجل واحدة ويستعصي عليه ارتداء سرواله، او حين يقضي وقتاً في البحث عن الاشياء يفوق الوقت الذي يقضيه في استعمالها، او عندما يصغي بانتباه وتركيز الى نكتة فيسمع منها كل شيء سوى ما يضحك فيها.

عيوب الشيخوخة - ان اكبر عيوب الشيخوخة، في نظري، هي الجشع والفوضى والخيلاء، وأسوأها الجشع. ترى لماذا يصر عدد كبير من الطاعنين في السن على ادخار المال من غير أن تكون لديهم فرصة لاستخدامه، بل من غير ان يكون لهم أحياناً ورثة يستفيدون منه؟ لعلهم يعدون المال أحد اشكال القوة، فيرون في نموه وتراكمه عزاء للنفس في وقت تتناقص قواهم الاخرى وتتلاشى!.

ولكن لماذا يصبح عدد كبير من المسنين فوضويين لا يأبهون للترتيب والنظام، بل تراهم يكدسون سقط المتاع على نحو مذهل؟ ها هي ادراج مكاتبهم ممتلئة بها، وها هي النفايات مكدسة فوق المناضد، في حين تنوء قضبان خزاناتهم الحديد بأثقالها من الثياب التي لم يرتدوها منذ سنوات طويلة. ولعل ذلك راجع، من ناحية، الى الكسل، ومن ناحية أخرى الى الشعور بان كل ما نفعهم في الماضي وجب الاحتفاظ به.

اما خيلاء المسنين فمسألة يسهل تفسيرها والتغاضي عنها، لانه ما دام امامهم القليل مما يصبون اليه، فهم يتمسكون بما كانوا عليه في الزمن الغابر ويتوقون الى كسب تقدير الآخرين واعجابهم، سواء أكانوا لاعبين رياضيين او طلاب علم جادين وبارعين أو ملكات جمال. على ان الجميلات يواجهن أصعب الاوقات في الشيخوخة، فتراهن احياناً يصبحن سخرية بين الناس وهن يحاولن الحفاظ على مفاتنهن الدراسة. اما الرياضيون فلهم رفوفهم لصف الكؤوس والميداليات، كما لطلاب العلم جدرانهم لتعليق الشهادات والاشادات بمواهبهم. والحق ان هذا السعي الى اعجاب الآخرين ينبع من دافع عاطفي بريء، لكنه احياناً يفضي بأصحابه الى مسخ شخصياتهم.

لا يهزه شيء - الا ان الشيخوخة لا تخلو من ملذات، كأن يجلس المرء مستكيناً كأفعى فوق حجر ادفأته الشمس، فيشعر بلذة الكسل الذي قلما يتمتع به المرء شاباً. ويغدو العجوز في هذه الاوقات جزءاً من الطبيعة، لكنه جزء حي ينساب الدم في عروقه بهدوء لان المستقبل لم يعد موجوداً. واذا فكر في أمر على الاطلاق، ففي حياة من هم دونه سناً: يراهم في معركة طاحنة كبرى يقف الواحد منهم ضد الآخر، بينما هو لا يهزه شيء.

فما من شيء يكسبه او يخسره. وعلى هذا الهامش من الحياة، يمكن العجوز ان يراقب دورات الاختلاس والابتزاز وأن يسمع صياح المنتصر ونحيب الجريح المقهور، وان ينعم بطمأنينته لانه ما من طامع فيه يباغته من مكمن ما.

ومع ذلك، فأنا أغبط الرجال والنساء الذين يواجهون الشيخوخة باعتبارها سلسلة من التحديات، فيعدون كل عجز يلم بهم عدواً ينبغي قهره بقوة الارادة. وتراهم احياناً يظفرون بفوز عظيم، مثل الفنان الفرنسي بيار اوغست رينوار الذي تابع رسم اللوحات العظيمة سنوات عدة وهو مصاب بالتهاب المفاصل، فيما كانت فرشاة الرسم تربط فوق ذراعه، ومثل الفنان الاسباني فرنسيسكو غويا الذي اصيب وهو في الثامنة والسبعين بالصمم وضعف النظر حتى اضطر الى وضع عدد من النظارات بعضها فوق بعض، كي يواصل انتاج اللوحات الفنية الرائعة وبأسلوب جديد.

من المتوقع ان يمتد أجلي فترة ست سنوات وسبعة أشهر حسب تقديرات دائرة احصاء السكان. والسؤال المحير هو: ماذا افعل بهذا الوقت؟

ان الكتب التي لجأت اليها لم تعطني كثيراً من النصائح العملية التي كنت اتوقع العثور عليها. ولسبب أجهله، لا يكتب المسنون الا القليل عن مشكلات الشيخوخة. وما قرأته في هذا الموضوع هو من تأليف رجال ونساء في اواخر الخمسينات واوائل الستينات من اعمارهم، اي الفترة التي يشاء معظمهم فيها ان يرسم صورة مشرقة لبقية ايامه. ومقالة السياسي والخطيب الروماني الشهير شيشرون عن الشيخوخة، التي كتبها وهو في الثانية والستين، ما هي الا من قبيل طمأنة النفس. وقد حاول الكاتب الامريكي رالف والدو امرسون في مقالته "الشيخوخة"، وهو في الخامسة والسبعين، اقناعنا بأن خيرات السنين ومكافآتها ستتدفق علينا من فوهة عريضة. وعلى رغم اعتباري امرسون أحد الابطال الذين أجلهم، الا ان ملاحظاته كثيراً ما تعوزها الواقعية.

روح المرح – لقد بدأت حديثاً قراءة آخر النشرات التي اصدرها زملاء الدراسة الجامعية الباقون على قيد الحياة، ترويحاً عن النفس بعدما تعبت من قراءة الكتب. وقد ساهم خمسة وأربعون منهم في تدوين ملاحظات عن أنفسهم وحياتهم. والانطباع الرئيسي الذي خرجت به من كتاباتهم هو تقبل العجز والعقبات بمرح واعتدال.

والاكثر مرحاً بين هؤلاء الزملاء هم الذين احتفلوا بيوبيل زواجهم الذهبي (الذكرى الخمسين)، خصوصاً اذا حضر الاحتفال اولادهم واحفادهم. (وكان حرياً بي ان اذكر الاحفاد في عداد المباهج الحقيقية في سني الشيخوخة).

لكم شعرت بانتعاش نفسي وتجدد في همتي حين علمت ان الكثيرين من زملائي لم يتقاعدوا عن العمل، وان بعضهم شرع في اعمال جديدة كصناعة خشبات التزلج او العناية بالحدائق او بيع كتب نفدت

طبعاتها. والواقع اني اؤمن، على رغم ما قلته عن الكسل، بأن كل واحد منا يحتاج الى مشروع ما لكي يبقى حياً. قد يكون المشروع بدأ في الماضي وهو الآن في حاجة الى اتمامه، وقد يكون جديدا كل الجدة. لكن المهم في الامر ان يكون كبيراً بحيث يتطلب من المرء أقصى جهده، من غير أن يكون مشروعاً عملاقاً يثبط العزيمة.

ثمة مشروع يغريني حقاً، وهو محاولة اكتشاف النمط الذي حدد مسلكي حتى الآن. فالحياة، وان بدت سلسلة من الاحداث العارضة، تنطوي على شؤون اخرى ذات دلالة. فلكل حدث حبكة محكمة الترابط، الا انها محجوبة تحت ركام السنين. والسؤال هو: هل يمكننا ان نتخلص من هذه النفايات ونتبين معالم الحبكة وفصولها وفترات توقفها واستئنافها؟ هل نحن أبطال الروايات، كل واحد في مسرحيته؟ بأي الخصال او انعدامها يتميز الواحد منها عن سائر الممثلين؟

قد لا نجد اجابات عن هذه الاسئلة. الا ان هناك خطوات بسيطة ينبغي اتخاذها في البحث عن اجابات، كأن نقرأ من جديد رسائلنا القديمة، وان نربط بين الذكريات، وان نرسم الصور، وأن نتذكر مقاطع من الموسيقى. لان هذا قد يفضي بنا الى كتابة مذكرات صريحة وصادقة تماماً. وليس هناك ما يخسره المتقدمون في السن من قول الحقيقة.او ربما أفضى بفئة من المسنين الى تدوين ملاحظات ونصائح يفيد منها الشباب او يغفلونها. ولكن مهما تكن النتيجة، فان جهودنا لن تضيع هباء، لان في مثل هذه الرحلات عبر الماضي ما يسعفنا على اثبات هويتنا. وسنتمكن، على الاقل، من أن نقول للآخرين، أو لانفسنا ان لم يسمعنا احد: "لقد كان لي وجود حقيقي". بل ربما قلنا بثقة أكبر: لقد كنت هذا".

■ مالكوم كاولي

مؤرخ أدبي، نشر، يزيد على العشرة كتب، أشهرها "عودة المنفي"، وهو ذكريات عن الحياة الادبية في باريس ونيويورك.

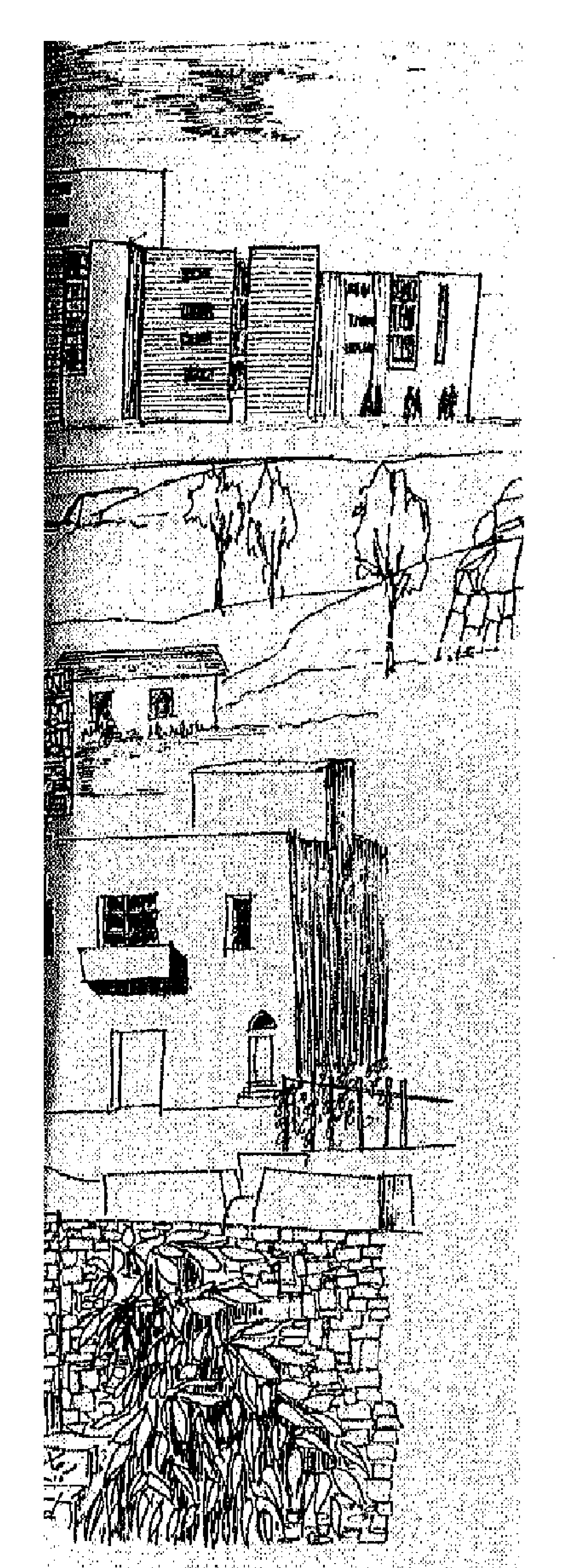
التجدد الدائم

عندما تقترب ليلة آخر السنة، يجتمع افراد عائلتنا في غرفة الجلوس ويبدأون جولة عبر الذكريات. فيحمل كل واحد منا تقويم العام ويستعيد اهم ما حدث معه شهراً شهراً حتى يأتي على اشهر السنة الاثني عشر. وعندئذ يدع السنة الغابرة ترتاح بسلام.

والحق ان الذكريات ليست كلها احداثاً سعيدة. فهناك احداث اليمة، وبعضها لم يمح اثره. لكن مشاركة الآخرين تمنحنا العزاء وتجعلنا نقبل الواقع.

على هذا النحو نودع السنة ونستقبل سنة اخرى، نعلق اشهرها وايامها على الحائط ونحن لا ندري ما تخبىء لنا. وهكذا تستمر حياتنا بأن تبدأ من جديد.

ب.ا.ج.

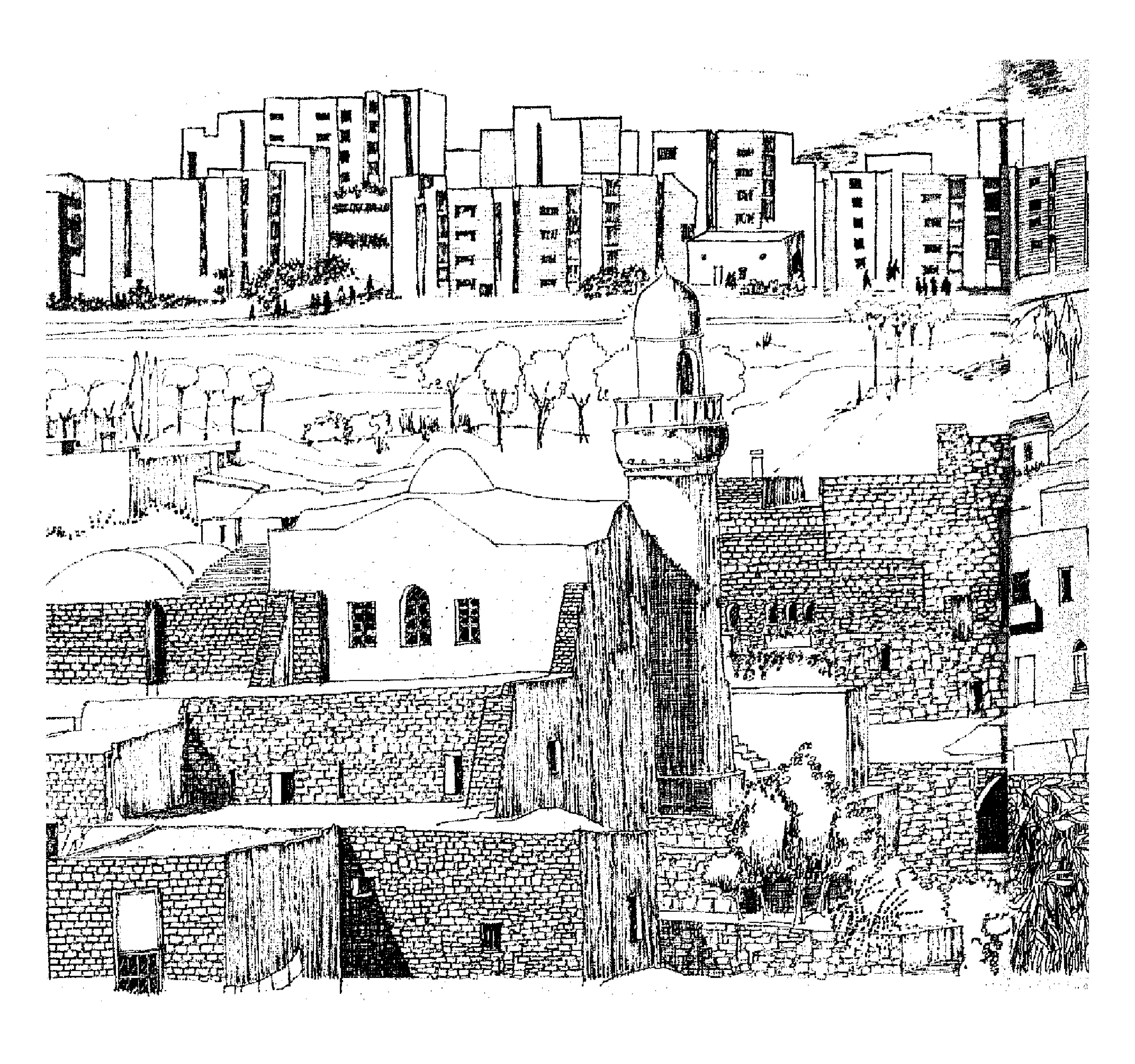


عقدة المستوطنات

على رغم الادانة
التي تلقاها
سياسة اسرائيل الاستيطانية
في الاراضي العربية المحتلة
منذ العام ١٩٦٧،
فان حكومة تل ابيب
ماضية في خطتها
الرامية الى تجريد
الفلسطينيين العرب
من املاكهم

بينما تستمر الجهود لايجاد صيغة سلام دائم في الشرق الاوسط يواصل المدنيون الاسرائيليون الاستيطان في الضفة الغربية من نهر الاردن. وكثيراً ما يرافق اقامة المستوطنات اليهودية في الضفة انتزاع اراض من فلسطينيين عرب ملكوها ورعوها طوال اجيال.

ففي قرية الخضر جنوب بيت لحم يجد ما لا يقل عن ٤٢ مزارعاً عربياً انفسهم مضطرين الى البحث عن وظائف عرضية لاعالة اسرهم. فقد صودر حوالي مليوني متر مربع من الارض التي يملكونها منذ آلاف السنين، وذلك لمصلحة مستوطنة "افرات" الاسرائيلية المجاورة.



وتتكرر المآسي. ففي قرية العوجا (شمال مدينة اريحا) اتلفت محاصيل المزارع العربية صيف ١٩٧٩ لان سلطات الاحتلال الاسرائيلية رفضت السماح للمزارعين بحفر بئر في القرية بحجة ان الحق في استغلال المياه الجوفية في تلك المنطقة مقتصر على المستعمرات الاسرائيلية المجاورة حيث تطفح احواض السباحة بالمياه وتتباهى اشجار الليمون والكرمة بلونها الاخضر فوق التلال الكلسية عند سفح الجبل.

هذان مثلان على النتائج المدمرة لاستمرار سياسة الاستيطان الاسرائيلية في الضفة الغربية، فوق مساحة تبلغ ٥٦٠٨ كيلومترات مربعة

الى ايام العثمانيين الذين حكموا فلسطين في القرن التاسع عشر. ويشتمل معظم الضفة الغربية على ارض "ميري"، او "ارض اميرية"، وهي املاك حكومية يستثمرها مزارعون يسددون جميع الضرائب المتوجبة عليهم.

ونادراً ما كلف القرويون انفسهم عناء مراجعة المسؤولين لفرز الارض والحصول على سندات ملكية. فقد كان ادراج اسمائهم في سجلات الضرائب الاردنية بمثابة صك ملكية ضمني. وكان الجميع يعلم اين تنتهي شجرات الزيتون او المنحدر الصخري لاحدهم لتبدأ حدود عقار آخر. وقد استغل المسؤولون الاسرائيليون هذه الصيغة غير الرسمية لتجاهل مطالب القرويين العرب، بحجة ان ادراج اسمائهم في سجلات الضرائب لا يخولهم ملكية الارض.

وكانت قرية الخضر مسرحاً لعملية من هذا النوع انكشفت فيها بوضوح اجراءات السلطات الاسرائيلية. وتقع القرية على جانب طريق فرعية جنوب بيت لحم، وأرضها منحدرة وصخرية لا تصلح للزراعة الا جزئياً. غير ان المزارعين عمدوا الى تجليلها (تحويل المنحدر الى جلول او مصاطب فيصبح شكله كالمدرج) فأصبحت صالحة لزراعة الزيتون والكرمة.

وقد سبق لاهالي هذه القرية ان جردوا من ملكية ٣٤٤ الف متر مربع "لاغراض امنية" عام ١٩٧٣، لتتحول هذه المساحة في ما بعد الى مستعمرة "اللعازار" اليهودية. وها هي القرية ثانية توشك على مواجهة محنة جديدة، ذلك بان الاسرائيليين قرروا بناء مركز مديني رئيسي هو افرات. وستجري اولى مراحل البناء فوق مساحة مليوني متر مربع من الارض الميري التي يملكها سكان القرية.

وكان في وسع بعض المزارعين ابراز ايصالات الضرائب المسددة التي تثبت حقهم الشرعي في ملكية اراضيهم. الا انهم لم يمنحوا تلك الفرصة. فما العمل؟ هل يوكلون الى محام مهمة رفع امرهم الى القضاء؟

سكان الحصون – ان الحصول على الانصاف القضائي بالنسبة الى المصادرة الاعتباطية أمر يكاد يكون ميؤوسا منه؛فلا يمكن الاعتراض على اوامر الحاكم العسكري الاسرائيلي الا امام المحكمة العليا. وحتى العام ١٩٧٨ لم يسبق ان تقدم أي من ضحايا المصادرات بشكوى من هذا النوع. ذلك بأن معظم القرويين كانوا يجهلون ان في استطاعتهم اللجوء الى المحكمة العليا. يضاف الى ذلك ان قلة من المحامين العرب في الضفة الغربية يتكلمون العبرية، وهي اللغة الرسمية في المحكمة العليا، وينتمون الى نقابة المحامين.

ومنذ ١٩٧٨ لم تقدم الى المحكمة العليا سوى خمس شكاوى. ولم تؤد هذه الشكاوى الى نتيجة حتى اواخر ١٩٧٩ بسبب تأكيد الجيش الاسرائيلي ان المصادرات كانت ضرورية لامن الدولة. لكن ما حصل في يونيو (حزيران) ١٩٧٩ كان أمراً لم تستطع المحكمة العليا هضمه. موجز القضية ان عدداً من اعضاء حركة "غوش ايمونيم" (كتلة المؤمنين)، وهي حركة صهيونية دينية متطرفة، طلبوا السماح لهم ببناء مستوطنة فوق تلة

صخرية تشرف على مدينة نابلس في قلب المنطقة الاكثر كثافة في الضفة الغربية. وقد اخفق سعيهم طوال اشهر. فهدفهم كان صريحاً وهو تطوير المستوطنة الى مركز مديني يضم مئة الف يهودي، أي ما يفوق عدد سكان نابلس نفسها. وسيطلق على المستوطنة اسم "ايلون موراي"، وهو اسم مستوطنة النبي ابرهيم الاولى التي انشئت في "السامرة" عندما قاد ابناء اسرائيل الى "ارض الميعاد".

وكانت الحكومة الاسرائيلية منقسمة حينذاك حول موضوع المستوطنات. اذ شعر بعض الوزراء بالقلق ازاء سرعة بناء المستوطنات والتهديد الواضح الذي تشكله لمفاوضات السلام مع مصر. وعارض آخرون بشدة تشييد مستوطنات في مناطق ذات كثافة سكانية عربية. وتساءل كثيرون عن مدى الفائدة التي يجنيها امن اسرائيل من المستوطنة الجديدة.

ولدى تصويت اعضاء الحكومة على مشروع المستوطنة لم يتوان معظمهم، حتى وزير الدفاع آنذاك عازر وايزمان، عن رفضه، غير ان مساندة مناحيم بيغن القوية للمشروع رجحت كفة اقراره. وبعد بضعة ايام تسلق مقاتلو "غوش ايمونيم" الهضبة قبل بزوغ الفجر، تساعدهم طائرة هليكوبتر حربية، ونصبوا بضع خيام اعلاناً لتأسيس المستوطنة وذلك في ما يشبه هجوماً عسكرياً مفاجئاً. وقال بيغن حينئذ: "ليس هناك امر أكثر قانونية من هذا".

وكان احد معارضي المشروع محامياً عربياً في التاسعة والعشرين يتكلم العربية، قصير الجسم وممتلئ، هو الياس خوري ابن الناصرة الذي يعمل في القطاع الشرقي من القدس. فراح يراقب تطورات مشروع "ايلون موراي" نيابة عن ١٧ ملاكاً عربياً من قرية الرجيب المجاورة. تلك المرة لم تكن الارض المغتصبة مشاعاً (ميري) وانما كان في حوزة موكليد سندات ملكية لجزء كبير من هذه الارض التي تبلغ مساحتها ١،٦ مليون متر مربع.

وتقدم الياس خوري الى المحكمة العليا بطلب للحصول على انذار قضائي موقت للمستوطنين باخلاء المكان فكان له ما اراد. وقد قال موشيه لاندو، رئيس المحكمة العليا: "اني اتفهم مرارة الملاكين العرب ونقمتهم". ولم تمض اسابيع حتى اصبح الانذار القضائي دائماً ويؤكد على ان هدف "ايلون موراي" سياسي وليس امنياً، وقضى باخلاء المستوطنة.

غير ان المرارة والغضب لم يهجرا قرية رجيب. ويقول السيد احمد صادق المفتي، وهو عربي كاد ان يفقد ١٦ الف متر مربع في هذه المحاولة: "ان الالم يحز في قلوبنا بعدما حاول هؤلاء الاشخاص فعله".

وليست خسارة الارض هي الحسرة الوحيدة في صدر العرب، فهناك ايضاً موقف السلطات الاسرائيلية من مشكلة المياه. ان ثلث حاجة اسرائيل المائية، وتبلغ ١،٦ مليار متر مكعب، يؤمن من المياه الجوفية في الارض الاردنية المحتلة. وعمد الاسرائيليون الى حفر نحو ٢٠ بئراً عميقة في الضفة الغربية. غير ان السلطات

كانت تابعة للاردن واحتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧. ولا تزال حكومة تل ابيب تتجاهل قرارات الامم المتحدة القاضية بانسحابها، كما تتجاهل معاهدة جنيف التي تنص على منع الاستيطان في الاراضي المأهولة المحتلة، فتقلص بذلك احتمالات السلام مع الدول العربية المجاورة.

وتنصب الشكاوى على سياسة الاستيطان الاسرائيلية من بلدان كثيرة. ففي النمسا استقال رئيس لجنة جمع التبرعات الخاصة بالسندات الاسرائيلية من منصبه. وفي الولايات المتحدة نشر ٥٩ من اليهود الامريكيين البارزين كتاباً مفتوحاً جاء فيه: "ان سياسة تعتمد مصادرة الاراضي العربية من دون اي مبرر امني، وتتجرأ على مواصلة احتلال منطقة يسكنها ٧٥٠ الف فلسطيني، هي سياسة مرفوضة اخلاقياً". وكان بين الموقعين على هذا الكتاب جيروم وايزنر، رئيس معهد مساتشوستس للتكنولوجيا، وليونارد برنشتاين، المؤلف الموسيقي الشهير.

وتشير نتائج استطلاعات للرأي العام داخل اسرائيل نفسها الى ان ٥٠ في المئة من الاسرائيليين يجدون في المستوطنات خطراً على السلام.

وعلى رغم تراجع الرئيس الامريكي جيمي كارتر عن الموقف الذي اتخذه مندوب الولايات المتحدة في الجلسة التي عقدها مجلس الامن الدولي في اول مارس (آذار) ١٩٨٠، واجمع فيها مندوبو الدول الاعضاء الخمسة عشر على ادانة سياسة الاستيطان الاسرائيلية، فان الولايات المتحدة عادت واكدت موقفها السابق من ان المستوطنات هي "غير شرعية" وتشكل "عقبة في طريق السلام". غير ان العرب يجدون في المساعدة الامريكية لحكومة تل ابيب والتي تبلغ مليارى دولار سنوياً، حافزاً على مواصلة اسرائيل تثبيت اقدامها في الارض العربية.

صك غريب — فور انتهاء حرب العام ١٩٦٧ وضعت الخطط التفصيلية لبناء المستوطنات الاسرائيلية الاولى، وكان لها آنذاك دور امني. ولكن ما ان اقبل العام ١٩٧٧ حتى كانت ٤٠ مجموعة من المستوطنين اليهود قد وجدت مستقرات لها فوق "الاراضي المدارة" والتي كانت تابعة للاردن، قبل الاحتلال طبعاً. وتزايدت هذه المجموعات منذ تسلم مناحيم بيغن رئاسة الحكومة الاسرائيلية في منتصف ١٩٧٧. فهناك الآن ما لا يقل عن ٣٠ مستوطنة جديدة في الضفة الغربية.

ان الضرورة الامنية لم تعد المبرر الرئيسي للاستيطان، اذ ان بيغن وعدداً من زملائه يعتبرون التوارة صك ملكية. وهم يؤمنون بأن الله اعطى وعداً لليهود بـ "ارض اسرائيل" التي تضم، في ما تضم، "يهودا" و"السامرة"، اي ما يعرف اليوم بالضفة الغربية. فمن حق اليهود — حسب بيغن — ان يستوطنوا اينما شاؤوا من هذه الارض ومتى شاؤوا والا يعيروا اهتماماً لحقوق السكان العرب الذين يملكون تلك الارض منذ قرون.

والمستوطنات هي في معظمها مجموعات صغيرة من عشرة مساكن الى ثلاثين مسكناً تشبه في احيان

كثيرة عربات الرحلات المقطورة. وهي تجثم فوق التلال على بعد حوالي كيلومتر ونصف كيلومتر من القرى العربية المجاورة. غير ان بعض المستوطنات هي، في الواقع، مدن صغيرة انشئت فيها مشاغل ومصانع.

وجميع المستوطنات مزودة بالماء وبخطوط الهاتف والكهرباء. ويقدر مجموع ما سينفق على مشاريع الاستيطان هذه السنة بـ ٢٠٠ مليون دولار، وربما اكثر. ومن اجل تنفيذ هذه المشاريع تم الاستيلاء - بالاستملاك والمصادرة - على آلاف المكتارات من الاراضي التي يملكها فلسطينيون عرب.

وفي العادة، تجري عملية الاستيطان كالآتي:

يصل جنود اسرائيليون فجأة، فيضعون علامات حدودية وينذرون المزارعين بالابتعاد عنها. وغالباً ما يصل الى القرية لاحقاً اشعار رسمي بقرب استخدام المنطقة لاغراض عسكرية. وخلال اسابيع قليلة تمهد الارض بالحفارات ويختفي الجنود ليحل مدنيون مكانهم في الارض المسلوبة.

وأحياناً يتولى المستوطنون انفسهم مهمة المصادرة. ففي "عفرا"، مثلا، بنى الاسرائيليون مستوطنتهم عام ١٩٧٥ فوق انقاض مخيم عسكري اردني. ويقول سكان الجوار العرب ان المستوطنين رغبوا في مزيد من الارض بعد ثلاث سنوات. فدخلوا ذات يوم من ١٩٧٨ ارضاً يملكها محمد ابرهيم عيسى، وهو سائق اوتوبيس، تبلغ مساحتها حوالي ٤٠٠٠ متر مربع. وبسطوا الاسلاك الشائكة حول ثلاثة ارباع هذه الارض. ثم بادروا الى قلع اشجار التين والليمون والعنب التي زرعها عيسى، واحلوا مكانها اثني عشر بيتاً جاهزاً. ولم تلاق الدعاوى التي قدمها عيسى الى الحاكم العسكري المحلي اذناً صاغية.

ولم يبق المستوطنون اليهود لهذا الفلسطيني سوى قطعة الارض التي يقوم عليها بيته وموقف سيارته، الى جانب قطعة اخرى صغيرة يزرعها خضراً.

وفي مكان آخر، لا يبعد كثيراً عن ارض محمد عيسى، وصل مستوطنون اسرائيليون عام ١٩٧٧ الى شايلو، او سيلون، وهي منطقة ورد ذكرها في التوارة. وهم جاؤوا، ظاهرياً، للتنقيب عن بعض الآثار القديمة. لكن اياً من خبراء الآثار لم ينضم اليهم ولا جرت حفريات في الموقع. وكل ما حدث هو انه خلال اسابيع انتقلت الى الموقع نحو ثلاثين عائلة يهودية اقامت منازل لها فوق ٨٠ الف متر مربع تابعة لبلدة قريوت العربية.

عدالة القوي - والحجة المشتركة بين السلطات الاسرائيلية والمستوطنين تقوم، في غالب الاحيان، على الآتي: ان اليهود لا يحتلون سنتيمتراً واحداً من الاملاك الخاصة، بل انهم يضعون يدهم، ببساطة، على "املاك اميرية"، وهي اراض كانت تابعة للاردن، بالملكية او الاشراف، قبل العام ١٩٦٧. ان هذا الامر صحيح احياناً لكنه غالباً غير صحيح.

ان هذا الادعاء قد يبدو مقنعاً، ذلك بان انظمة الملكية القديمة غامضة وشديدة التعقيد، وتعود غالباً

الاسرائيلية حرمت على العرب حفر آبار في اراضيهم الا في حالات خاصة، وذلك طوال السنوات الثلاث عشرة الماضية.

وكما كان متوقعاً، ظهرت في المنطقة موجة عنف اخذت تتعاظم وتلاحق المستوطنين اينما حلوا. وتعددت حوادث القتل حول مدينة الخليل في اقصى جنوب الضفة الغربية، حيث انشئت مستوطنة "كريات اربع" عام ١٩٧٠ بهدف استيعاب ٣٠٠ شخص. واليوم اصبحت هذه المستوطنة بلدة شبيهة بالحصن، يسكنها اكثر من ٢٥٠٠ شخص وتحيط بها الاسلاك الشائكة والانوار الكاشفة.

وفي العام ١٩٧٩ بلغ التوتر في الخليل حداً اخذ الشبان العرب معه يحملون اكياس الحجار لرجم السيارات الاسرائيلية، مما دفع الاسرائيليين الى استقدام لجنة امن اهلية مسلحة من "كريات اربع" لحفر شوارع البلدة. وفي بلدة حلحول التجارية، على بعد كيلومترات قليلة من الخليل، اطلق بعض مستوطني "كريات اربع" النار على المتظاهرين العرب فقتلوا تلميذين ثانويين.

الشوكة المؤلمة ـ بلدة حلحول هي منذ زمن طويل شوكة في جسد سلطات الاحتلال الاسرائيلية. ويعود ذلك جزئياً الى جرأة رئيس بلديتها محمد ملحم الذي يناقش في المسألة الفلسطينية ببلاغة مؤثرة داخل اسرائيل نفسها. وهو تلقى رسالة من جندي اسرائيلي شلت ساقه بعد صابته في احدى المعارك. ويحلم هذا الجندي بالسلام بين العرب واليهود، وقد وردت في رسالته عبارات لاذعة موجهة الى "المستوطنين الذين يحسبون ان من حقهم اقتلاع فلاح من ارضه لينصبوا مكانه خيمة". وهو يضيف: "اقدم لك احترامي وتقديري لاعلانك على الملأ صرخة شعبك من اجل الحرية".

وليس هذا الجندي هو الوحيد الذي ينادي بوضع حد لحركة الاستيطان. فهناك اقلية ناطقة ونشطة من الاسرائيليين، تضم عدداً وافراً من اعضاء الكنيست (البرلمان الاسرائيلي)، تساند حركة "السلام الآن" التي ظهرت عام ١٩٧٨.

ورغبة من اعضاء حركة "السلام الآن" في كسب تأييد شعبي ارسلوا، يشاركهم في ذلك ٣٥٠ جندياً وضابطاً احتياطياً في القوات المسلحة الاسرائيلية، عريضة الى مناحيم بيغن يطالبون فيها بسياسة اكثر مرونة ترمي الى تحقيق تسوية سلمية شاملة لازمة المنطقة.

ويقول امري بادان، الناطق باسم حركة "السلام الآن": "كنا على استعداد للتنازل عن اراض كثيرة على جميع الجبهات، بما فيها الضفة الغربية، في مقابل ضمان امني اكيد".

وفي الثاني من سبتمبر ١٩٧٨، اي قبل ثلاثة أيام من بدء محادثات نظمت حركة "السلام الآن" مسيرة داخل تل ابيب شارك فيها ١٠٠ الف اسرائيلي رفعوا شعارات تدعو الى السلام.

واليوم تشكل المستوطنات محور نشاطات حركة "السلام الآن". ذلك بان خطر هذه المستوطنات يتعدى احتمالات السلام الى اقتصاد البلاد نفسه. ويقول الجنرال الاحتياطي

مانياهو بيليد: "على رغم التكاليف الهائلة تبقى المستوطنات غير مكتفية ذاتياً. وهي عامل اساسي في التضخم المدمر الذي نعانيه".

ويقول ديدي تسوكر، وهو ناطق آخر باسم حركة "السلام الآن"، "ان ضم الضفة الغربية من شأنه قلب التوازن السكاني برمته، مما يهدد حتى صفة اسرائيل اليهودية". وتبعث هذه النقطة الرعشة في قلوب اسرائيليين عديدين. فهناك نحو ٥٠٠ الف عربي في اسرائيل، يقابلهم نحو ٣،٣ ملايين يهودي. فاذا اضفنا اليهم ١،٢ مليون عربي يسكنون الضفة الغربية وأخذنا في الاعتبار نسبة الولادات التي هي الاكثر ارتفاعاً لدى العرب. لفقد اليهود اغلبيتهم بعد جيل او جيلين.

اما الاستاذ يهوشافات هاركابي، وهو عماد وضابط استخبارات سابق يدرس حالياً في الجامعة العبرية في القدس، فيلاحظ انه ليس هناك عدد كاف من المستوطنين لملء المجمعات التي يخطط لها مناحيم بيغن ووزير الزراعة الجنرال اريل شارون. ويضيف هاركابي: "لم يستطع المسؤولون خلال عقد كامل ان يستقدموا اكثر من ثمانية آلاف يهودي للسكن في مستوطنات الضفة الغربية. حتى وان ارتفع عدد هؤلاء الى ١٥ الفاً فلن يتعدى المستوطنون حجم نقطة في بحر بالنسبة الى مئات الآلاف من سكان الضفة العرب".

وكانت السلطات الاسرائيلية ابعدت الى لبنان في ٣ مايو (ايار) ١٩٨٠ رئيس بلدية حلحول السيد محمد ملحم ورئيس بلدية الخليل السيد فهد القواسمة وقاضي الشرع في المدينة الشيخ رجب التميمي. واتهمت سلطات الاحتلال المبعدين الثلاثة بالتسبب في الوضع المتفجر في الضفة في اعقاب تصاعد المعارضة العربية لسياسة الاستيطان الاسرائيلية هناك. واثار هذا التصرف احتجاجات في الضفة وخارجها. ودان مجلس الامن الدولي عملية الابعاد ودعا اسرائيل الى الغاء قرارها "غير المشروع".

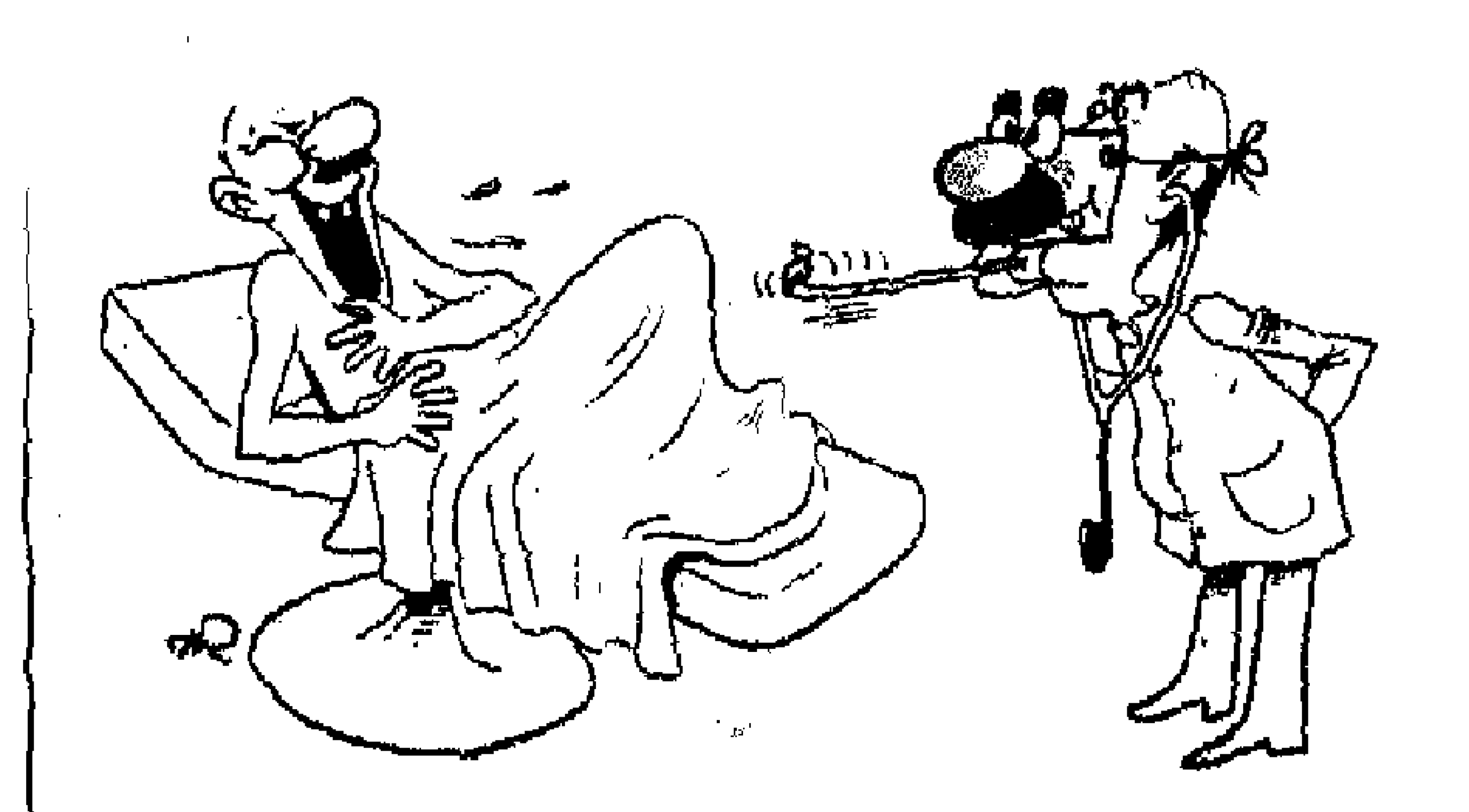
ويظهر المراقبون قلقهم ازاء موقف حكومة بيغن المتصلب من سياسة التوسع الاستيطاني.

وفي الولايات المتحدة، كما في بلدان كثيرة، لا يشك معارضو سياسة الاستيطان الاسرائيلية - حتى اكثرهم صراحة - في حق اسرائيل في الوجود او في الحدود الآمنة لكنهم يدينون السياسة التي تهدد بالخطر كل تسوية تعد بمنح اسرائيل الامن الذي سعت اليه طويلاً.

وعلى رغم الجدل المتزايد حول المستوطنات فقد طلبت تل ابيب من واشنطن مضاعفة المساعدات الامريكية لاسرائيل لتبلغ ٣،٤٥ مليارات دولار سنة ١٩٨٠. وما لم ينجح الرأي العام داخل امريكا وخارجها في ارغام اسرائيل على تعديل سياستها الاستيطانية في الارض العربية المحتلة منذ العام ١٩٦٧ فأن جزءاً غير قليل من دولارات دافعي الضرائب الامريكيين ستصب في مشروع هو في نظر واشنطن نفسها غير قانوني وعقبة في طريق السلام!.

■ ادوارد هيوز

الضحك خير دواء



اهون الشرور

كانت المدرسة الصغيرة المحافظة التي التحقت بها تدير جهاز التدفئة في بناية النوم بعد انقضاء فترة معينة من خريف كل عام. وذات عام جاءنا البرد قبل اوانه. فبذلنا مساعي دؤوبة مع الادارة للحصول على التدفئة، ولكن من غير جدوى.

وبعد ايام امضيناها في تلك الغرف الباردة غير المريحة، قررت وصديقاتي ان نقوم بعمل مؤثر لافت. ولأننا كنا نعلم ان بناء نومنا نحن الطالبات يواجه بناء الطلبة البارد بالمثل، فقد دلينا من الطابق الثالث لافتة كتبنا عليها: "اديروا جهاز التدفئة حالا والا ادرنا رؤوس الفتيان".

وبعد ساعات قليلة كان جهاز التدفئة يؤدي مهمته بكفاية تامة.

ك.غ.

المحامي البارع

استدعى رجل بخيل، وهو على سرير الموت، طبيبه ومحاميه ورجل الدين في محلته. وابلغهم وصيته الآتية:

"طالما سمعت ان الانسان لا يأخذ معه شيئا من هذه الفانية، لكنني قررت كسر هذه القاعدة. ولذلك احضرت ثلاث رزم، في كل منها ٣٠ ألف دولار. وانا ارجو كلا منكم ان يحمل رزمة ويرميها في ضريحي قبل ان يهال التراب عليه".

وفي الدفن رمى كل من الثلاثة رزمة من يده. ولدى مغادرتهم المكان، اعترف رجل الدين بأنه ابقى معه عشرة آلاف دولار لصرفها على مشروع ديني. وأقر الطبيب بأنه احتفظ بعشرين الفاً تعينه في بناء مستشفى صغير. اما المحامي فقال: "لقد اخجلتماني ايها الصديقان. فانا رميت حوالة مصرفية بالمبلغ كله".

ج.س.

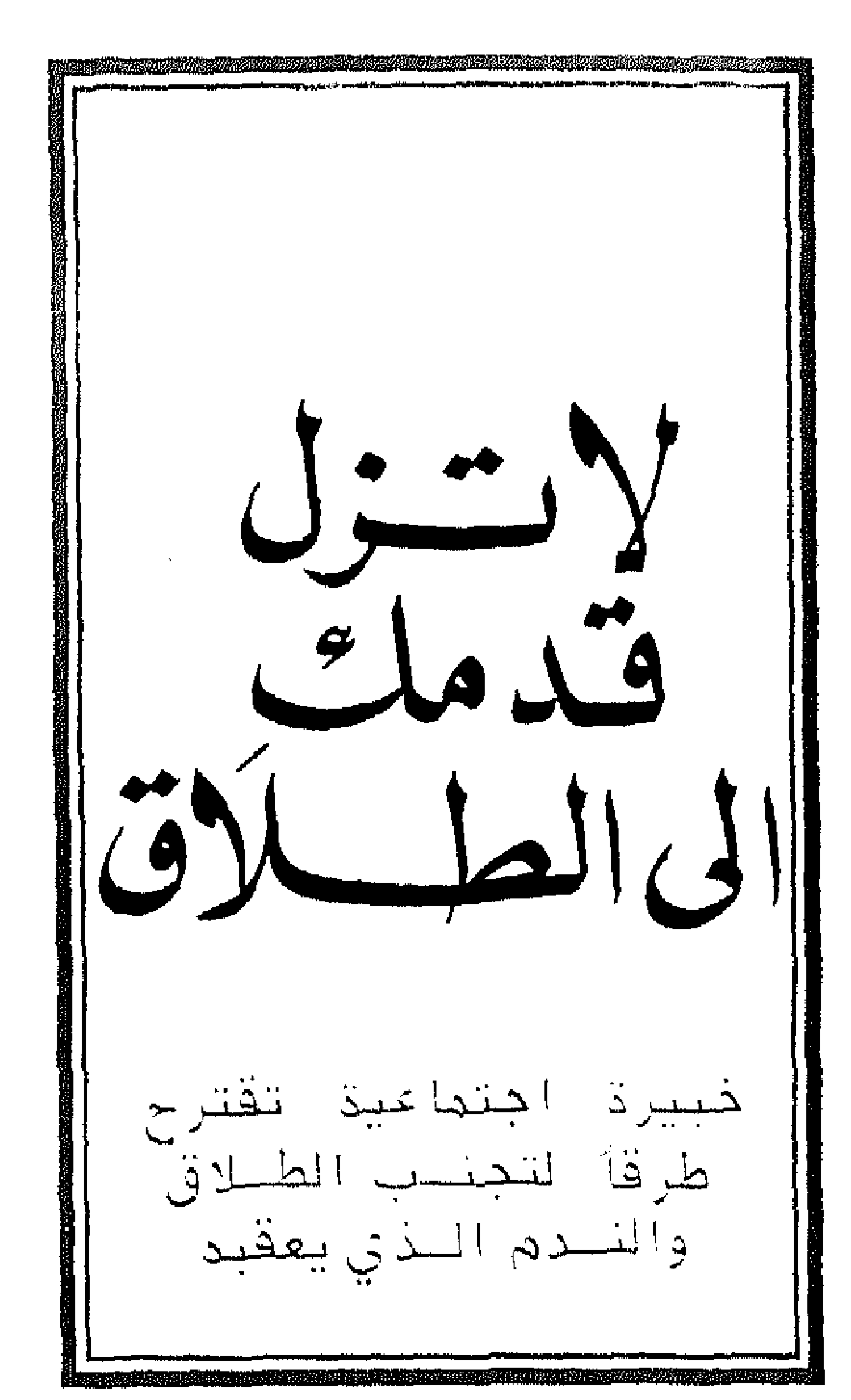
زوجة متفهمة!

اعترف رجل لزوجته بأن له عشيقة، وانها راقصة في ناد ليلي. فطلبت ان يصحبها لمشاهدة العرض والفتاة.

ووافق الزوج على مضض. وعندما بدأ العرض، اشار الزوج الى شقراء طويلة القامة في صف الراقصات، قائلا: "هذه هي فتاتي. اما ذات الشعر الاحمر في آخر الصف فهي صديقة شريكي".

ونظرت الزوجة بطرف عينها الى الفتاة ذات الشعر الاحمر، ثم تفحصت الشقراء بعناية، واخيراً همست: "اتعرف؟ اني افضل فتاتنا!"

و.و.



السنوات الأخيرة التي حاضرت وكتبت فيها عن الطلاق حملت إلي روايات كثيرة من رجال ونساء تعبر عن ندمهم على إنهاء زواجهم. هؤلاء هم الناس الذين طلقوا عن خطأ ـ لأن الطلاق بات سهلا هذه الأيام، أو لأنهم أخطأوا في تقدير المواقف وإصدار الأحكام. والعديد منهم استخدم العبارة نفسها: "آه لو حاولت فقط أن أحل مشاكلي عوضاً عن الهرب منها الى الطلاق!"

كيف يحصل الطلاق خطأ؟

ليس هناك اختبار مضمون للاجابة عما اذا كان ممكناً أو واجباً إنقاذ زواج ما. إلا أن هناك طرقاً من شأنها تجنيب الوقوع في ستة مزالق شائعة.

١. لا تتهالك على الطلاق.

هناك رجل لم يكن سعيداً في حياته الزوجية. ولكن لم يتمكن من تحديد عدم رضاه أو الهرب من واقعه. كل ما كان يعرفه أن حياته كانت "خطأ بخطأ".

وأحس بأنه أسير البلدة التي يعيش فيها وينطلق منها الى عمله. وسفه القيم التي ينادي بها المتزوجون الآخرون. وبات يتشاجر كثيراً مع زوجته حول المبادىء التي تعتنقها. وأسرع الى محكمة الطلاق كما لم يسرع من قبل الى أي تغيير رئيسي في حياته، ظناً منه أن الطلاق يكفل إخراجه من مأزقه ومن حال الركود التي يعيشها.

هذا الرجل يشغل اليوم الوظيفة نفسها ويعيش في بلدة شبيهة جداً بالبلدة السابقة. لكنه لا يزال تاعساً كما كان، مع فارق واحد هو أنه اليوم يعيش وحيداً. وقد أدرك هو وسواه أن الطلاق حل لمشكلة واحدة هي مشكلة زواج غير فعال. لكنه ليس علاجاً لوظيفة غير مرضية أو للاضطراب الذي يلازم مرحلة منتصف العمر أو لكره الذات.

والناس الذين يطلقون لدافع لا علاقة له بالزواج لا يكتفون بالعجز عن حل مشكلتهم، بل ينفصلون عن الشخص الوحيد الذي كان في امكانه ان يقدم إليهم عوناً حقيقياً.

٢. لا تزل قدمك الى الطلاق.

اذا كنت مطلقاً في هذه الأيام، فهذا لا يمنع أن تصبح رئيس مجلس

ادارة لاحدى الشركات أو ترشح نفسك لمنصب عام أو تكون مقبولا من معارفك وجيرانك. والمشاكل المالية لم تعد عائقاً. وهذا كله يعني أنه من السهل أن تزل" قدمك الى الطلاق.

هناك امرأة اختارت الطريق "السهل". لقد سئمت حياتها وشعرت بأنها غير نافعة. وقدرت أن الطلاق لن يؤثر على مهنة زوجها الناجحة التي كرس وقته لها، ولا على راحة أولادها المتزوجين أو سمعتهم. وتركت زوجها يبدأ حياته الخاصة من جديد. غير انها اليوم تتلقى علاجاً للشفاء من الكآبة وفقد المعنويات. ان هذه المرأة،في محاولةيائسة لبث شيء من الحيوية في كيانها، قضت على أفضل وسيلة كانت لديها لاذكاء شعلة حياتها. وعلينا أن نأخذ منها عبرة، فنحذر الانزلاق نحو الطلاق كما فعلت.

٣. لا تجعل من الطلاق موضوع كلام.

بعضهم يهدد شريكه بالطلاق اذا كرر أمراً غير مستحب. ولئن كان هذا التهديد مجدياً في الماضي، فهو اليوم لم يعد يجدي. وقد اخبرتني امرأة عمدت الى تهديد زوجها بالطلاق أنه أجابها بأن تنفذ ما قالته. وأضافت باكية: "أرجوك ان تنصحي الناس بعدم ذكر الطلاق إلا اذا كانوا جادين!"

ومهما تكن خلفية الزوجين ومشكلاتهما، فالكلام عن الطلاق من شأنه أن يحل رباطهما الزوجي بسرعة فائقة. ان تبادل الكلام عن الطلاق أمر هدام لأن الزواج، بمعنى، هو كيان من الأحلام والذكريات والتوقعات. واذا أكثر احد الزوجين من التهديد بالطلاق، فهذا يقضي نهائياً على شيء من البراءة ويدنس سراً زوجياً مقدساً. وربما كانت الصدمة من القوة بحيث تولد حساً مريراً بالثأر لدى الطرف الآخر. ومن النادر أن يستمر الزواج بعد أشهر من الكلام الدائم عن الطلاق.

٤. لا تقع ضحية مؤامرة للطلاق.

لئن تكن الزوجات يحرضن، الى حد كبير، على الطلاق، فالأزواج عادة مسؤولون عن تفجير الوضع في النهاية. وظناً منهم أنه ليس من الشهامة أن تبدأ عملية الطلاق من جانبهم، فهم يتمادون في التصرف على نحو ذميم الى أن تطلب الزوجة الطلاق.

فاذا كان رجل متيماً بامرأة اخرى أو شاء أن يعود أعزب من جديد، فهو يبدأ رمي الحطب في النار. فيكثر الشراب ويسهر طويلا خارج البيت ويتصرف حيال زوجته كما يفعل النمر مع فريسة ضعيفة. وعندما يطفح كيل الزوجة وتذكر الطلاق، فهو يهز كتفيه قائلا: "لا خير من هذا الحل إن كان ما تريدين". وليس من السهل أن يدافع المرء عن نفسه في وجه خطة مدبرة بحرص كبير.

ولكن ليس ضرورياً أن تكون هذه النتيجة هي ما يطمح اليه الشريك المخطط دائماً. وربما لم يكن يريد سوى اختبار المدى الذي يمكن بلوغه. وهناك امرأة استسلمت لخطة زوجها، لكن الاثنين نادمان اليوم على ما حصل. فقد أنشأ الزوج علاقة عابرة مع امرأة تصغر زوجته سناً،

وكان سلوكه الشرس في البيت من قبيل رد الفعل الهدام النابع من شعوره بالذنب. وتتمنى زوجته اليوم لو واجهت الوضع آنذاك بقولها له: "اذا كنت تظن أنك تسعى الى التحرر والانفلات، فالجواب: لا!" لكنها، عوضاً عن ذلك، سقطت في الشرك الذي نصب لها وسارعت الى التهديد بالطلاق. فما كان من زوجها، الذي آلمه التهديد، إلا أن منحها ما طلبت. وسرعان ما انتهت قصة الحب التي نشأت بينهما. ولكن كيف له أن يبطل اليوم ما حدث؟ لقد فرط عقد زواجه.

ولنقارن بين هذه المرأة وأخرى رفضت أن تستعجل الطلاق. هذه احتفلت بذكرى زواجها الثانية عشرة من زوجها الثاني. وقد عانى زوجها في السنوات الماضية نكسات مالية محطمة جعلته يلجأ الى أقسى ردود الفعل نحو نفسه ونحوها. وحين سألتُها عن سر قوة هذا الزواج بالنسبة الى زواجها الاول الذي لم يتصف بأفعال من هذا النوع، أجابت:

"هناك سببان. الاول أني تعلمت أن أكف عن القول: "ليته كان غير ما هو عليه". وكلما سمعت نفسي قائلة: "ليته كان أكثر نجاحاً أو أقل نكداً أو أقوى على تحمل الخيبة"، كنت أعض لساني. فأنا أعرف أنه كائن غير كامل، تماماً كما أنا، يحاول أن يعيش حياته، أما السبب الثاني فهو أني احاول ألا أدع الكآبة تسيطر عليّ في الوقت نفسه الذي تسيطر عليه. فأنا أعلم أن حالات الغيظ والغم لديه تمر بسرعة. ولذلك احاول السيطرة على انفعالاتي الى ان تستقيم حاله، والنتيجة أننا، معظم الأحيان، سعيدان جداً معاً".

هكذا نرى أنه في الامكان وقف السعي الى الطلاق اذا لم يكن قائماً على مؤامرة عنيفة.

٥. لا تدع المحاكم تستدرجك الى الطلاق.

على رغم أن قسم المحامين يقضي بمساعدة الأزواج على المصالحة في حال نشوب خلاف واستشارتهم في شأن الطلاق، إلا أن بعضهم يحاول تضخيم الامور على نحو يعزز إمكانات الطلاق. وعندما تغدو التفاصيل المحزنة لحياة زوجين عرضة لاعادة الصياغة على يد محام بارع الحجة، فمن السهل أن تتحول الافعال العادية جرائم على الورق. وما أن يتبلغ الطرف المعني قائمة تتضمن بدل أتعاب المحامي حتى يكون الزواج قد شارف على النهاية. فاذا لم يكن المرء جاداً في طلب الطلاق، فهو يجازف كثيراً بدخوله عالم المحامين والمحاكم.

وأحياناً يكون مجرد طلب المشورة أمراً خطراً. وقد كتبت اليّ امرأة تخبرني عما حلّ بها من هذا القبيل. فهي كانت زوجة مزارع طوال ٢٣ سنة تخللتها بعض الخلافات الزوجية. وحين أخبرت والدها بالأمر بعد هذه السنوات، حثها على استشارة محام لحفظ حقوقها، قائلا: "لا تنسي أن أكثر من نصف الأرض هو لك: انه ما وهبتك اياه لدى تقاعدي".

وكان أن رضخت لنصيحة والدها وذهبت الى مكتب محام. وحين اكتشف زوجها الأمر أحس بصدمة قوية وجرح في كرامته. وفي فورة

اهتياجه اتصل بمحاميه يسأله: "ماذا يمكنها أن تفعل ضدي؟" وهكذا أخذ القانون مجراه، وتشاور محاميا الطرفين، وحصل الطلاق. وكتبت المرأة تقول لي: "هذا كان يجب ألا يحصل اطلاقاً".

ان عبرة هذا الحادث واضحة، وهي الآتية: اذا لم تكن متأكداً من رغبتك في الطلاق، ففكر في الأمر ملياً قبل الاتصال بمحام.

٦. لا يغررن بك أحد للطلاق.

هناك رجال ونساء كثيرون اليوم يدفعهم الى كسر الرابطة الزوجية ما تقدمه اليهم وسائل الاعلام الغربية من برامج مليئة بالمشاهد المثيرة والمواقف المفتعلة يؤدي بطولتها أشخاص بارزون في فنون التسلية والرياضة وسواهم من وجوه المجتمع، ويصورون فيها حياتهم الناجحة بعد الطلاق.

ويستبعد أن يأخذ المرء مجلة غربية بين يديه لا يقع فيها على مقال يطري شجاعة اناس بنوا حياة جديدة مثيرة على أنقاض زواج مخفق. وهذه القصص حقيقية، وهي تتكلم عن نجاح ولدته الضرورة. ولكن ماذا يحدث ان قرأت ربة بيت غير سعيدة بأولادها الذين لا يكفون عن الحركة والصياح وبزوجها السيء الطبع وبأكوام الثياب المتسخة التي يجب غسلها، عن مطلقة خمسينية تدير محلا للملبوسات وتذهب في رحلات تجارية وتستطيب عشرة الشباب؟ ألا يحمل هذا النوع من الاعلام خطراً الى زواج مضطرب؟

الطلاق ليس دواء للتعاسة ولا للملل، ولهذه الحالات علاج، لكنه ليس تحطيم الزواج. وأسهل من الهدم ان نبني حياة مثيرة نحياها مع شريك.

ان الطلاق لم يعد بالضرورة كابوساً أو أمراً مستحيلا. وبعضهم يجد راحة عظمى في هذا الواقع الجديد. ولكن من المهم أن نتذكر أن الطلاق ليس حلا لأي مشكلة سوى مشكلة الزواج التاعس حقاً، وأحياناً ليس هو حلا حتى لهذه المشكلة.

اني لا أدعو أحداً الى الابقاء على زواج استحال جحيماً. لكني اريد التذكير بقدرة الزواج على بناء الذات على نحو حازم، وبأن المكان الأفضل لحل كثير من المشكلات هو البيت.

■ **لويز مونتاغ**

مؤسسة الاتحاد الامريكي القومي للنساء المطلقات، ومؤلفة عدد من الكتب، منها "دليل المطلقة" و"خطة حياة جديدة".

حتى الدولار...

اين ستنتهي المنافسة بين اليابان والولايات المتحدة؟
لقد صنعت اليابان اولا اجهزة الراديو، فجعلتها اقل ثمناً. ثم صنعت اجهزة التلفزيون بثمن ادنى. والامر نفسه حصل بالنسبة الى السيارات. وها هي اليابان تجعل الدولار أقل ثمناً.

مطلع قرن جديد

يحتفل المسلمون هذه السنة ببداية القرن الخامس عشر. ففي ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ يدخل التقويم الهجري قرناً جديداً.

عند غروب يوم ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ يبدأ قرن جديد هو القرن الهجري الخامس عشر.

فهذا اليوم، بالنسبة الى المسلمين، هو اليوم الاول من العام ١٤٠١ الهجري (★) نسبة الى العام الذي هاجر فيه محمد رسول الله (صلعم) من مكة الى المدينة فاتخذ بداية للتقويم الاسلامي (الهجري). وطبقاً للتقويم الميلادي، حدثت الهجرة سنة ٦٢٢ ميلادية.

ويعتبر حساب التقاويم لدى معظم الناس العاديين أمراً معقداً.

بل ان الخبراء يجدون صعوبة أحياناً في أن يوضحوا بجلاء السبب في أن العام ١٩٨٠ هو في التقويم الصيني الاسطوري العام ٤٦٥٤، أو

(★) في كل من التقويمين الاسلامي والميلادي تكون السنة الاولى من القرن الاول هي السنة ١؛ ومن ثم فان السنة الاولى من القرن الثاني هي السنة ١٠١؛ وتكون السنة الاولى من القرن الهجري الخامس عشر هي السنة ١٤٠١.

في اهمية السنوات الكبيسة او في أن شهر فبراير (شباط) في التقويم الميلادي لا يضم الا ٢٨ يوماً، أو في أن اشهر سبتمبر (أيلول) وأبريل (نيسان) ويونيو (حزيران) ونوفمبر (تشرين الثاني) يحتوي كل منها على ثلاثين يوماً.

والواقع أن اضطراب التقاويم كان أحد العناصر التي حفزت عمر بن الخطاب، ثاني الخلفاء الراشدين، على وضع تقويم اسلامي خالص. وكانت دقة التقاويم قليلةالاهمية لدى المسلمين في العالم العربي حتى بداية عهد عمر، عندما أخذت الدولة الاسلامية في الاتساع على نحو تعاظمت معه مشكلات ادارتها.

لقد وجد عمر نفسه يواجه المراسلات الواسعة النطاق مع القادة العسكريين وحكام مناطق الدولة وأقاليمها، الى جانب المهمات اليومية التي يقتضيها أمر تنظيم الشؤون المالية. وأخيراً كتب رجل - هو أبو موسى الاشعري الذي أصبح في ما بعد والياً على الكوفة - الى عمر يلفته الى مشكلة مهمة، اذ قال له: "انك ترسل لنا خطابات بلا تاريخ".

وأدرك عمر مدى الارتباك الذي يمكن أن تؤدي اليه الخطابات غير المؤرخة، وبحث الامر مع مستشاريه، فتبين له أن التقاويم المختلفة المتبعة في أنحاء الامة الاسلامية تثير الارتباك بتنوعها.

كان اليهود يستخدمون تقويماً تحسب بدايته من تاريخ "خلق العالم"، وهو تاريخ تحف به شكوك لها ما يبررها. أما التقويم المسيحي فكان يعتمد تاريخ ميلاد المسيح. وكان الاقباط في مصر يتبعون تقويماً يبدأ من تاريخ اعتلاء الامبراطور دقلديانوس (ديو كليشان) عرش الامبراطورية الرومانية، في حين استخدمت جماعات أخرى تقويم "عهد الاسكندر". وكان التقويم الفارسي يبدأ بتاريخ اعتلاء الملك يزدجرد عرش الامبراطورية الفارسية.

ونظراً الى هذا الارتباك العام - ولان هذه التقاويم المختلفة ارتبطت بديانات أخرى او بتواريخ دول مناهضة - قرر عمر احداث تقويم اسلامي.

قوم يعلمون - كانت الخطوة الاولى، بطبيعة الحال، اختيار تاريخ البداية، وكان الاقتراح البديهي ان يكون عام ميلاد النبي هو أول أعوام التقويم الجديد. غير أن ذلك التاريخ لم يكن محدداً على نحو قاطع. ولذا برز اقتراح آخر لقي الموافقة والقبول، وهو أن يتخذ عام الهجرة بداية للتقويم الجديد.

غير أن المسلمين لم يحسبوا يوم وصول محمد (صلعم) الى المدينة اول أيام العام في التقويم، وانما جعلوا يوم البداية ذاك اليوم الاول من الشهر الاول، وهو شهر محرم. وبذلك بدأ التقويم باليوم الاول من شهر محرم عام ١ الهجري الذي يوافق ١٦ يوليو (تموز) عام ٦٢٢ ميلادي (وبعض المراجع يذكر أن هذا اليوم هو ١٥ يوليو (تموز) حيث ينشأ الخلاف نتيجة كون المسلمين يحسبون أيامهم من غروب الشمس الى غروب الشمس، بينما يحسبها الغربيون من منتصف الليل الى منتصف الليل).

وقد ورد في الآية ٥ من سورة يونس: "هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون". وهذا يتضمن توجيها للمسلمين الى استخدام الاشهر القمرية - أي استخدام تقويم يعتمد منازل القمر. لذلك فان السنة الهجرية لا تتوافق مع السنة الميلادية التي تعتمد في حسابها السنة الشمسية. ويحتوي الشهر القمري على ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٣ ثوان. والسنة القمرية التي تحتوي على ١٢ شهراً من هذه الاشهر القمرية مدتها ٣٥٤ يوماً و٨ ساعات و٤٨ دقيقة و٣٦ ثانية، أي انها اقصر من السنة الشمسية بنحو ١١ يوماً.

عملية حسابية - جرى التقليد على أن تدوم اشهر السنة الهجرية ٢٩ يوماً و٣٠ يوماً بالتبادل. وهكذا تحتوي السنة الهجرية على ٣٥٤ يوماً. اما فارق الـ ٨ ساعات و٤٨ دقيقة و٣٦ ثانية (١١ جزءاً من ٣٠ من اليوم) بين هذا الرقم والطول الحقيقي للسنة القمرية فيبلغ ١١ يوماً في كل دورة مدتها ٣٠ عاماً. وتدرج هذه الايام الاحد عشر في التقويم في سنوات كبيسة.

وعلى ذلك فان كل دورة مدتها ٣٠ عاماً تحتوي على ١١ سنة كبيسة تضم كل منها ٣٥٥ يوماً بدلا من ٣٥٤ يوماً. وأرقام هذه السنوات في الدورة هي عادة: ٢، ٥، ٧، ١٠، ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٩. ويضاف "اليوم الكبيس" في هذه السنوات دائماً الى نهاية شهر ذي الحجة، وهو شهر الحج الى مكة المكرمة وآخر اشهر السنة الهجرية. وتتبع في التقويم الميلادي طريقة مماثلة باضافة يوم الى شهر فبراير (شباط) مرة كل أربع سنوات.

ونظراً الى ان السنة الهجرية اقصر من السنة الميلادية بأحد عشر يوماً، فان بداية كل سنة هجرية تأتي - بالنسبة الى التقويم الميلادي - مبكرة عن سابقتها بأحد عشر يوماً. وبذلك فان السنة الهجرية تتراجع باطراد بالنسبة الى السنة الميلادية، فتقع الاعياد الاسلامية في أوقات مختلفة من كل عام ميلادي، مع بقائها ثابتة في مواعيدها من العام الهجري. وفي كل ٣٣ سنة هجرية تقريباً، تكمل اشهر التقويم الهجري دورة كاملة الى الخلف بالنسبة الى فصول السنة. وهذا ما يفسر السبب في أن الحج يقع في منتصف الشتاء احياناً وفي فصل الصيف احياناً اخرى. ذلك لان اشهر السنة الهجرية، خلافاً لاشهر السنة الميلادية، لا ترتبط بالفصول الاربعة.

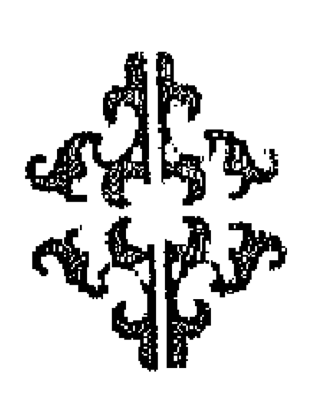
وعملية تحويل التواريخ الميلادية الى تواريخ هجرية، أو العكس، ليست الغريغوري بالامر السهل. وما يزيد المسألة تعقيداً ان التقويم الميلادي الحالي - وهو التقويم الذي اوجده البابا غريغوريوس الثالث عشر - لم يبدأ تطبيقه الا عام ١٥٨٢ في اوروبا وفي منتصف القرن الثامن عشر (١٧٥٠) في بريطانيا. أما التواريخ السابقة فلا بد من حسابها طبقاً لتقويم آخر، هو التقويم الجولياني الذي كان متبعاً من قبل والذي ادخله الامبراطور الروماني يوليوس قيصر

عام ٤٦ قبل الميلاد. وقد اعتمد التقويم الغريغوري القاعدة نفسها التي اعتمدها التقويم الجولياني.

الا ان تحويل السنوات فهو أكثر سهولة. من تحويل التواريخ. والقاعدة المبسطة هي ان كل قرن ميلادي (غريغوري) يعادل نحو ١٠٣ سنوات هجرية، وأن كل قرن هجري يعادل نحو ٩٧ سنة ميلادية غريغورية.

وهناك علامة مفيدة في ضبط الحساب، وهي أن العام ١٣٠٠ الميلادي يوافق العام ٧٠٠ الهجري. ولدينا الآن علامة أخرى أقرب من ذلك، وهي أن ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ يوافق غرة محرم ١٤٠١ هجرية، وهو أول أيام السنة الاولى من القرن الهجري الخامس عشر.

■ بول لوندي



أعراض غير مألوفة

الفرق بين قراءة كتاب في الطب العام وآخر في الطب النفسي هو ان القارىء،في الحال الاولى، يظن ان لديه جميع الامراض التي يصفها الكتاب. أما في الحال الثانية فيظن ان معارفه هم المرضى.

و.ر.

فرخ البط...

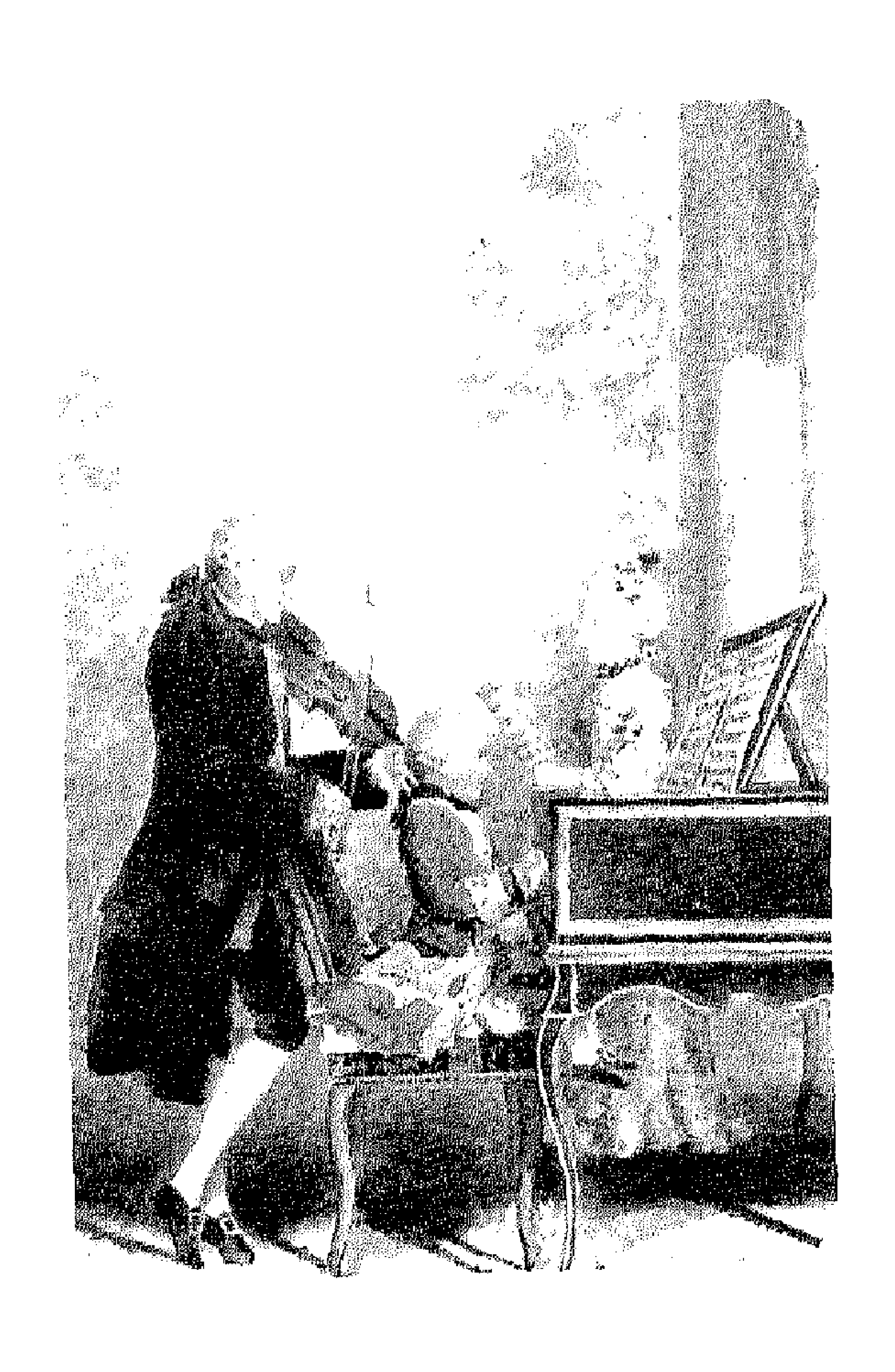
اصطحب رجل ابنته الصغيرة الى نادي سباق الخيل. وشاهدت الفتاة أباها يدفع مبلغاً من المال على الصندوق قبل ان يجلس لمشاهدة السباق. وانتظرت الصغيرة طويلا قبل ان تبوح لوالدها بأفكارها: "متى يحين دوري في ركوب الحصان".

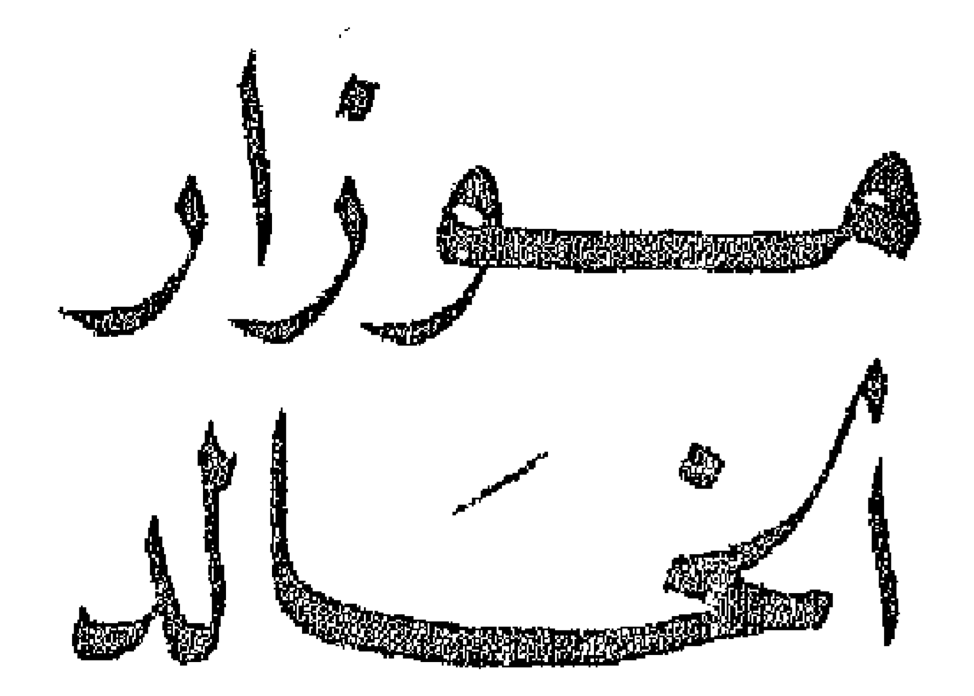
ا.و.

طرد ميتافيزيقي

قال الممثل الساخر وودي الن معلقاً على دراسته الجامعية:

"لقد طردت من جامعة نيويورك خلال سنتي الدراسية الاولى لأنني لجأت الى الغش في امتحان مادة الفلسفة الميتافيزيقية، اذ انعمت النظر داخل روح الطالب الجالس الى جانبي".





موزار الخالد

طفولة في الشمس، ورجولة في الظل، وقبر بلا شاهدة...
وشهرة خالدة

اذا طفت في احد الشوارع وانفرجت شفتاك عن صفير هادىء، فمن الارجح انك رحت تصفر لحناً من الحان موزار. فلكَم ترددت الحان هذا الموسيقي العبقري على اسماعنا منذ الطفولة، وتغلغلت في نفوسنا واستقرت في اعماق آذاننا الباطنية وأصبحت جزءاً حميماً من الكنز الموسيقي الذي ادخرناه. وأي نفحة عابرة من الهناء تهب في حنايانا فتهز كوامننا وتنتزع من شفاهنا انغاماً موزارية مثل "اللحن الليلي الصغير"!

ولا عجب، فلقد قضى فولفغانغ اماديوس موزار حياته القصيرة (١٧٥٦ - ١٧٩١) في انتاج خصب

للالحان التي بلغ عددها ٦٢٦ لحناً موزعة على اغان ورقصات، والقطع الموسيقية المعدة لآلة مفردة او آلتين (سونات)، والموسيقى الكنسية، والمؤلفات الموسيقية الكبرى (كونشيرتو)، اضافة الى ٥٠ لحناً موسيقياً طويلا (سيمفونية) و١٩ اوبرا، ومن اشهرها وأحبها "زواج فيغارو" و"دون جيوفاني" و"الناي السحري". ويعكس معظم هذه الانغام المتنوعة حماسة واقبالا على الحياة ساعدا الموسيقي على مغالبة المتاعب الكثيرة التي واجهها، ولم تخبُ جذوتهما الا في ايامه الاخيرة.

وتدفقت عبقرية موزار في كل مكان ومن دون انقطاع. فهو ألف، مثلا، لحناً شهيراً في احدى المباريات في لعبة البولينغ، ولحناً آخر أمام طاولة البليياردو، كما كان يؤلف – أو يتأمل حسب تعبيره – خلال رحلاته في عربات البريد المتخبطة ارتفاعاً وانخفاضاً في ذلك العهد. وهو يتحدث في أحدى رسائله عن الانتهاء من وضع أوبرا في نزل كان يقيم فيه "بين عازف على الكمان في الطابق الأعلى، وآخر في الطابق الأسفل، واستاذ غناء في الغرفة المجاورة، وعازف على المزمار في الغرفة المقابلة. وكلها مصادر وحي والهام لا ينضب معينها!"

وكانت الموسيقى تجري في عروقه، فقد كان والده ليوبولد رئيساً لجوقة مطرانية سالزبورغ. وخلال دروس الموسيقي التي كان ليوبولد يعطيها لابنته ماريا – آنا (نانيرل) الاكبر سناً من فولفغانغ، كان الصبي يراقب الدروس باهتمام، ويداه الصغيرتان تداعبان اوتار البيانو القيثاري. ولم يكد يبلغ الخامسة من العمر حتى كان يعزف بلا ادنى خطأ مؤلفات طويلة، ويرتجل بعض المعزوفات القصيرة. فاستثار بذلك ابتهاج ليوبولد الذي عقد العزم على تكريس نفسه لتنمية مواهب الصبي.

وفي العام ١٧٦٢ اصطحب ليوبولد كلا من فولفغانغ ونانيرل إلى فيينا، درة الامبراطورية النمسوية المتألقة، حيث طُلب من الصغيرين أن يعزفا في البلاط الامبراطوري أمام الامبراطور فرنسوا الأول. وبعد ذلك رافقا أباهما في جولة استمرت ثلاث سنوات ونصف سنة، جعلت من فولفغانغ أشهر طفل في أوروبا. ووصفته صحيفة "بابليك آدفير تايزر" اللندنية بقولها: "إن أعظم طفل عبقري تفخر به أوروبا، بل البشرية جمعاء، هو بلا نزاع ذلك الألماني الصغير فولفغانغ موزار".

ولم يكن النجاح باعثاً على تجريد فولفغانغ من الانفعالات التي يتميز بها أي طفل طبيعي. فكان وجهه الرقيق، الذي يكسوه جدّ تام حين يعزف، يضيء بالمرح الطفولي عندما يجيء وقت اللهو واللعب. وكانت عيناه البنيتان الواسعتان تحفلان بمقدار لا يستهان به من عبث الأطفال. وقد قال شاهد عيان بريطاني في هذا الصدد: "كان الطفل العبقري من حين الى آخر يركض حول الغرفة ممتطياً عصا بين ساقيه بمثابة الحصان".

وفي هذه الاثناء اصطحب ليوبولد الفتى فولفغانغ إلى إيطاليا، أرض الموسيقى والموسيقيين، حيث كانت

الشهرة سبقت هذا المراهق. وأخذت المدن الايطالية، واحدة بعد اخرى، تستسلم لعبقريته. فمنح فولفغانغ في مدينة بولونيا عضوية الأكاديمية الموسيقية التي لا ينالها المرء الا بشق النفس، على رغم أنه كان أصغر بسنوات من الحد الأدنى لسن العضوية، وهي عشرون عاماً. وفي روما منحه البابا كليمنت الرابع عشر وسام المهماز الذهبي. وفي ميلانو أخرج أولى أوبراته الكبرى، "ميثريداتيس"، التي ألف ألحانها بسرعة آلمت أصابعه، والتي أعيد عرضها عشرين مرة في قاعة لم يبق فيها موضع لقدم.

مدينة الساعات - في تلك الايام، كان معظم الفنانين الشباب ذوي المواهب المبشرة بنبوغ مرتقب يبحثون عن مراكز لهم في البلاطات الملكية او الأميرية الاوروبية. وعندما عاد فولفغانغ الى سالزبورغ التحق بخدمة رئيس الأساقفة كموسيقي في بلاطه وكان في السادسة عشرة من العمر. لكن سالزبورغ كانت آنذاك مدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ١٦ الف نسمة، تسودها حياة نصف ريفية ويسهل فيها الفوز بالساعات المرصعة بالماس وبالتصفيق أكثر مما يسهل الحصول على مركز مرموق، مما حمل موزار على مغادرتها بعد حين الى مدينة مانهايم الشهيرة بفرقتها الموسيقية، حيث عزف في قصر الحاكم المحلي الكونت بالاتين وقبل يده. فقال له الكونت: "لقد عزفت عزفاً لا نظير له"، ثم أهداه ساعة أخرى كانت الخامسة التي تلقاها موزار. لكنه لم يمنحه وظيفة.

وفي مانهايم التقى فولفغانغ اسرة فيبر المؤلفة من الأب فريدولين، وكان ناسخ موسيقى، وزوجته ماريا سيسيليا وكوكبة من البنات ذوات المواهب الفنية. وسرعان ما وقع الشاب في غرام ألوزيا ذات الخمسة عشر ربيعاً. وما ان علم ليوبولد بالأمر حتى انفجر غضباً، ووجه الى فولفغانغ رسالة شديدة اللهجة يأمره فيها "بمغادرة المدينة إلى باريس حيث تنطلق شهرة المرء واسمه الى آفاق العالم".

وتوجه العاشق الحزين ذو الاثنين والعشرين عاماً إلى باريس، فلم يحظ بأي شهرة او وجاهة. فاضطر للعودة الى سالزبورغ ليأكل خبز رئيس الأساقفة المرير.

اما اليوم فقد اصبحت سالزبورغ تدعى موزارتاون او مدينة موزار وكل ما فيها يتغنى باسمه: كل حجر وقبة وبرج مستدق. وكنيت أكاديميتها الموسيقية (موزارتيوم) باسمه، ويقام فيها كل عام "أسبوع موزار" في اطار مهرجانها الموسيقي الذي تعزف فيه روائع الموسيقي العظيم. وقد تحول البيت الذي ولد فيه الى متحف يستقطب جماهير السياح من انحاء العالم ويزين تمثاله ساحة المدينة. ومن سخرية القدر أن يتحقق كل ذلك في مدينة كان يكرهها فولفغانغ في الحقيقة.

وتعود تلك الكراهية الى سوء طبع سيده كبير الأساقفة هيرونيموس كولوريدو الذي عامله كخادم بسيط. فكان الموسيقي، عندما يتناول

وجباته في البلاط يجلس بين الخدم والطهاة. وقد تحمل فولفغانغ هذه المعاملة تسع سنوات كاملة، ولكن في العام ١٧٨١ حرم عليه كبير الأساقفة كولوريدو احياء حفلات موسيقية خاصة به في فيينا، فترك موزار خدمته وذهب لمقابلة الكونت آركو، مساعد كولوريدو. وبعد أن تبادل الاثنان الاهانات، رفسه الكونت طارداً اياه من الغرفة. وكان من شأن تلك الركلة ان جعلت من الموسيقي رجلا حراً، وفوق ذلك مواطناً من اهالي فيينا.

وبدت فيينا المفتونة بالموسيقى "مدينة رائعة في عيني موزار وأنسب مكان في الدنيا لمهنتي". وشاء الحظ ان تستقر السيدة فيبر الأم بعد ترملها في فيينا مع ثلاث من بناتها. وكانت ألوزيا قد تزوجت أحد الممثلين، لكن شقيقتها كونستانس الأصغر منها سناً فكانت لا تزال عزباء. فتزوجها موزار بعد خطبة قصيرة، وبقي زوجاً وفياً مخلصاً طوال سنوات زواجهما التسع التي انتهت بوفاته. وقد أنجبا ستة أطفال لم يعش منهم بعد الفطام سوى صبيين.

برافو موزار! - احتفت فيينا بالوافد الجديد واحاطته بآيات التقدير. فأصبح موزار يتقاضى أجراً عالياً في مقابل دروسه الموسيقية. وغدت حفلاته العامة، التي كان يعزف فيها أحدث مؤلفاته، شغل المدينة الشاغل. وكان هو انتقل من العزف على البيانو القيثاري الى البيانو المستحدث آنذاك وما يتسم به من انغام عذبة رخيمة تتصاعد من لمسات موزار الرائعة التي تبلغ حد الاعجاز، فيكافئها دوي التصفيق المتواصل وهتاف الجمهور: "برافو موزار!"

وكانت حفلة افتتاح الاوبرا الخفيفة "جناح الحريم" او "سيراليو" بحضور الامبراطور، في ١٧٨٢، مناسبة احلت موزار في مرتبة "المعلم". وقد اعترف بعد ذلك قائلا: "الاوبرا هي بهجتي وغرامي".

وخلال السنوات الأربع التالية قرأ موزار ما يزيد على ١٠٠ ليبريتو (الكتاب المحتوي على نص الاوبرا) قبل ان يهتدي الى الاسلوب المناسب في عمله اللاحق، وهو اقتباس لورنزو دا بونتي لمسرحية بومارشيه الثورية "زواج فيغارو". وتتدفق ألحان موزار السريعة في هذه الاوبرا من اولها الى آخرها ليؤكد من خلالها بعبقريته الوضاءة تلك الرسالة "التمردية" التي شاء ان تؤديها هذه الأوبرا، وهي أن الناس جميعاً يخلقون سواسية. وقد استقبلت أوبرا فيغارو في براغ (عاصمة تشيكوسلوفاكيا التي كانت آنذاك تحت سلطة فيينا) بابتهاج شديد يرقى الى مرتبة الهذيان. وعندما جاء موزار الى المدينة وجد سكانها جميعاً يصفرون ويغنون ويرقصون على نغمات هذه الاوبرا.

وهناك وجد موزار نفسه في مناخه المفضل. وعندما كلفته براغ وضع أوبرا جديدة جاء هو وزميله دا بونتي بنص جديد لأسطورة "دون جيوفاني" (الدون جوان)، ذلك الذكر الخارق الذي ينتهك كل القوانين الأخلاقية ليلقى جزاءه في نهاية الأمر. وحمل موزار قطعته الموسيقية التي لم تكتمل بعد الى براغ، وكتب

افتتاحيتها في الليلة التي سبقت يوم العرض الاول. وكانت "دون جيوفاني" انتصاراً آخر لموزار، وهي تعتبر اليوم من أعظم الأوبرات التي عرفها التاريخ.

وكثيراً ما تستمد اعمال موزار حيويتها من الايمان بنبالة الانسان وبانتصار الفضيلة على الشر. وقد انضم الى جماعة الماسونية، تلك الاخوية التي اجتذبت الى صفوفها طائفة من الشخصيات البارزة في ذلك الحين. ولاحظ اصحاب المعرفة عدداً من الرموز الماسونية في آخر أوبراته "الناي السحري"، بينما لا يرى فيها الآخرون سوى حكاية خرافية لطيفة. وأياً يكن الأمر فان موزار اسبغ على هذه الأوبرا بعضاً من أكثر ما اتسمت به موسيقاه من حيوية ومرح. وقد عرضت اوبرا "الناي السحري" للمرة الاولى في ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٧٩١، ثم تكرر عرضها ٢٤ مرة قبل نهاية أكتوبر (تشرين الاول) من العام نفسه. وكان موزار آنئذ في الخامسة والثلاثين من عمره، ولم يمهله الموت، بعد ذلك، الا خمسة أسابيع.

فيينا المتقلبة — يبدو ان الأمور اخذت تسوء بالنسبة اليه في أواخر أيامه. صحيح انه كان في وسعه، حتى في أثناء انهماكه في وضع الألحان العظيمة لأوبرا "دون جيوفاني"، ان ينتج الى جانب ذلك رباعيتين وتريتين بديعتين، اضافة الى سيريناد (لحن يعزف ليلا في الهواء الطلق) عنوانها "اللحن الليلي الصغير"، تعتبر اليوم من أحب أعماله. لكن هتافات الاعجاب "برافو موزار!" خفتت. ويقول بعض الخبراء أن سيمفونياته الثلاث الاخيرة لم تعزف للجمهور في حياته، ومن بينها سيمفونية "جوبيتر"، كبير آلهة الرومان، التي ألفها في غمرة انفجار ابداعي خلال صيف ١٧٨٨. أما أوبرا "زواج فيغارو" التي اجتاحت أوروبا فقد توقف عرضها في فيينا بعد الحفلة التاسعة، كما اخفقت هناك كذلك أوبرا "دون جيوفاني" التي أصابت نجاحاً باهراً في براغ وأماكن أخرى كثيرة. فماذا كان السبب؟

من سخرية القدر ان الكونت آركو، صاحب الركلة التاريخية، هو الذي حذر موزار من مزاج فيينا المتقلب حين قال له: "في البداية يحصل الوافد الجديد على الشهرة والمال. لكن أهل فيينا لا يلبثون بعد أشهر قليلة ان يعودوا الى البحث عن جديد آخر". وها هوذا موزار المتفائل يضطر فعلا الى الاعتراف بأن تأييد الجمهور قد أفلت زمامه من قبضته الواهنة.

وانتقل آل موزار الى مسكن رخيص ولدينا الآن ٢١ رسالة يائسة حافلة بالاستعطاء وجهها موزار الى ثري من "الماسونيين الأحرار" هو ميخائيل بوتشبيرغ الذي لم يتقاعس عن اعانة الموسيقي بقروض كبيرة. وعلى رغم ذلك فان الأسرة، بافرادها الأربعة، لم تلبث ان واجهت الفقر.

وفي يوليو (تموز) ١٧٩١ طرق باب موزار رجل غريب يرتدي ثياباً رمادية، وطلب منه ان يؤلف موسيقى قداس جنائزي، ونقده سلفاً اجر أتعابه. وبدأ فولفغانغ كتابة القداس على نحو متقطع، فأنتج منه

مقطوعات روحانية رائعة. لكنه كان فقد الحيوية التي تميز بها طوال حياته، فأصبح شاحباً، ضعيفاً، محموماً، تنتابه نوبات من الاغماء وآلام تورم في المفاصل. وقال لزوجته كونستانس: "انني أكتب قداس جنازتي".

وحال الشلل الجزئي دون انجاز العمل. فقد عاودت موزار حمى الروماتيزم التي طالما انهكته في طفولته. ودقق الطبيب السويسري الدكتور كارل بار في مرض موزار الأخير، وانتهى الى أن الاسفار الكثيرة التي قام بها فولفغانغ في طفولته "غرست في جسم الصبي الرقيق جذور المرض الذي قضى عليه في النهاية".

وعندما توفي الموسيقي الكبير كان نصيبه جنازة من الدرجة الثالثة هي أفضل قليلا من جنازة المتشردين. ودفن في قبر وضيع يضم عدداً من الموتى في مقبرة سان مارك.

أما اليوم فان أنغام موزار الخالدة تتردد في أركان العالم كلها. وقد تم تطويع الكثير منها بنجاح لموسيقى الروك والبوب، فتكاثر بذلك اصدقاء الموسيقي العظيم وتزايدت مساهمته المتواصلة في اثراء الحياة بهجة واشراقاً.

■ ارنست هاوزر

مرونة انكليزية

في زيارة الى بريطانيا، اعطانا الدليل السياحي مثلا عن العناد الانكليزي، فقال ان علينا ألا نغتاظ من السائق لأنه يقود الحافلة على شمال الطريق: "ربما كان الانكليز هم الشعب الوحيد الذي يتبع قانون السير هذا. لكننا لسنا متزمتين. ونحن على استعداد لتغيير هذه العادة اذا غيرها الآخرون".

ا. ر.

الأمس واليوم

من الابتكارات العصرية مروحة تطرد بخار المطبخ الى الخارج، وكذلك رشاش عطري يزيل رائحة الطبخ. أما في حداثتي فكانت رائحة الطبخ التي تفوح في ارجاء المنزل وخارجه هي التي تجمع افراد العائلة حول المائدة.

ب. س.

جنازة رائعة

انقطع صديق لي عن التدخين، وشرب الخمر والافراط في الأكل وملاحقة النساء ـ وذلك كله في آن. وحين سئل عن شعوره، قال: "انها جنازة رائعة".

ر. ا.



حديقة أفكار

يشاع عن اناس كثيرين انهم بالغو النشاط، في حين انهم عصبيون فحسب.

ج.م.ك.

في اي صراع بين القوة والصبر، راهن على الصبر.

و.ب.

بعض الناس يجعلك تشعر بأنك في بيتك، والبعض الآخر يجعلك تتمنى ذلك.

ا.غ.

ان عقلا يفكر يشبه كرة ثلجية متدحرجة، فهو يكبر باستمرار.

ا.ا.

اذا عزيت نفسك بالرثاء عليها، فلا تتوقع ان يشاركك الآخرون الا بالطريقة عينها.

ب.ك.

من يخش السؤال يخجل من التعلم.

مثل دانمركي

التاريخ هو ثمرة الزواج بين الشخصية والظروف.

د.ك.

ما ورثته عن آبائك يجب ان تعيد كسبه بنفسك، والا فهو لن يكون لك.

غوته

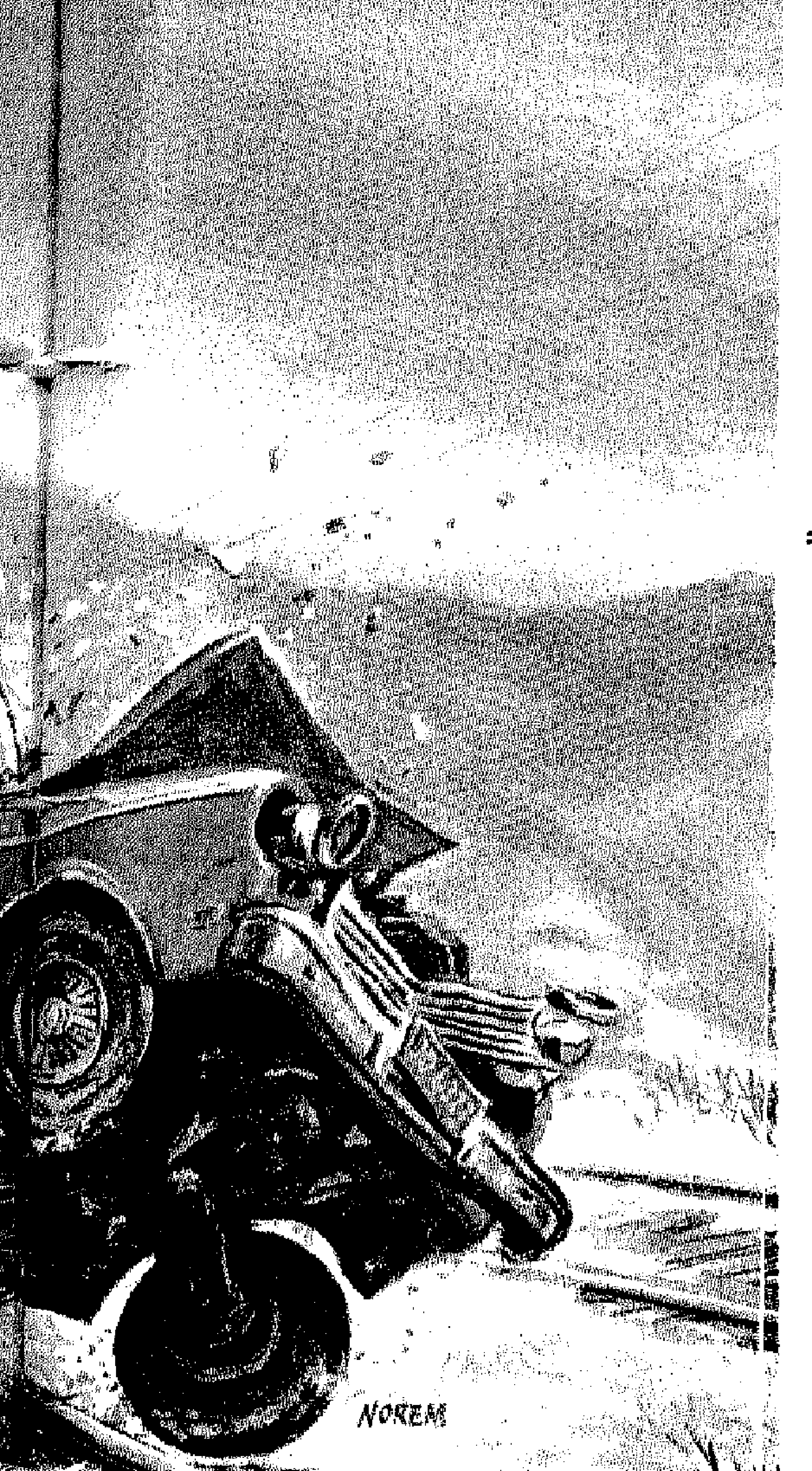
ان حبيبات الثلج هي من اضعف الاشياء في الطبيعة. ولكن لنتأمل ما يمكن ان تفعله عندما يلتصق بعضها ببعض.

ف.م.ك.

الابتسامة هي طريقة غير مكلفة لتحسين مظهرك.

ش.غ.

مأساة واقعية

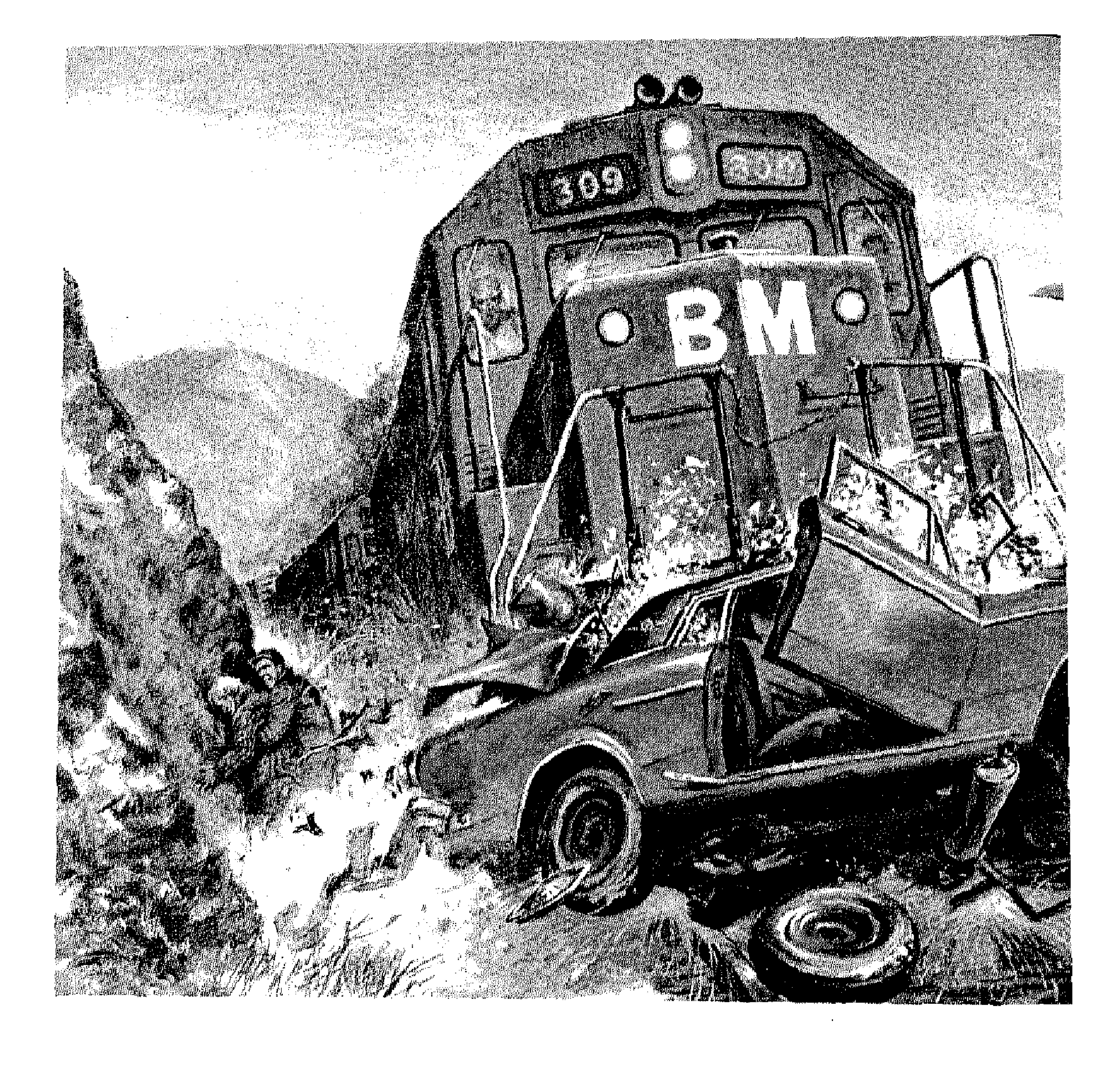


جلس السائق المسكين مذعوراً في انتظار الموت. لكن الاقدار كانت تنسج خيوطاً أخرى

رعب على السكة الحديد

كانت الساعة تشير الى الثالثة والربع بعد ظهر الاول من مارس (آذار) ١٩٧٨، عندما قال ليندنر لزوجته انه سيعود الى المنزل قبل حلول الظلام. وقد انقضت على ذلك عشر دقائق، وكان الثلج يكسو منطقة غرين ماونتينز (الجبال الخضراء) جنوب ولاية فيرمونت الاميركية بطبقة كثيفة بيضاء، وهبطت الحرارة الى ما دون درجة التجمد.

لكن ماكس ليندنر رجل شديد التدقيق في التوافه والتفاصيل. وكان فخوراً بسيارته التي اشتراها بعد احالته على التقاعد. ولا يكف عن العناية بها حرصاً على بقاء محركها في احسن حال. وقد اقلقته نتيجة



فحص المشعاع (الرادياتور)، فقرر ان يذهب عصر ذلك اليوم الى محطة اصلاح السيارات في بلدة باونال المجاورة. ومضى ليندنر بسيارته عبر ممرات المزارع الضيقة حتى بلغ الطريق الواسع الرقم ٧ المؤدي الى وجهته.

وكان الطريق الرقم ٧ خالياً من الثلج والجليد بسبب كثافة حركة المرور. وانحرف ليندنر بسيارته يساراً عند منعطف طويل يشرف على واد عميق. وكانت الشمس الغاربة تقذف بأشعتها السيارات المقبلة في عكس اتجاه ليندنر في النصف الآخر من الطريق. وبعد لحظات رأى ماكس اشعة الشمس تلمع كالبرق على الزجاج الامامي لشاحنة ضخمة تصعد المنحدر في الاتجاه المعاكس، وقد تعالى زئير محركها المرهق.

وأخذت الشاحنة تجنح في اتجاهه وتدنو من سيارته كأنما تقصد الارتماء عليها. فتملكه القلق وانحرف يميناً الى اقصى حد جرؤ عليه، ثم اعتلى حافة الطريق حتى لم يبق له

اي مجال للابتعاد، اذ كانت على يمينه هوة شديدة الانحدار تنتهي عند خط السكة الحديد٠

وما هي الا لحظات حتى اندفعت الشاحنة في موازاة سيارة ليندنر من دون أن تصدمها٠ غير ان الوقت قد فات، ولم يعد امام ماكس اي سبيل الى استعادة الوضع السوي، فاندفعت به سيارته متخطية حافة الطريق، ومضت تتواثب بجنون فوق المنحدر٠ وبذل ماكس اقصى جهده ليحول دون انقلاب السيارة المتراقصة، ولوى عجلة القيادة بكل قوته فانكسرت بين يديه٠ ثم اندفع رأسه الى الامام، فاصطدم وجهه بدعامة عجلة القيادة وبالنافذة الجانبية٠

المارد الآتي - في موعد سابق من ذلك اليوم غادر قطار الشحن "نيوانغلاند - ١" مدينة بورتلاند في ولاية ماين الاميركية وهو يجر ٨٠ عربة شحن محملة بالورق والمواد الكيميائية والمنتجات الغذائية٠ وبعدما توقف في بلدة فيتشبورغ، في ولاية مساتشوستس لتنضم اليه قاطرتان اضافيتان تعزيزاً لقوته، انطلق بحجمه الهائل في اتجاه الغرب٠ ثم دخل نفق هوساك قرب بلدة زوار، وخرج منه عبر بوابات ضخمة صممت كي تحول دون تسرب الثلج الى الداخل٠ وبعد ذلك اجتاز بلدة نيو آدامز (ولاية مساتشوستس) ولم تبق امامه سوى دقائق قليلة يقطع خلالها الطرف الجنوبي الغربي من ولاية فيرمونت كي يدخل ولاية نيويورك٠ وكانت الساعة تشير الى الثالثة والنصف بعد الظهر٠

ووجد ماكس ليندنر نفسه منهاراً فوق عجلة القيادة المكسورة في سيارته، وقد تحطم عدد من اسنانه وراح الدم يتدفق من انفه وفمه بغزارة٠ وجاهد ماكس للبقاء واعياً، فتبين له ان سيارته لم تنقلب، لكنها - وهنا استولى عليه ذعر عظيم - مستقرة وسط خط السكة الحديد٠

ويستعيد ماكس تلك اللحظة بقوله: "كنت اعلم ان هناك قطار شحن سيمر في اي لحظة، فلا بد من ان اغادر السيارة٠ غير اني كنت عاجزاً عن الحركة"٠ وقد اتاح له حزام الامان المثبت الى المقعد ان يبقى في مكانه خلال سقوط السيارة، لكنه اصبح الآن عاجزاً عن فك هذا الحزام٠ كما ان باب السيارة الى جانبه التوى وتعذر فتحه٠

ساعدني! في محطة اصلاح السيارات، عند نهاية المنعطف، كان ليو بامبيانكي، الذي يبلغ من العمر ٦٦ عاماً، قد فرغ لتوه من اصلاح احدى نوافذ سيارته ووقف مسترخياً يتناول زجاجة عصير٠ وبعد لحظات توقفت أمامه سيارة تقودها سيدة قالت له: "عندما اجتزت المنحدر منذ برهة خيل الي ان هناك سيارة متوقفة على خط السكة الحديد"٠

وتفرس بامبيانكي في وجه السيدة غير مصدق وسألها: "هل فيها احد؟" فأجابت: "لا اعرف"٠ ثم انطلقت بسيارتها٠

وعلى الفور ابلغ ليو دائرة الشرطة ووحدة الانقاذ في بلدة باونال ما سمعه على رغم ارتيابه من صحة الرواية، اذ ان حركة المرور بدت

طبيعية جداً. غير انه قال في نفسه: "حسناً، ساذهب كي استطلع الامر". وكان ذلك في الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين.

قاد ليو سيارته بتمهل في اتجاه المرتفع وهو يلقي نظرات عجلى عبر الطريق الى خط السكة الحديد في الاسفل من دون ان يستوقفه شيء. وبعد مسافة قصيرة اشتد الانحدار واختفى الخط الحديد، فاستدار ليو بسيارته عائداً وهو يرجح ان تكون السيدة قد اخطأت.

في تلك اللحظة رأى ليو ضالته. فتوقف على الفور وقفز خارج سيارته، واسرع يهبط المنحدر وهو يحملق في الحطام. فرأى في المقعد الامامي رجلا غارقاً في الدم، وسمعه يناديه بصوت خافت. وجذب ليو الباب المجاور للسائق فلم ينفتح، فدار حول السيارة وفتح بابها الآخر وصاح بالسائق الجريح: "ازحف في هذا الاتجاه". لكن ماكس ليندنر هز رأسه. فأدرك ليو انه لا يستطيع الحركة.

وجهان في التراب — انحصر هم ليو في الرجل النازف امامه حتى الموت، وأخذ يفكر في ما يستطيع ان يفعله لانقاذه. فالرجل ضخم الجثة، ولا بد من جهد كبير لتحريكه. وقد يكون من الافضل انتظار النجدة. ونظر ليو الى اعلى فرأى السيارات تجتاز الطريق الرقم ٧ من دون ان تتوقف احداها.

وشهق ماكس: "ساعدني! ساعدني!".

لكن ليو كان رجلا هادىء الاعصاب لا يستسلم للذعر والارتباك، فأجابه: "سوف اخرجك من هنا". ثم زحف داخل السيارة حيث تمكن من فك حزام المقعد، وسأل السائق الجريح: "هل تستطيع الحركة الآن؟"

فأجاب ماكس لاهثاً: "كلا، اني محصور".

ومد ليو ذراعيه وأمسك بساق ماكس اليمنى وراح يجذبها حتى مدها فوق المقعد الامامي. ثم ازاح الساق الاخرى بعيداً عن دواستي الكابح وناقل السرعة.

وكان ليو يجهل ان قطار الشحن "نيو انغلاند - ١" اصبح على بعد كيلو مترات قليلة منهما، وقد مضى يهدر فوق الخط الحديد في اتجاه الغرب، متأرجحاً بعرباته الثلاث والثمانين، حتى وصل الى بلدة باونال. وكانت الساعة قد بلغت الثالثة والدقيقة الثانية والاربعين.

جذب ليو ساقي ماكس بجهد كبير حتى تدلتا خارج باب السيارة. ثم انحنى ولف ذراعه حول ماكس وسحبه الى الخارج وأسنده الى كتفه. ثم اتكأ على السيارة ليأخذ قسطاً من الراحة من دون ان يتخلى عن دعم ماكس، وهو يتساءل عما يستطيع ان يفعل بعد ذلك. فهو لا يقوى على حمل ماكس والصعود به الى اعلى المنحدر، كما ان الفسحة بين الخط الحديد والجدار الصخري تشكو قلة اتساعها. فما كان من ليو الا ان حمل ماكس وتراجع به عن السيارة متجاوزاً الخط الحديد.

وقبل ان يبلغ هدير القطار مسامع ليو، احس هذا باهتزاز الارض تحت قدميه وهي تنوء بثقل القطار الماضي باندفاع مخيف. ثم رآه يظهر

متلوياً حول المنعطف بأنواره الصفراء وقاطرته الزرقاء، وهو يوشك ان ينقض عليهما. وللحال احاط ليو جسد ماكس بذراعيه ودفعه الى جانب الجدار الصخري، فألصقه بد وتمدد، هو الآخر، قربه محذراً: "لا تتحرك مليمتراً واحداً. "الصق وجهك بالتراب وتماسك حيث انت".

سيارة التقاعد – انقض القطار بزئيره المخيف. وتعالى الصرير المعدني الحاد لدى اصطدام القاطرة الامامية بالسيارة المعطلة، ثم انطلقت وهي تجرف الحطام امامها. وفور عبور القاطرة اصابت الرجلين صدمة تفريغ الهواء الناتج. ثم هبت ريح شديدة، وعلا الضجيج المرعب من كابح القطار. وتناثر حولهما الشرر والشظايا المعدنية المتطايرة. وأحس الرجلان بقوة السحب التي تجتذبهما في اتجاه القطار، فخيل اليهما انه يبسط ذراعه ليمسك بهما ويجرهما تحت عجلات عرباته المتأرجحة على بعد سنتيمترات منهما.

وسمر الرجلان المتضامان اصابعهما في صفحة الجدار الصخري باستماتة، وقد اعمتهما عاصفة من الجمر والشرر والحجار والقطع الملتهبة المتناثرة من اسطوانات كابح القطار. وتباطأ القطار ثم توقف وسط صرير العجلات وتأرجح العربات وارتعاشها العنيف.

وبادر ليو الى استجماع شتات نفسه على مهل. ورأى من خلال سحابة الدخان والتراب افراد طاقم القطار مقبلين نحوهما عدواً، ثم سمع صفارات سيارة الانقاذ وهي تقترب. وكانت الساعة تشير الى الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين.

وانزلق رجال الشرطة وأعضاء فريق الانقاذ الطبي على صفحة الجدار الصخري ومعهم حمالة جرحى. ولاحظت احدى الممرضات ان ماكس يمسك بالجانب الامامي من عنقه، فأدركت انه عاجز عن التنفس. ومدت يدها داخل حلقه وانتزعت منه كتلة مختلطة من الاسنان المكسورة والدم المتخثر.

وما هي الا دقائق حتى مدد ماكس على الحمالة ونقل الى الطريق في اعلى الجدار الصخري، واسرعت به سيارة الاسعاف الى المستشفى وقال احد اعضاء الفريق مخاطباً ليو: "سوف ينجو! سوف ينجو!"

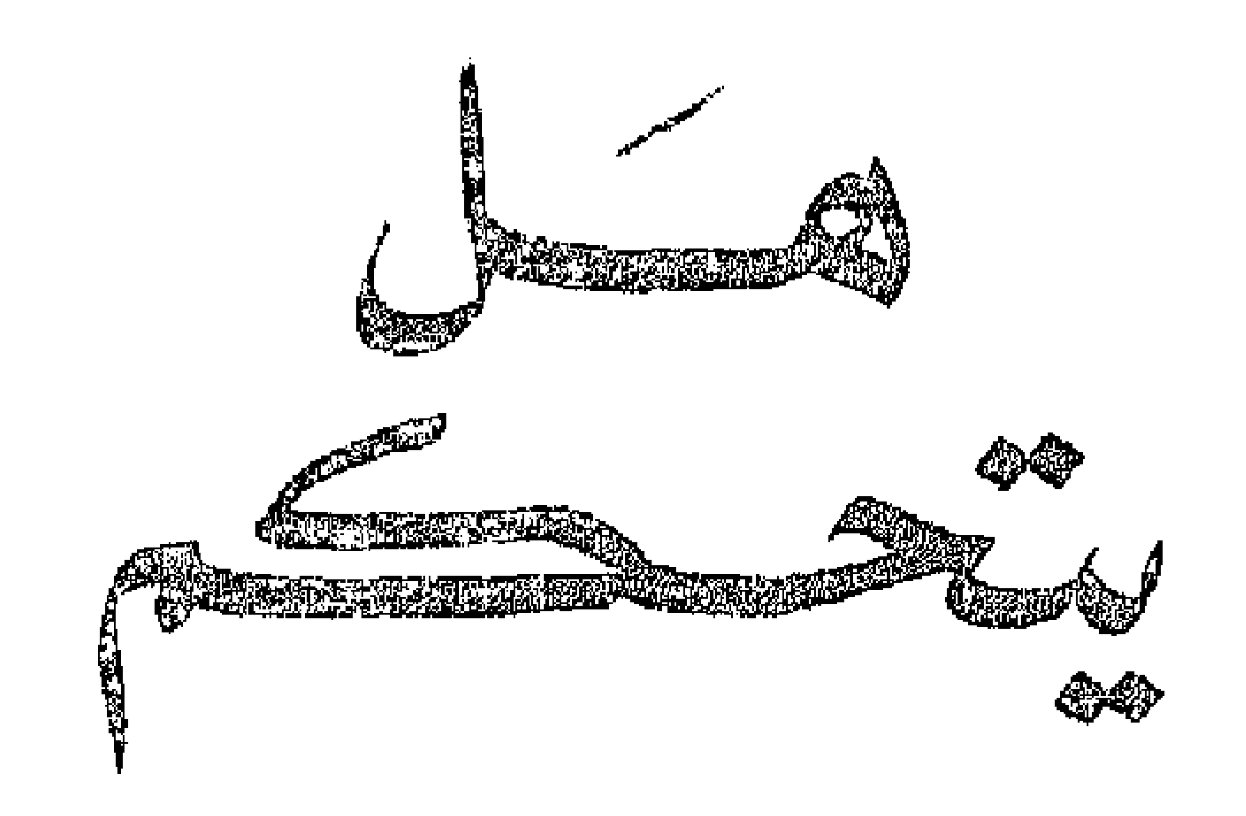
وعندما انتهت عملية الانقاذ ركب ليو سيارته واتجه بها الى اعلى المنحدر. ووقف هناك يراقب سيارة السحب وهي ترفع الكتلة المعدنية المتشابكة التي كانت، منذ دقائق، "سيارة تقاعد" ماكس ليندنر. واجتاحته الانفعالات التي خلفها الحادث، فأحس بموجة وهن تتغلغل في جسده. وقد قال في ما بعد: "كان يوماً مرهقاً. ورأيت من الافضل لي ان اعود الى بيتي لاستريح".

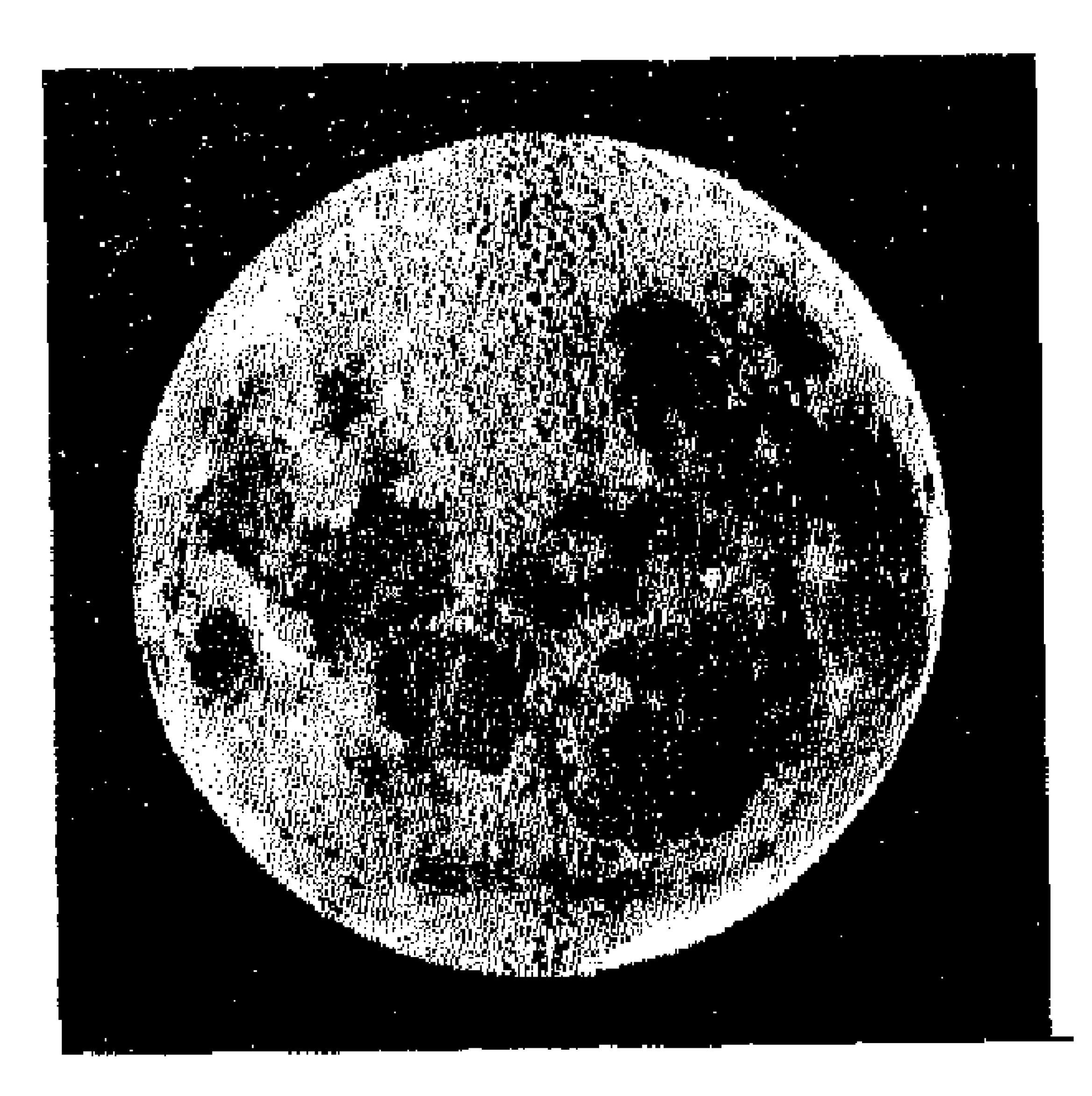
ايفان ماكلاود وايلي

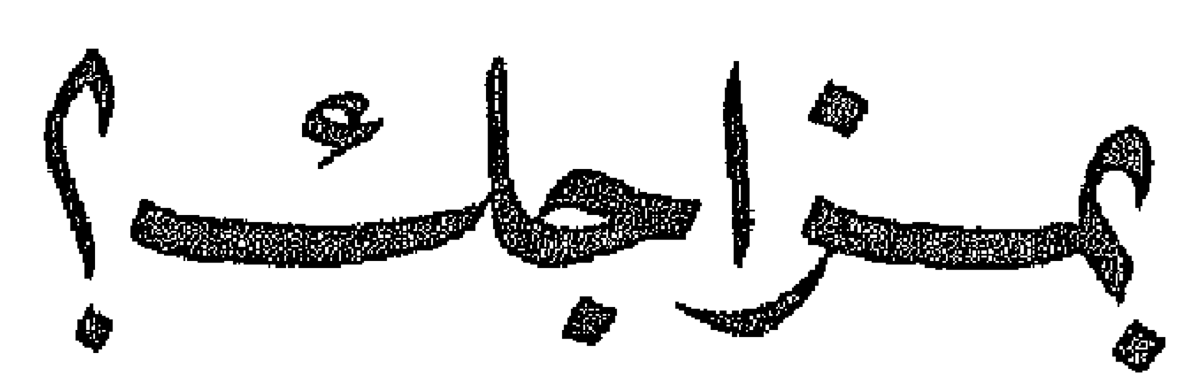
كوفىء ليو بامبيانكي على بطولته بتكريم خاص من دائرة الاسعاف في ولاية فيرمونت. ثم حصل في مارس (آذار) ١٩٧٩ على ميدالية كارنيغي، وهي ارفع وسام مدني للشجاعة في الولايات المتحدة الامريكية.

النقد والاطراء

ليس هناك من يحب النقد البناء. وغاية ما نستطيع تحمله هو الاطراء البناء. م.م.







... ام ان الخصائص الوراثية، لا القوى الكونية، هي المسؤولة عن تصرفاتك وأحوالك؟

يعلم العشاق، كما يعلم هواة الصيد بالصنارة ومعلمو المدارس والآباء، ان ثمة واقعاً خاصاً بالقمر. فحين يكتمل ليصير بدراً تحدث امور كثيرة. ومن الكتب الصادرة حديثاً واحد يرى ان اقرب الجيران الينا بين الاجرام السماوية هو ذاك الذي يهيمن على معظم أجوائنا الذهنية. على ان البعض الآخر من مراقبي الأحوال البشرية – وإن أقرّ بأننا جميعاً عرضة لسعد الحياة ونحسها – يرى ان العوامل النفسية والجسدية هي وحدها التي تقرر أحوال أمزجتنا.

وتكثر في هذا الميدان، كما في سواه من الميادين الغامضة، التعليلات النظرية. ولعل أقواها حجة وإقناعاً

تلك التي ظهرت في كتاب حديث آخر يقول إن الجينات (جزيئات الخلية التي تحمل الخصائص الوراثية) هي المسؤولة رئيسياً عن احوالنا العقلية. ولكن بما ان الحسم بين النظريتين غير متوقع، فقد يكون من النافع والمثير معاً ان نحلل كلا منهما على حدة.

النظرية الاولى: القمر يتحكم بامزجتنا.

جاء في تقرير وضعه قبل بضع سنوات فيرغوس وود، احد العلماء في قسم مسح المحيطات القومي الامريكي أن ارتفاعاً حاداً سيطرأ على حركة المد والجزر مرتين متتاليتين، يومي ٨ يناير (كانون الثاني) و٧ فبراير (شباط) ١٩٧٤.

ولاحظ وود ان الارض والشمس والقمر ستقع في كلا المرتين على خط مستقيم تقريباً يعرف باسم "نقطة اقتران القمر"، وان القمر يوم ٨ يناير (كانون الثاني) سيبلغ نقطة الحضيض، وهي أقرب نقطة الى الارض في مدار اهليلجي (بيضوي). وهذه ظاهرة غير مألوفة. ومن شأن هذا الاقتران النادر بين الارض والقمر والشمس في النظام الفلكي ان يتسبب في ارتفاع المد والجزر في المحيط.

ومن الذين قرأوا توقعات فيرغوس وود بعناية وانتباه فائقين الدكتور آرنولد ليبر، الطبيب النفسي في مدينة ميامي (ولاية فلوريدا الامريكية)، خصوصاً لأنه أصبح يولي الظواهر القمرية وأثرها في السلوك البشري اهتماماً عميقاً بعدما توصل الى نتيجة مفادها ان ثمة علاقة قوية تقرن بين العدوانية عند البشر والدورة القمرية. وهذه الظاهرة ملحوظة خصوصاً بين مدمني الكحول ومتعاطي المخدرات، كذلك بين المعرضين دائماً للحوادث المشؤومة والنكبات والذين ينزعون الى ارتكاب الجرائم أو غير الراجحين عقلياً.

وفي هذا المجال يقول الدكتور ليبر: "يتكون الانسان، شأنه في ذلك شأن سطح الارض، من ٨٠ في المئة من الماء و٢٠ في المئة من مواد صلبة. وفي اعتقادي ان القمر يمارس تأثيره على رطوبة الجسم البشري، أي على كل منا، كما يفعل بالنسبة الى مياه المحيطات وجميع المياه على الارض. وفي ظني كذلك ان للحياة مداً وجزراً احيائيين يتحكم بهما القمر، وهما يشتدان تأزماً في مناسبتين: حين يهل القمر وحين يصير بدراً. وفي هاتين الحالين يبلغ أثر القمر في مسلكنا ذروته".

وما ان سمع الدكتور ليبر بتقرير وود حتى عزم على إنذار المسؤولين في ميامي بأنه يخشى ان يصحب ارتفاع المد والجزر غير العادي تصعيد في اعمال العنف. ودعم ليبر توقعاته بالنتائج التي اسفرت عن حادث اقتران القمر في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠، وقد لاحظ آنذاك ارتفاعاً قوياً في نسبة حوادث القتل المحلية.

يقول ليبر في كتابه "الأثر القمري" إنه حذر شرطة ولاية ميامي والصحف وقسم الطوارىء الخاص بالامراض النفسية في مستشفى جاكسون التذكاري بما يتوقعه من حدوث "اضطراب عام في السلوك خلال فترة اقتران الارض والشمس

والقمر في خط واحد، مع دنو القمر من الارض".

ترى ما الذي حدث في ذلك الوقت؟

"لقد اندلعت نار جهنم"، حسب تعبير ليبر، "وتجاوز عدد القتلى في الاسابيع الثلاثة الأولى من السنة الجديدة ضعفي العدد الاجمالي لحوادث القتل طوال شهر يناير (كانون الثاني) من العام السابق (١٩٧٣)". كما تكررت جرائم قتل بشعة من دون اي حافز حقيقي على القتل. واستنتج ليبر من هذه الاختبارات وسواها نظريته القائلة بأن للقمر، وللفلك الخارجي، اثراً مباشراً على بعضنا ونفوذاً كامناً في معظمنا.

النظرية الثانية: الجينات الموروثة هي التي تقرر مزاجنا.

يرى استاذ طب النفس التحليلي في مركز كولومبيا الطبي التابع للكنيسة البروتستانتية المشيخية في مدينة نيويورك - وهو رونالد فيف، مؤلف الكتاب الآخر الذي صدر حديثاً بعنوان "تأرجح المزاج" - ان اثر الجينات الموروثة يفوق كثيراً اثر اي عامل خارجي آخر في تقرير أمزجتنا. ويولي الدكتور فيف اهتماماً خاصاً اولئك المصابين بالمس الانقباضي، وهم اولئك الذين تتأرجح امزجتهم بين الابتهاج المفرط والانقباض الشديد. ويستنتج فيف من دراسة اكثر من ٦٠٠٠ حالة ان معظم تقلبات المزاج ينبثق من تبدل يطرأ على كيمياء الجسم، وان هذا التبدل ناجم بدوره عن طبيعة الجينات الموروثة وعن ضغوط الحياة الرئيسية.

لكن ليبر، من ناحية اخرى، يؤكد ان للقمر اثراً ذا أهمية خاصة بالنسبة الى حالاتنا العقلية. وبين الاحصاءات والاستنتاجات التي يوردها دعماً لوجهة نظره ما يأتي:

□ وجد مركز فينيكس لاطفاء الحرائق في ولاية اريزونا الامريكية انه يتلقى، في الليالي التي يكون فيها القمر مكتملا، بين ٢٥و٣٠ طلباً اضافياً للنجدة.

□ يفيد بعض العاملين في الاقسام الخاصة بالطب النفسي ان المرضى المصابين بمس عقلي يظهرون، وقت اكتمال البدر، تزايداً ملحوظاً في شرودهم واضطراب تصرفاتهم.

□ تعادل دورة الحيض عادة لدى النساء الشهر القمري: اي انها تدوم ٢٩ يوماً ونصف يوم. ولا يخف ان دورة الحمل لدى المرأة تدوم نحو تسعة أشهر قمرية.

هل المؤثرات الخارجية، اذاً، هي التي تثير حالاتنا الذهنية الباطنية؟

لا، ليس بالضرورة كما يقول الدكتور فيف في كتابه "تأرجح المزاج". ويستشهد فيف بحياة ثلاثة من عظماء الرجال، احدهم ابرهام لينكولن الذي عرف عنه تعرضه لنوبات من الانقباض النفسي الشديد، يصفها فيف بأنها كانت "متواترة ومنبثقة من أسباب باطنية تدل على مقدار من الحساسية للتقلبات الكيميائية".

ولعل اشهر نوبات الانقباض النفسي التي ألمت بالرئيس لينكولن هي تلك التي تزامنت مع فسخ خطبته للآنسة ماري تود في شهر يناير (كانون الثاني) (١٨٤١)، اذ بقي اسبوعاً كاملا لا يقوى على لم شتات نفسه لحضور الجلسات النيابية في ولاية ايلينوي، حتى خشي زملاؤه من

ان يصبح انتحاري المزاج. وبعد سنوات كثيرة في تلك الحال، مر لينكولن في طور من النشوة والابتهاج المفرط، علماً انه كان يخوض معركة مناظراتـه البرلمانيـة الشهيـرة مـع السناتور ستيفن دوغلاس الذي اعيد انتخابه نائباً ديموقراطياً عام ١٨٥٨، بعد سلسلة مناظرات بليغة مع المرشح الجمهوري لينكولن. وخسر دوغلاس معركة رئاسة الجمهورية امام لينكولن بعد سنتين من ذلك التاريخ.

ويقول فيف في كتابه: "على رغم ان لينكولن خسر تلك الجولة الحاسمة، الا انه ظل يتمتع بمعنويات مرتفعة. ويبدو ان تلك الصدمة لم يكن لها اي مخلفات نفسية انقباضية. واذا كان محتملا أن يسفر بعض ضغوط الحياة عن انـقـبـاض نـفـسـي لـديـه، إلا ان معظم حالاته النفسية التي تنتمي الى هذا النطاق ظهر مستقلا عن ظروف المرحلة الزمنية وضغوطها، تماماً كما هي حال أكثر أعراض الانقبـاض الناتجـة عـن تغـيـرات كيميائية في الجسم.

ابتهاج مفرط – يضرب فيف مثلا من حياة رئيس امريكي آخر، هو تيودور روزفلت، على حال الابتهاج المفرط في المزاج. فهو، على خلاف لينكولن الذي هيمنت السوداوية على مزاجه، كان نزاعاً الى البشاشة. ويقول فيف: "اصبح البيت الابيض مثل السيرك تماماً، حيث كان روزفلت لا ينقطع عن الكلام امام حشد من الزوار الذين يجالسونه الى مائدة الغداء. وبعد انتهاء وجبة الغداء كان يسرع الى مكتبه حيث يقابل الوزراء والنواب والشيوخ ورؤساء المكاتب وسيلا من المواطنين العاديين، ثم يخرج لركوب الخيل او السباحة او المشي، وأحياناً للثلاثة معاً، قبل حلول وقت العشاء حيـن كـان يستأنـف احاديـثـه، أو بالحري صياحه، بلا توقف".

ويبدو ان الشخصية الثالثة من عظماء التاريخ جمعت في نفسها كلتا النزعتين: السوداوية او الانقباض الشديد من ناحية والابتهاج المتطرف من ناحية اخرى. ولعل هذا الجمع هو الذي أتاح للشخص المقصود فرصة مواصلة اعماله ليل نهار. انه ونستون تشرشل.

لقد اسفرت تقلبات المزاج لدى تشرشل، كما كانت حال روزفلت، عن افتقار الى الحرص والانسجام في التصرفات، مما أقلق زملاءه كثيراً. ويقول فيف: "ما من شك في ان مزاجه السوداوي كان جزءاً مميزاً من شخصيته". ويخلص الى القول ان "تعبئة جينيـة مشبعـة" تعمـل فـي شجرة عائلته. ولذلك فقد انتقلت تقلبات مزاجه اليه "على نحو رئيسي، من الجينات الموروثة، لا من بيئته ومحيطه".

الاجرام السماوية – اما الفرضية البديلة التي يعرب عنها الدكتور ليبر في كتابه "الاثر القمري" فتتجه الى الأجرام وأثرها على الاجسام البشرية بما يميزها من توازن دقيق بين الهرمونـات والسـوائـل والمـحلـول الكهربائي (الالكتروليت) الذي يلهب الأعصاب. ويقول ليبر: "إن بشرة الجسم تشبه غشاء شبه نفاذ يسمح بتسـرب القـوى المغناطـيسـيـة –

الكهربائية في كلا الاتجاهين ويحافظ على توازن الحركة"، ذلك لأن النبض أو الاندفاع العصبي يولد مجالا ضئيلا من الطاقة خاصاً به. وكل خلية في الجسم ايضاً هي بمثابة نظام شمسي مصغر ذي حقل صغير من القوى المغناطيسية ـ الكهربائية.

ويشرح ليبر رأيه كما يأتي: "متى تزامنت الدورات الكونية للأجرام، كالتي تسببت في ارتفاع المد وانخفاض الجزر على نحو ضخم عام ١٩٧٤، تعرض الجسم فجأة لوابل من الاضطرابات الشديدة في مجال الجاذبية وفي الحقل المغناطيسي ـ الكهربائي الذي يغلفه. ومن شأن هذا الاضطراب ان يبدل بعنف التوازن بين عالمين: عالم الجسم الداخلي والعالم الخارجي المحيط به. وقد يغدو الجهاز العصبي سريع التهيج الى حد تتبدل معه حدة الاعصاب والمشاعر. وفي تلك الاوقات ينقص الماء كثيراً وينحسر عن اجزاء مختلفة من الجسم".

ويضيف ليبر ان بين مرضاه عدداً من المصابين بالمس الانقباضي، وهم يعالجون بمادة الليثيوم. "وفي بعض المناسبات يأتي عدد كبير منهم الي دفعة واحدة، وكلهم يشكون تكرر أعراض مماثلة لديهم، هي التململ الدائم والانقباض والارق وتسارع خفقان القلب. واني لعلى يقين من ان سبب شمولية هذه الظاهرة هو ان المرضى يستجيبون جماعياً لاضطراب يحدث في الجو، والأرجح انه ذو صلة بالقمر".

ترى أي الفرضيتين أصح:

ربما كان الرأيان كلاهما صحيحين. ومهما يكن الأمر ففي المقاطع القصيرة الآتية، وهي من كتاب "تيارات الحياة" الجدير بالاهتمام لمؤلفه ليال واطسن، عالم الانثروبولوجيا (علم الانسان) البريطاني، ما يوحي بوجود نوع من الوحدة في الخليقة ككل. يقول واطسن:

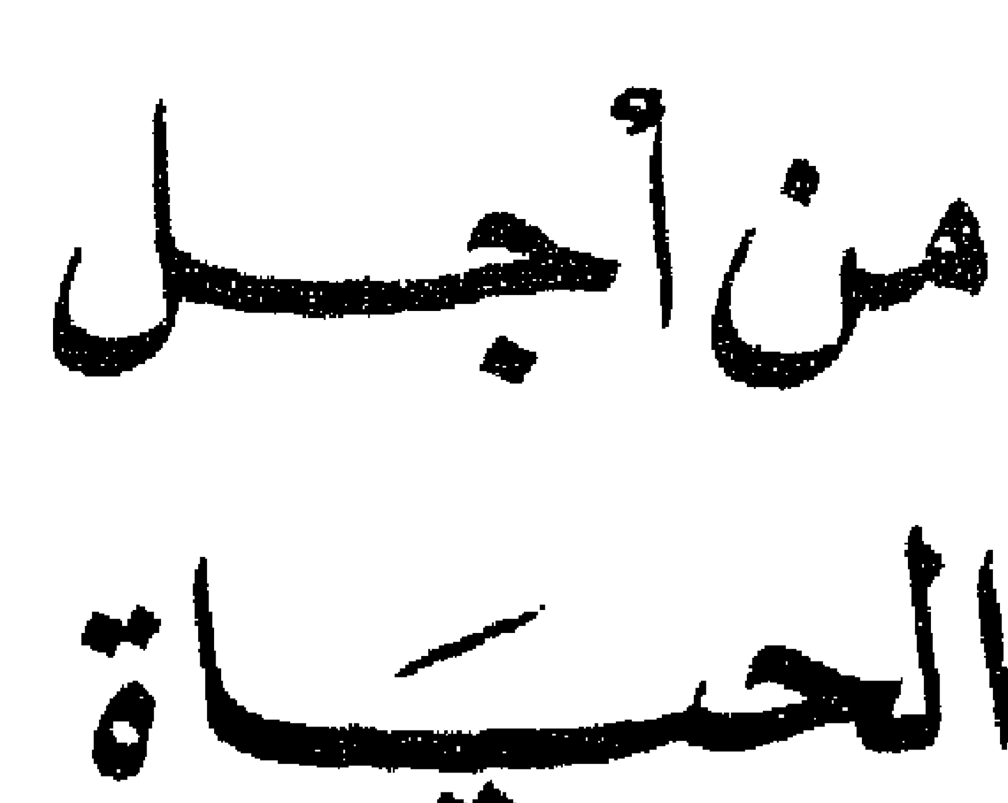
"كل شخص هو متحف متنقل. فالسوائل التي تتحرك في أجسادنا هي صورة أمينة عن البحر في غابر الأزمنة. وتجمعات الصوديوم والبوتاسيوم والكلورايد في الدم والكوبالت والمانغنيزيوم والزنك في الأنسجة هي كلها مماثلة لتلك التي وجدت في المحيط القديم الأول.

"ونحن نحمل ذلك المحيط في أحشائنا، كأنما ترسبات الماضي لا تزال حية فينا. وفي اعماق كل بحر مصغر ما زالت الصراعات القديمة محتدمة كسالف عهدها قبل ثلاثة مليارات سنة".

"في امكانك ان تجمع ما تشاء من عينات من ماء البحر، لكن اياً منها لن تحتوي على التيار كاملا او تنبئك بأي من اخباره. ذلك لأن الحياة نمط وحركة، أو ترخيم للمادة. انها حصيلة المصاحبة والطباق لوقع ما هو محتمل الوقوع. انها شيء فذ، رائع، لا معقول".

■ ادوارد زيغلر

كفَاح إمــرَأة



من أجــل الحيَــاة

مهما الحقت الطبيعة بالانسان من تشويه ومصائب، يبقى في صدره صوت ينادي: سوف أحيا !

كان ذلك اسوأ يوم في حياة مارجوري إذ هي أدركت انه لم يعد في امكانها التمييز بين اولادها الثلاثة الا بتحسّس شعورهم او ملابسهم. فهي لم يسبق لها ان سمعت اصواتهم لانها صمّاء منذ طفولتها. وها هي تفقد الآن بصرها تماماً بعد ان أخذ يتدهور ببطء طوال سنوات، فتصبح كفيفة وصماء، تعيش مع زوجها الاصم والابكم وتسهر على رعاية ثلاثة اطفال في مدينتها فانكوفر الكندية ابان الازمة الاقتصادية العالمية.

وتقول مارجوري عندما تعاودها الذكريات: "يبدو اني كنت أحاول دائماً التغلّب على الصعاب". فهي كانت احياناً تضع في الطعام المنكّهات غير المناسبة. وكانت الوان الملابس تنْحل في آلة الغسل. وكان يستحيل عليها رتق الملابس الا في ما يتعلق بخياطة الازرار. وكانت المعيشة عسيرة نظراً الى ضآلة الاجر الذي يتقاضاه زوجها البرت. والاسوأ من كل هذا انها لم تكن تستطيع مغادرة المنزل بمفردها.

Illustration: Pierre Decelles.

ولدت مارجوري ديك، وهو اسمها قبل الزواج، في ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٠٣. وبدأت حياتها طفلة جميلة لامعة الذكاء. وما ان بلغت الثالثة من العمر حتى أصيبت بالحصبة، فتسبب ذلك في التهاب عينيها وشدّة حساسيتهما للضوء. وراح نظرها يشح وتسوده غشاوة. ثم اصيبت بالصم في سنتها السابعة، وربما كان هذا نتيجة اصابتها السابقة بالحصبة.

وكانت مارجوري تستمد لحظات السعادة في طفولتها من بعض المخلوقات الصغيرة، كاليساريع والديدان والسرطانات، اذ انها تمشي ببطء تتيسر معه للصغيرة رؤيتها بدس انفها في الارض. وعلى رغم تلك العوائق فقد كانت مارجوري طفلة نشطة ودائمة الحركة تتناول ما يفوق نصيبها من الصدمات والكدمات. وقد اعمتها حدة الشمس مرة فسقطت عن درجات الرواق وتكسرت اسنانها الامامية. ومرة أخرى تعثرت وسقطت في مجرور وعلاها الوحل. وذات يوم كادت ان تغرق لدى محاولتها السباحة، وهي عائدة الى الشاطىء من منصة الغطس التي جرفها التيار بعيداً داخل البحر.

في بادىء الامر كان يتعذر على افراد الاسرة والاصدقاء ان يخاطبوا مارجوري الا عن طريق الكتابة على لوح اسود. ثم ارسلت في الحادية عشرة الى مدرسة تدرس بالالفباء اليدوية، حيث تنقر الكلمات على اليد في ما يشبه شيفرة مورس، وبلغة الاشارة حين تتعذر قراءة الشفاه.

وتعلمت مارجوري بسرعة، ولازمت مكتبة المدرسة حيث غمرتها سعادة لم تعرفها في أي وقت مضى، الى ان جاء يوم تبينت الفتاة ان الالتحاق باحدى الكليات امر مستحيل بسبب ضعف بصرها. فعادت وقلبها يتفطر حزناً الى حياة كئيبة مليئة بالاعباء المنزلية التي تولتها نيابة عن امها العاملة. لكنها، بما تبقى لها من بصر، راحت تقرأ كل كتاب يصل الى متناولها.

صبغة اليود – في الثامنة عشرة تصادقت مارجوري مع جماعة من الصم البالغين، فغدت لها فجأة حياة اجتماعية. وقبلت عرضاً للزواج من البرت ماكغافين، وهو أصم وأبكم يكبرها بثلاث وعشرين عاماً، ويكاد لا يملك من العلم شيئاً، وانما له وظيفة ثابتة في مصنع للتوابيت.

وتزوج الاثنان قبل عيد ميلاد مارجوري التاسع عشر بفترة وجيزة، وانتقلا الى شقة حقيرة غير مزودة بمصعد. وبعد نحو عام وُلِدت بكرهما دورين، وأخذت مارجوري تعلمها لغة الاشارة منذ شهرها الثامن. وأعقب ذلك، خلال السنوات القليلة التالية، ولادة طفلين آخرين هما وارين ومودي، لكن مارجوري فيما كانت تستمتع بسعادة الامومة، بدأ بصرها يأفل.

وراحت الأم تلقن اطفالها الالفباء اليدوية. فأصبحت دورين بارعةفيها، كذلك في لغة الاشارة، قبل ان تبلغ السادسة. وتعود مارجوري بذاكرتها الى تلك الايام فتقول: "عندما كانت دورين تريد ان تقول لي كلمة لا تعرف هجوها، كانت تحاول ابلاغي إياها

بواسطة حروف الاشارة، وعندما اخبرتها جارتنا مرة ماذا ينبغي لي ان اضع على ركبتي الجريحة أشارت الى عينيها (اي بالانكليزية) ورسمت بأصبعها الحرف "او" ثم أتت باشارة ترمز الى فعل "مات" (داي بالانكليزية) وأخيراً رسمت بأصبعها الحرف "ن". ففهمت انها تعني "ايو داين" اي صبغة اليود".

وعندما بلغت مارجوري الحادية والعشرين اكرهها تدهور بصرها على التخلي عن القراءة. وتعلمت ان تنام وهي تضم اصغر اطفالها بين ذراعيها حتى اذا ما بكت مودي تسببت الذبذبات الناتجة من صراخها في ايقاظها. وأعطت الجيران مفتاح بيتها كي يتمكنوا من تنبيهها اذا ما سمعوا صراخ أحد الاطفال. وكانت تعوّل على دورين في كل شيء، من توجيهها في عملية التسوق الى اخطارها بضرورة تغيير ملابس شقيقها الصغير.

وكان امر تهذيب الاطفال بمثابة كفاح مستمر. فكثيراً ما كان يبدو لها انها تكلم الحائط، ذلك لان الاطفال كانوا ينطلقون الى الخارج فراراً من التوبيخ والتعنيف. وكانت تقودهم الى اسرتهم في الثامنة مساء للنوم باكراً. وانما لم يخطر في بالها أنهم يظلون يقظين وهم يتشاجرون ويغنون الى ساعة متقدمة من الليل حتى يجيء احد الجيران ويعلمها بذلك. ولم يخطر لها ايضاً ان صندوق التفاح الذي ظنت ان الفئران عبثت به وانهالت عليه قضماً قد التهمه الاطفال، كما اعترفوا لها انفسهم بعد سنوات.

وذات يوم كادت مارجوري ان تختنق بالدخان عندما لم تهتد الى غطاء الموقد فاستعانت بالمقلاة لتحول دون تصاعد السنة اللهب. وهناك حوادث أخرى كثيرة أقل خطورة. فهي وضعت مرة منكهات الدجاج في فطيرة اليقطين. ولم تشأ ان ترمي الفطيرة، فطبختها وقدمتها الى الاسرة. ولفرط دهشتها وارتياحها اعجب زوجها بالفطيرة. ومرة أخرى حاولت ان تصنع مربى التوت في قدر كبيرة، وطلبت من وارين ان يأتيها بزجاجة البيكتين (مادة هلامية) من الطابق الاسفل ولما عاد بالزجاجة صبت محتواها في القدر، واذا برائحة غريبة تملأ جوانب المطبخ. فطلبت الى الصبي ان يقرأ الرقعة الملصقة على الزجاجة، واذا بها زيت التربنتينة (زيت يستخرج من الصنوبر). وللحال افرغت في الحديقة قدر المربى الكبيرة بينما يتصاعد منها الدخان.

من الضعف قوة — مع تقدم الاطفال في السن وتزايد نزعتهم الى الاستقلال، بدأت الحياة تضيق بمارجوري. وكانت تجد نفسها منبوذة بحكم صممها في الحفلات الخاصة بالعميان، كذلك في الحفلات الخاصة بالصم حيث لا يتحدث اليها أحد لعجزها عن "قراءة" الشفاه. وبعد ان تملكها الغضب وحزّت فيها الخيبة امتنعت عن محاولة كسب الاصدقاء. وكان ألبرت يعمل ستة أيام في الاسبوع نظراً الى قلة الايدي العاملة في الحرب العالمية الثانية. وبدأ الاولاد يحصلون على وظائف

ويتركون المنزل. وسرعان ما اصبحت مارجوري وحيدة لا ملاذ لها في ايامها المظلمة الصامتة سوى الحبك بالصنارة.

وذات يوم من أواخر الاربعينات بلغ اليأس منها أشد وطأته، ففتحت درج مطبخها والتقطت سكيناً. لكنها ظلت واقفة والسكين في يدها من دون ان تقدم على الانتحار: "لقد قررت ان اكافح فترة وجيزة اخرى".

بعد ذلك اليوم البغيض بمدة قصيرة وصل الى صندوق البريد ظرف يحتوي على مجموعة من النشرات الدينية. فحثت مارجوري زوجها البرت على أن يقرأها لها. وكانت النتيجة ان أوقدت تلك النشرات فيها شوقاً الى قراءة الكتاب المقدس. وراحت تبحث عن كتاب قديم لتعليم مبادىء "البرايل" (طريقة في الكتابة خاصة بالعميان تستخدم احرفاً مؤلفة من نقاط نافرة) كانت قد حصلت عليه قبل ذلك بسبعة عشر عاماً وأهملته وما ان اهتدت اليه حتى أخذت تجاهد من جديد في تحسس نقاطه النافرة.

وعندما تم لها الالمام بذلك، بادرت الى قراءة الكتاب المقدس من الغلاف الى الغلاف. ثم اخذت تلتهم كل ما استطاعته من كتابات البرايل.

فادركت، لدهشتها الشديدة، عن طريق المجلات الاميركية والبريطانية أن هناك آلافاً من امثالها مصابين بعائق مزدوج. واشترت آلة قديمة للكتابة بطريقة برايل، وشرعت في مراسلات كثيفة.

وبعد ذلك تعلمت مارجوري استخدام الآلة الكاتبة العادية بطريقة اللمس. وانخرطت في مجال الدروس الخاصة بالعميان عن طريق المراسلة، وتعلمت الانشاء بفضل الدراسة المنزلية. وسرعان ما أخذت تبيع أعمالها للصحف.

ولم تكتف بكل تلك التحديات، فتعرفت الى صديق ايطالي بالمراسلة واشترت كتاباً لقواعد اللغة الايطالية مكتوباً بطريقة برايل وراحت تراسله.

وحملتها قراءاتها ومراسلاتها على ادراك حاجة الصم المكفوفين الماسة الى وسيلة افضل للاتصال في ما بينهم نظراً الى تردد رنين الوحدة والخيبة في رسائلهم. فعقدت عزمها على اصدار مجلة بنفسها.

وفي ٦ يوليو (تموز) ١٩٥٢ انتهى تحضير العدد الاول من مجلة "نقط ونقرات". ولم يكن هناك منه سوى نسخة واحدة تضم ١٦ صفحة مشدودة بعضها الى بعض بخيط منزلي. وأرسلتها مارجوري بالبريد بمثابة نشرة دورية الى ١١ كندياً من الصم العميان حصلت على أسمائهم من مجلات انكليزية واميركية. وقد لاقت "نقط ونقرات" نجاحاً فورياً ونمت بسرعة. وهناك اليوم ١٧٠ نسخة من كل عدد ربع سنوي يصدر في ٨٠ صفحة. وللمجلة مشتركون في كندا والخارج. وتولت مارجوري تحرير مجلتها طوال ٢٢ عاماً حتى تقاعدت على مضض عام ١٩٧٤ عندما بلغت السبعين.

الهاتف المهتز - بعد فترة وجيزة من بدء مارجوري أصدار مجلتها بادرت الى تأسيس "العصبة الكندية للصم المكفوفين". وقد تسنى لهذه

العصبة، بفضل المال الذي جمعته مارجوري من كتابة مقالاتها ومن بيع الملابس التي كانت تحبكها، ان تقتني العشرات من آلات برايل والآلات الكاتبة وساعات اليد وساعات الحائط. ثم حولت مارجوري هذه العصبة الى مكتب ارشادي تديره امرأة واحدة. وراحت تستحث الصم العميان وتشبعهم تحريضاً وتأنيباً كي يخرجوا من "أكواخ الثلج الاجتماعي" التي يعيشون فيها. ولم تلبث ان حولت غضبها نحو المعهد الكندي القومي للعميان. وكانت تصر على ضرورة تعليم المدرسين الخاصين الالقباء اليدوية الى جانب طريقة برايل حتى يتمكنوا من الاتصال بالعالم الخارجي.

وكانت النتيجة ان ادى السيل المستمر من رسائل التذمر والالحاح الى حصول مارجوري على وظيفة في ١٩٥٧ اذ عينها المعهد الكندي القومي للعميان مستشارة قومية للصم العميان. عندئذ اصبحت حياتها دوامة من الاسفار في طول البلاد وعرضها. وكانت تزور مكاتب المعهد وتعقد الاجتماعات للاعضاء من الصم المكفوفين وتناصر قضيتهم أينما ذهبت. وكثيراً ما اضطرت الى القاء الخطب والظهور على التلفزيون مما دفع اصدقاءها الى مساعدتها على تحسين نطقها. وانما كان من الصعب على المرء، ولا يزال حتى اليوم، ان يتتبع حديثها ما لم يعتد على صوتها.

وفي العام ١٩٥٨، بينما كانت مارجوري تقوم برحلة الى كالغاري، توفي ألبرت بعد نوبة قلبية في منزلهما في فانكوفر. فبادرت مارجوري الى انشاء صندوق مالي باسمه لانتاج الكتاب المقدس بطريقة برايل. وأدى بها هذا المشروع الجديد الى التقاء زوجها الثاني. فقد تلقى اريك وود، وهو أعمى غير اصم، نسخة من الكتاب المقدس أرسلتها اليه مارجوري بالبريد. فذهب بنفسه ليقدم اليها الشكر. وبعد ذلك بسبعة عشر يوماً كانا مخطوبين، ثم تزوجا بعد ١٧ يوماً اخرى في ابريل (نيسان) ١٩٦١.

واشترت مارجوري مركبا صغيراً لرحلات المتعة يحتوي على حجرة خاصة وراحت هي وزوجها يقومان برحلات صيد السمك كلما تسنى لهما ايجاد شخص مستعد لقيادة المركب. وتقول مارجوري: "كلما تفاقمت العاصفة ازدادت غبطتي. فكم كان يطيب لي تأرجح المركب وملمس الرذاذ الملحي البارد على وجهي".

وتوفي اريك عام ١٩٧٦. وتعيش مارجوري اليوم وحدها في بيتها ذي الطبقة الواحدة الذي تسوده نظافة وترتيب رائعان. ويتولى ابها وارين وزوجته ادنا مهمة التسوق نيابة عنها، كما يعنيان بحديقتها. أما في المنزل فلديها مجموعة من الاشياء الصغيرة المختلفة التي تساعدها على تدبير امرها. فهناك قطع من الشريط اللاصق تشير الى درجات الحرارة على جهاز الترموستات (جهاز تنظيم الحرارة)، وأخاديد تسم درجات الحرارة على ازرار الموقد الكهربائي، وساعة حائط من طراز برايل. وهناك الهاتف الذي يعد الرابط الحيوي بينها وبين أسرتها. فهي تدير الرقم الخاص

بابنها وارين وتطرح السؤال الذي تريده، ثم تعيد سماعة الهاتف الى مكانها. فترد الاسرة على سؤالها بشيفرة متفق عليها: رنة واحدة مثلا تعني "نعم" ورنتان تعنيان "لا" وثلاث رنات معناها "لا نعلم"، وهكذا دواليك وتعد مارجوري الرنات بوضع يدها على الهاتف المهتز.

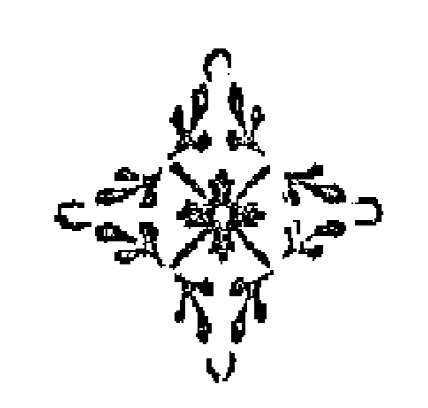
وقد احرزت مارجوري جوائز عدة خلال السنوات العشرين الماضية. اذ هي منحت جائزة العيد الخمسيني للمعهد الكندي القومي للعميان، وميدالية ذهبية مع اشادة بانجازاتها من مجلس العميان عام ١٩٦٨. وفي العام ١٩٧٦ منحت وسام الاستحقاق الكندي.

وقامت مارجوري، برحلة الى أوتاوا، عاصمة كندا، ترافقها ابنتها دورين. وفي حفلة الاستقبال التي اقيمت على شرفها توافد المهنئون باعداد ضخمة لم تكف معها أصابع دورين عن الترجمة.

على أن احدث الجوائز الاولى التي حصلت عليها مارجوري، وهي الجائزة الرئيسية لنادي الصحافة النسائي لعام ١٩٥٩، لا تزال تغمر نفسها بالغبطة والارتياح. لان مارجوري كسبتها في مباراة مع نساء غير معاقات، على قصتها "لمسة يد بشرية". وهي تروي في هذه القصة اسفارها مع البرت وقد نشرتها لها مجلة "صوت الاسرة" واختيرت كأفضل قصة من انتاج كاتبة لتلك السنة. وتسلمت مارجوري جائزتها في مأدبة متألقة في أوتاوا. وعندما تركت المائدة الرئيسية لتتسلم الميدالية تبين لها فجأة أن الذبذبات القوية التي شعرت بها كانت نتيجة التصفيق الحاد ودق الارض بالارجل تحية لها من الحضور. وتقول مارجوري في هذا الصدد: "كانت تلك البرهة أكثر لحظات حياتي اعتزازاً".

وتقول أغنس هورن مدرسة التأهيل المتقاعدة من المعهد الكندي القومي للعميان: "لم يكن هناك سبيل اطلاقاً لمساعدة الصم العميان في غرب كندا، الى أن جاءت مارجوري". وتضيف: "كانت مارجوري، ولا تزال، مصدر الهامي الدائم. انها سيدة رائعة على جانب عظيم من الحيوية والاقدام".

■ مويرا فارو



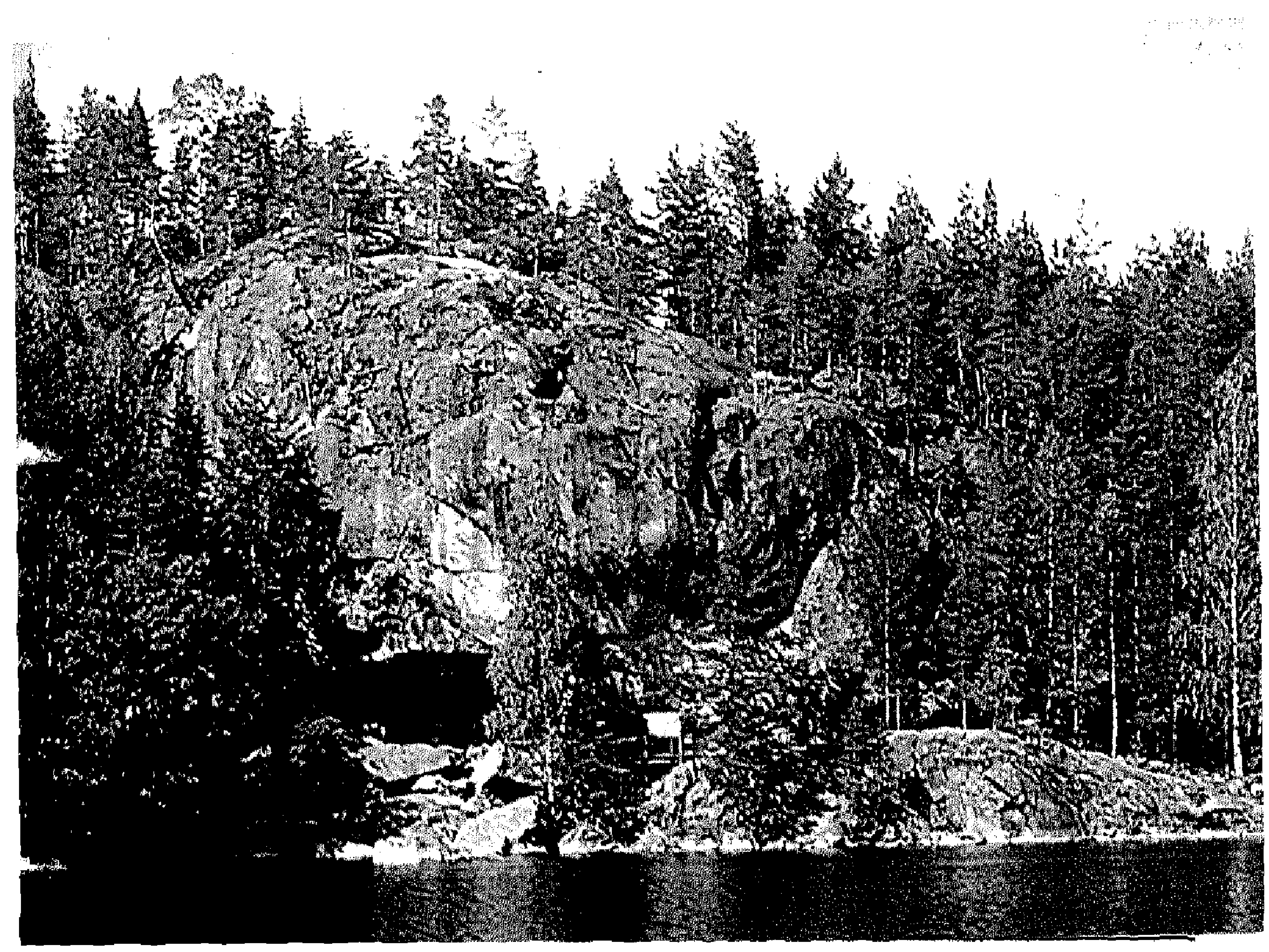
ديموقراطية الانكليز

مرة قدم شخص انكليزي النصيحة الآتية الى سائح في لندن: "يجب ألاّ تفوتك زيارة "وايت هول": ففي ناحية منها تجد تمثالا لملك قُطع رأسه، وفي الناحية المقابلة تمثالا للسياف الذي نفذ الاعدام. وهذا برهان واضح على نزعتنا لارضاء الجميع".

الدايجست الانكليزي

ادواح من العصر الحجري

الرسوم الصخرية القديمة في فنلندا تروي لنا اسرار ما قبل التاريخ



أكبر لوحة جدارية منقوشة على الصخر عثر عليها في شمال أوروبا: في استوفانسالمي التابعة لمنطقة ريستينا الفنلندية، وهي تضم أكثر من ٦٠ رسماً بالمغرة الحمراء داخل مساحة يبلغ قطرها ٣٠ متراً، وقد كان الموقع الذي وجدت فيه مثالياً لصيد الأيائل.

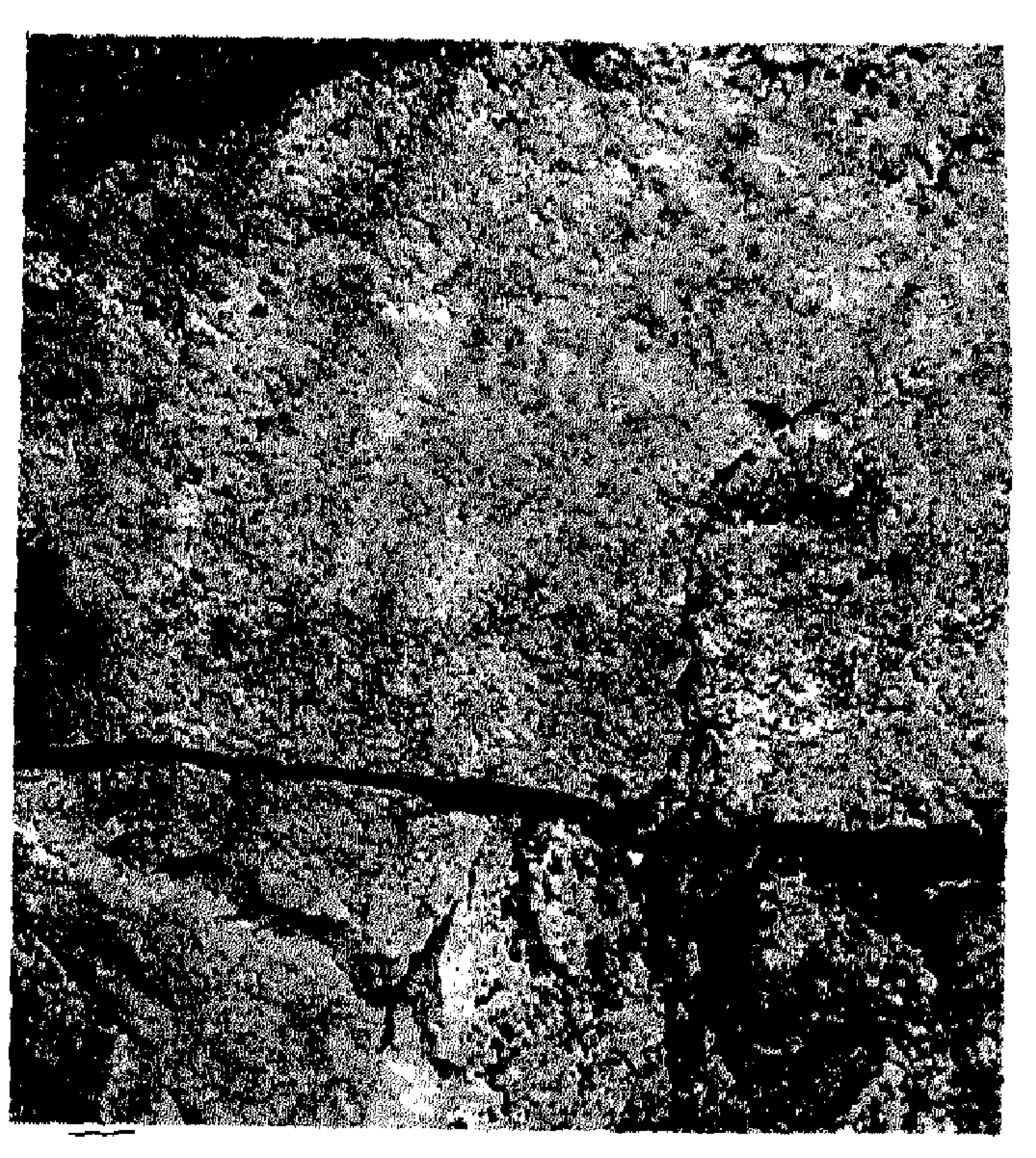
ذات يوم من العام ١٩١١ كان المؤلف الموسيقي جان سيبيليوس يتنزه في جوار بحيرة فيتراسك، فلفته رسم قديم ملون بالمغرة (اوكسيد الحديديك) الحمراء على جانب جرف عند الشاطىء. وكان الرسم قوي الشبه بالرسوم الزخرفية التي كانت شائعة في الانسجة الفنلندية التقليدية القديمة. وأبلغ سيبيليوس اكتشافه الجهات المختصة، لكن الامر لم يلق اهتماماً، بل أن علماء الآثار لم يتكلفوا عناء زيارة الموقع الا عام ١٩١٧.

وكان ذلك الرسم الجداري اول نموذج عثر عليه في فنلندا لفن الرسم الصخري في ما قبل التاريخ: تلك الصور الملفتة، من حفر ورقاقات ورسوم على الصخور بأيدي فنانين مجهولين من العصر الحجري، كالتي عثر عليها في أنحاء متفرقة من فرنسا واسبانيا وغيرهما من جهات العالم.

وبعد أكثر من نصف قرن اكتشفت في فنلندا ثلاثة رسوم صخرية أخرى، بينها رسم في منطقة استوفانسالمي يعتبر اكبر رسم من نوعه في شمال أوروبا. ونتيجة لذلك أجري بحث منهجي خلال العقد الماضي أسفر عن اكتشاف ٢٨ موقعاً آخر لهذه الرسوم في أنحاء مختلفة من البلاد.

الى اي زمن تعود هذه الاعمال الفنية؟

يحدد الخبراء تاريخ الرسوم الصخرية عن طريق مقارنتها بالزخارف الموجودة على قطع اثرية تعود الى عصر معروف عثر عليها في



هذا الرسم هو اللوحة الثانية في أويتامونسالمي في منطقة ريستينا، وتبدو صور الرجال والأيائل والقوارب واضحة، وقد اكتشف هذا الموقع عام ١٩٧٥، ويتباهى برسومه الكثيرة الموزعة على اربعة اماكن داخل مساحة قطرها ٥٠٠ متر.

المنطقة ذاتها. وهناك طريقة أخرى تعتمد التاريخ الجيولوجي. ففي منطقة بحيرتي باياني وسايما، مثلاً، رسوم جدارية على ارتفاعات كبيرة زينت واجهات الجروف التي تحف بالبحيرتين. ولا بد من أن الذين حققوها فعلوا ذلك وهم واقفون على صفحة البحيرة المتجمدة أو في قوارب، حينما كانت الكتلة الارضية أكثر انخفاضا ومستوى الماء أكثر ارتفاعاً مما هو الآن.

ونظراً الى اننا نعرف متوسط الارتفاع السنوي للكتلة الارضية، فاننا نستطيع أن نحسب الزمن الذي استغرقته البحيرتان كي تبلغا منسوبهما الحالي. وعلى هذا الاساس يمكننا أن نجدد تاريخ هذه الرسوم بالحقبة المراوحة بين العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ومستهل الالف الميلادي الثاني، أي بين العصر الحجري وبداية العصر البرونزي.

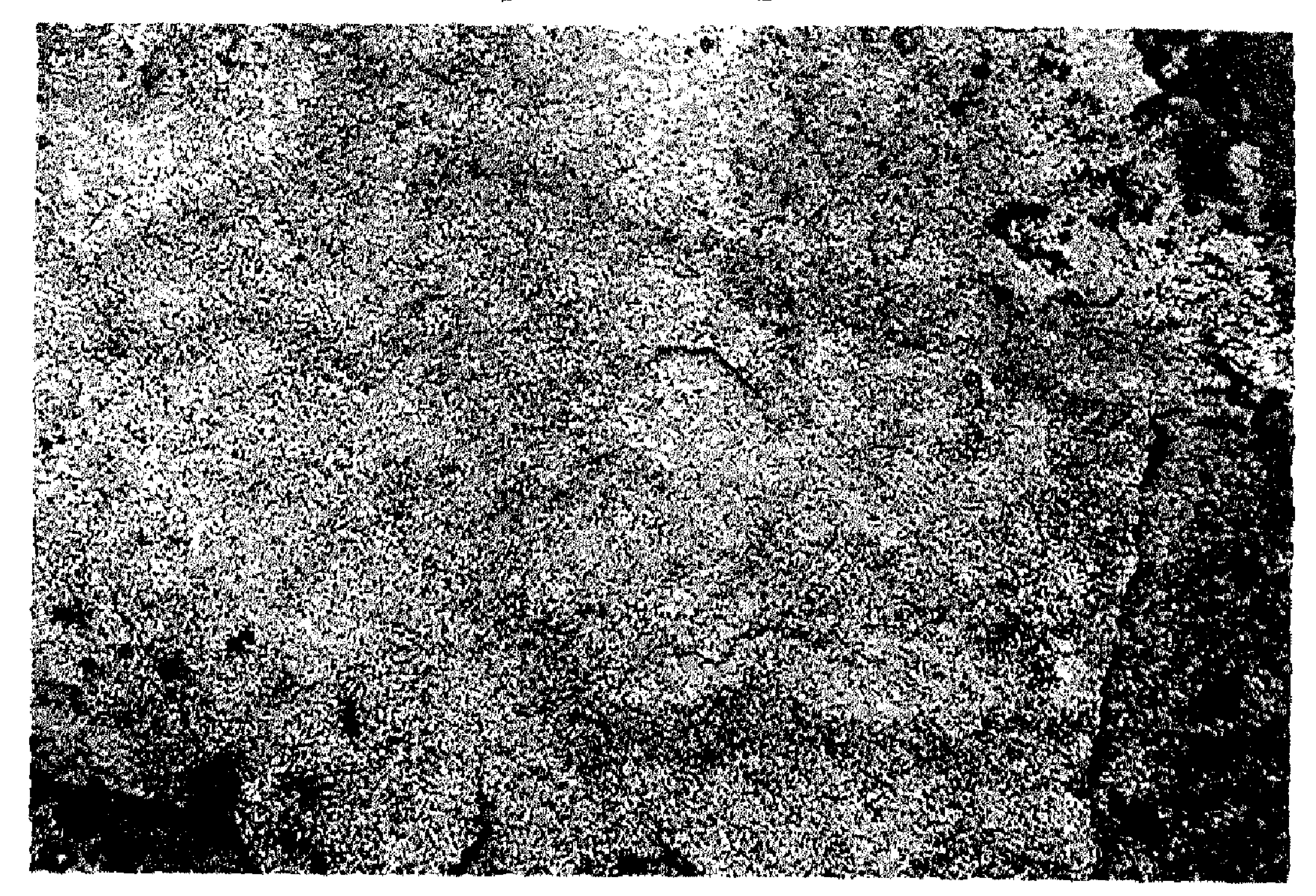
ولكن كيف بقيت هذه الرسوم القديمة، الدموية اللون، أزمانا تراوح بين الفي سنة وخمسة آلاف سنة في مناخ فنلندا القاسي؟

كثيراً ما نقشت هذه الرسوم على صخور ناعمة. وقد تدفقت المياه عبر العصور على واجهات الصخور العمودية فأدت الى ترسب طبقة ملساء صقيلة من الكوارتز فوق الرسوم فاصبحت كأنها مكسوة بالزجاج. وكان الماء يحتوي على الطبشور احياناً، مما يعني أن كثيراً من الرسوم لا بد وأن تكون قد طليت بماء الكلس.

فنانو البراري – ان مواقع المساكن والآثار التي عثر عليها فيها تنبئنا بأن رسامي العصر الحجري هؤلاء كانوا قناصين وصيادي أسماك وغزاة يطوفون بحثاً عن الكلأ والطعام ويعيشون حياة بداوة وترحال.

وهناك ثلاثة موضوعات رئيسية تتجلى في تلك الرسوم: البشر والقوارب والأيائل. والبشر مرسومون في وضع المواجهة بأسلوب الخطوط الرفيعة او "عيدان الكبريت"، من دون تمييز بين الذكور والاناث عموماً. أما الرسوم التي تتألف من

هذا الرسم البشري، من اللوحة الرابعة في أويتامونسالمي، يمثل على الارجح صياداً يستعد للطقوس، أو احدى ارواح الغابات التي كان الصيادون يلتمسون منها العون.



كانت الأيائل تزود مجتمع الصيادين باللحم للغذاء وبالجلود لصنع الملابس، وبخيوط الاعصاب للحياكة، وبالعظام لصنع الاواني، والأيل الظاهر في الصورة مأخوذ من اللوحة الاولى في اويتامونسالمي.

في هذا الرسم من اويتامونسالمي يبدو زوج "القوارب" (أعلى اليسار) شبيها بقرني الايل، ويظن بعض الباحثين أن هذه "القوارب" ترمز في الحقيقة الى الحيوان نفسه.



خطوط بسيطة محنية تعلوها خطوط رأسية قصيرة، فهي تفسر على أنها قوارب تضم رجالا يجذفون.

واما رسوم الأيائل فانها تاتي عادة في شكل تخطيطي، مع بيان قلب الحيوان في أحيان كثيرة ورسم القرون صغيرة أو أهمالها تماماً. الا أن هناك حالات قليلة تبدو فيها القرون كبيرة ومرسومة على نحو فيه شبه كبير بخطوط القوارب. والواقع، حسبما يقول الاستاذ بيكا سارفاس من المجلس الوطني الفنلندي للتحف والآثار، أن "بعض رسوم القوارب قد تكون في حقيقتها قروناً، فهي جزء من الحيوان يرمز الى الحيوان بأكمله".

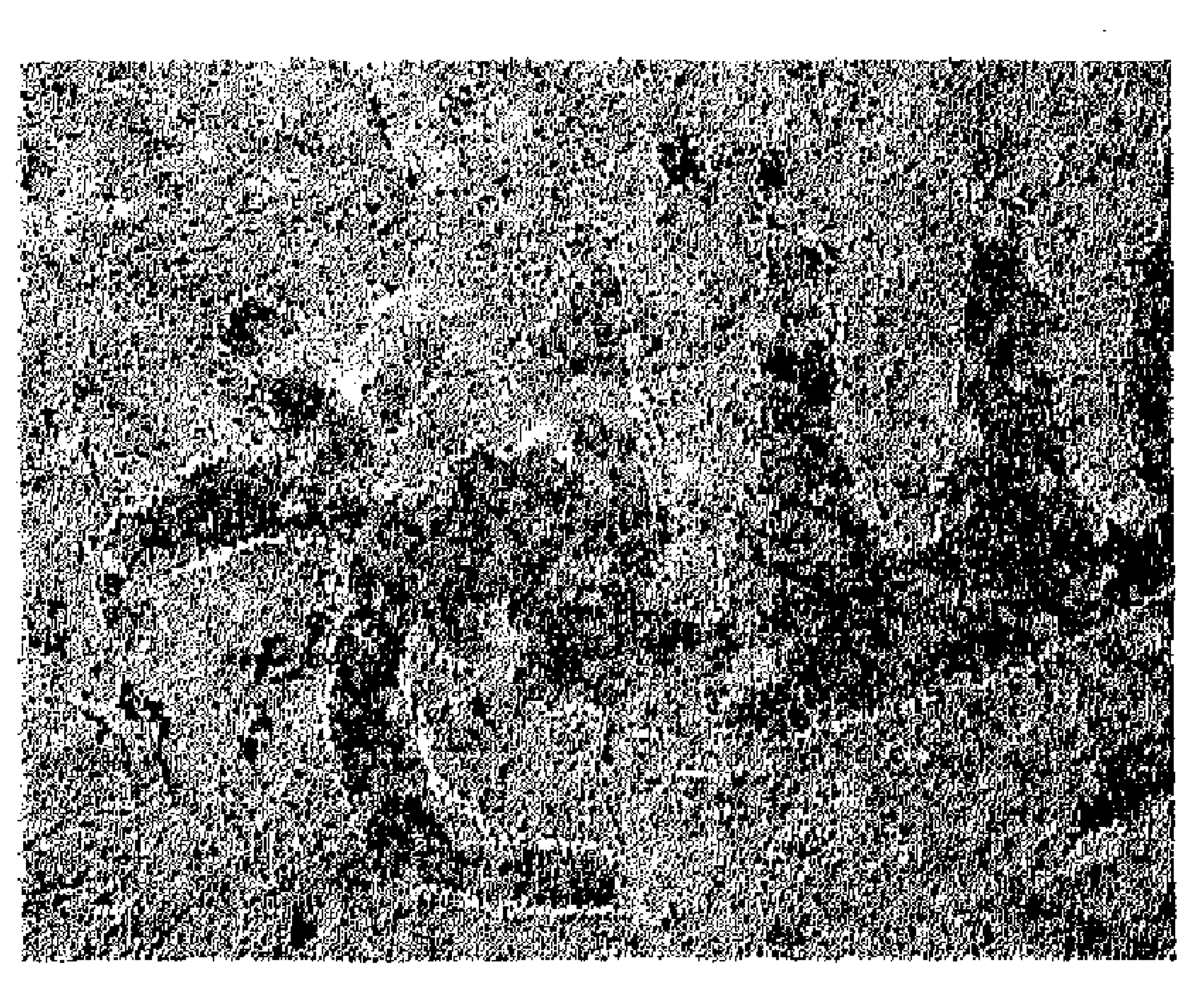
وهناك رسوم اكثر ندرة في تلك اللوحات الجدارية، مثل الايدي المطبوعة والخطوط المتعرجة التي يظن أنها تمثل ثعابين او اسماكاً او حيوانات يصعب تحديدها، ومثل الرسم الزخرفي الذي عثر عليه في ناحية فيتراسك.

لماذا رسموها؟ – يفترض الاثريون أن هذه الاعمال الفنية كانت جزءاً من طقوس الصيد. ذلك ان عدداً كبيراً من هذه الرسوم الصخرية يحف بالمناطق الضيقة من البحيرات، وهي مواقع تتسم بملاءمتها الممتازة لدفع الطرائد ومحاصرتها، وهو الاسلوب التقليدي القديم في صيد الأيائل.

فعندما كانت ثلوج الشتاء تتكاثف وتكسوها قشرة صلبة، كان الصيادون المتنقلون على الزلاجات يحاصرون طرائدهم ويدفعونها عبر الاودية نحو



عندما يعثر على لوحة جداريه جديده تصور فوتوغرافيا وتنسخ بمقياس كامل على البلاستيك. ويبدو هنا أحد علماء الآثار وهو يتأهب لنسخ لوحة ساراكاليو التي عثر عليها عام ١٩٧٥.



رسم يمثل قارباً في مقدمه رأس ايل، عثر عليه في ساراكاليو في منطقة لاوكا الفنلندية. واكتشف في لينتويارفي في منطقة روفانيمي رأس مماثل لقارب يعود الى العصر الحجري.

الثغرات الضيقة في ابحيرات. وكانت الأيائل المطاردة تتقطع أنفاسها من العدو في الثلوج الكثيفة، وتتجرح سيقانها بسبب اصطدامها بقشرة الثلج المتجمدة، فتضطر الى العرج والتلكؤ. ويطير صوابها من انقضاض كلاب الصيد وراءها، وينتهي الامر الى سهولة قتلها بالعصي والرماح. وكانت هناك وسيلة صيد أخرى تتلخص في مطاردة الأيائل من مستقراتها في الغابات، حيث ينتزعها صياح الرجال من مخابئها فتندفع مسعورة وهم يوجهونها بضجيجهم حتى تنهار من فوق جرف صخري شاهق.

ويحاول علماء الآثار معرفة الطقوس التي كانت تقام وقتذاك أمام تلك الصخور الشاهقة. فعمدوا الى دراسة المخطوطات الفولكلورية لبعض الشعوب التي صمدت في ظروف مشابهة، مثل قبائل "تانغوس" التي تقطن سيبيريا فافراد هذه القبائل يتجمعون مرة كل عام لاداء رقصات سحرية والتضرع الى أنثى أيل أسطورية - هي في اعتقادهم الام الاصلية للقبيلة وملكة الحيوانات - ملتمسين منها أن تكلل صيدهم بالنجاح. وهذه الانثى الاسطورية متمثلة عادة بصخرة تشبه ايلا، ترسم عليها صور بالمغرة الحمراء.

وبفضل تلك المدونات الفولكلورية وما تتيحه من استثارة للخيال تنبعث الرسوم الصخرية الفنلندية الى الحياة. ولنتصور عصبة صغيرة من الصيادين وقد تجمعوا عند قاعدة جرف شاهق ليلتمسوا معونة الآلهة. فيبدأ الصيادون بالرقص أمام الصخرة المقدسة، بينما يتولى الشيوخ رسم الصور الحمراء بلون الدم على واجهة الصخرة. وتعقب ذلك طقوس اخرى يطلق فيها الرماة سهامهم على صور الأيائل المرسومة، كما يتضح من رؤوس السهام التي عثر عليها في استوفانسالمي. ويتبين كذلك من الاواني الفخارية التي وجدت في فالكياساري أن حملة الصيد الموفقة كان يعقبها تقديم ذبيحة من الطرائد أمام الرسوم.

الا أن مجيء الزراعة تسبب في تضاؤل اهمية الصيد. فقد اقتضى اسلوب الحياة الجديد ان يستقر الناس في مساكن دائمة وان يعبدوا آلهة جديدة تزودهم بالمحاصيل الجيدة. وبما ان الآلهة الجديدة التي اعتمدتها الثقافة الزراعية الغازية لم تتوافق مع الآلهة القديمة التي تدين بها قبائل البدو، فقد انتهى الامر بأن عفا الزمن تقاليد الرسم على الصخور.

■ يوسي بيكا تافيتسانين

☐ ذكر خطأ في العدد ١٦ من "المختار" (مارس ١٩٨٠) ان رونالد ريغان هو ابرز المنافسين الديموقراطيين للرئيس الامريكي جيمي كارتر. والصواب ان ريغان هو ابرز المرشحين الجمهوريين ☐

عجائب الجراحة المجهرية

هل تصبح للجسد البشري يوماً
مخازن قطع غيار كما للسيارات ؟

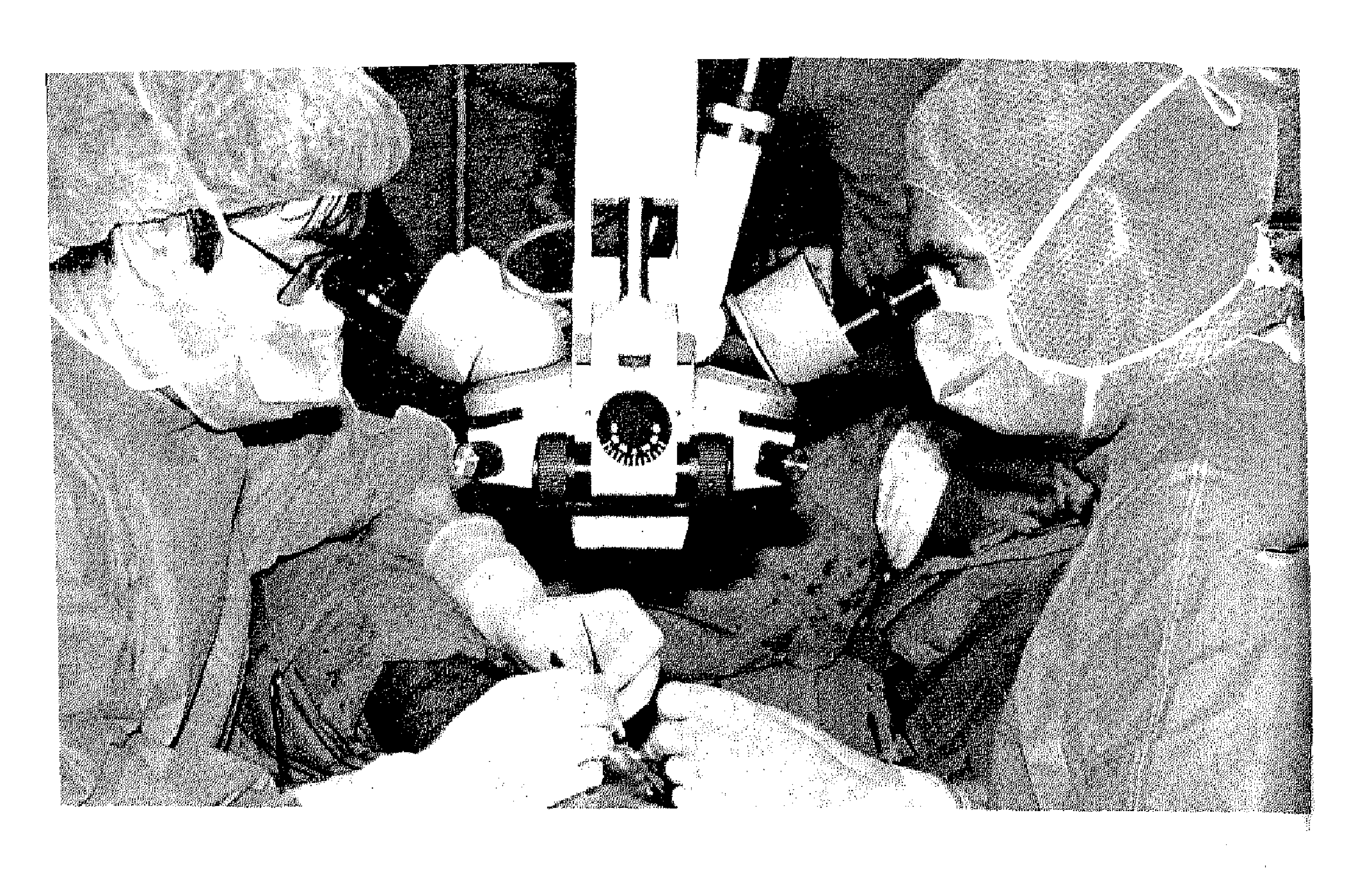
● داخل غرفة العمليات في مستشفى رادكليف في مدينة اكسفوردالانكليزية ، تسجل شاشة الفيديو الكبيرة المتصلة بمجهر قوي مراحل احدى جراحات الدماغ التي كان اجراؤها مستحيلا قبل سنوات . والمريض موظف اداري كبير في الثانية والخمسين ، يعاني تعثراً في النطق ونوبات توقف دماغي تسببت في اضعاف ذراعه وساقه اليمنيين .

ويستخدم الجراح في هذه العملية ادوات بالغة الدقة تحت مجهر يكبر الصورة عشرين مرة . وهو يجتاز بها المجرى الجانبي لأحد الشرايين المسدودة في الدماغ ، ثم يخيط اكثر من ١٢ غرزة شعيرية بالغة الدقة ليصل وعاءين دمويين صغيرين لا يتجاوز قطر كل منهما نصف قطر عود الثقاب . ومن المرجح ان هذه الجراحة حالت دون حدوث نوبة دماغية كان يمكن ان تقضي على المريض .

● في مستشفى كليفلاند كلينيك في ولاية أوهايو الامريكية يعمل احد الجراحين على استئصال الكلية الوحيدة الباقية لدى سيدة في الرابعة والأربعين سبق أن استؤصلت كليتها الأخرى قبل اعوام . وينقل الجراح الكلية المستأصلة الى طاولة قريبة حيث يعمد الى معالجة انتفاخ في شريان رئيسي تعذر الوصول اليه داخل جسد المريضة ويستخدم الجراح بعد ذلك مجهراً جراحياً كي يعيد الكلية الى جسد صاحبتها ، حيث يحكم ربطها من جديد بسبعة شرايين فرعية تشبه الخيوط . ويستلزم وصل كل شريان نحو ساعة من الخياطة الدقيقة . وبعد عشرة أيام تغادر السيدة المستشفى بكلية سليمة وقد تحررت من خطر قضاء حياتها مستخدمة آلة لتنقية الدم .

● في مستشفى ريتشنس دير إيزار في مدينة ميونيخ الالمانية يدرس اختصاصيو الجراحة المجهرية نتائج ٧٢ جراحة لزرع الابهام في ايد بترت ابهامها بسبب الحوادث . وبعد انقضاء ستة اشهر على هذه الجراحة ، تبين ان ٥٨ من هؤلاء المرضى استعادوا نحو كامل كفاية الابهام الحركية وكامل حساسيتها وقوتها .

Based on an article in the Atlantic Monthly (February '80).
Photo: Joe Guardino, Bellevue Hospital.



تلك هي بعض الانجازات الحديثة في عالم الجراحة المجهرية المدهش. ويقول الدكتور رولين دانييل من مستشفى فيكتوريا الملكي في مدينة مونريال الكندية: "إن المجهر الجراحي والأدوات البالغة الصغر والدقة التي ترافق استخدامه جديدة رحبة، فتحت امام الطب آفاقا واتاحت لنا ان نحقق انجازات كانت تتجاوز احلامنا قبل خمسة اعوام".

وليست فكرة استخدام المجهر في الجراحة فكرة جديدة، اذ سبق ان استخدمه جراحو العيون والآذان منذ سنوات. غير ان فضل الريادة في الجراحة المجهرية الحديثة يعود الى جراحي كلية الطب في جامعة فيرمونت، في الولايات المتحدة الامريكية. الدكتور جوليوس جاكوبسون اول من فكر، عام ١٩٥٧، في الاستعانة بمجهر لخياطة الأوعية الدموية والأعصاب الدقيقة. وكانت الأدوات الجراحية المتوافرة آنئذ ضخمة الحجم بالنسبة الى هذا العمل. فراح الدكتور جاكوبسون وزملاؤه يتدربون على استخدام الآلات الدقيقة التي يستعملها اختصاصيو المجوهرات، وانكبوا على تجربتها على الحيوانات سنوات عدة حتى تمكنوا اخيراً من تطوير الأدوات الكفيلة بوصل الأوعية الدموية، والتي لا يزيد قطرها على المليمتر، أي ما يعادل حجم رأس دبوس.

ويقول الدكتور بيردون دوناغي من قسم جراحة الأعصاب في كلية الطب التابعة لجامعة فيرمونت: "إن المشكلة الرئيسية في وصل أوعية

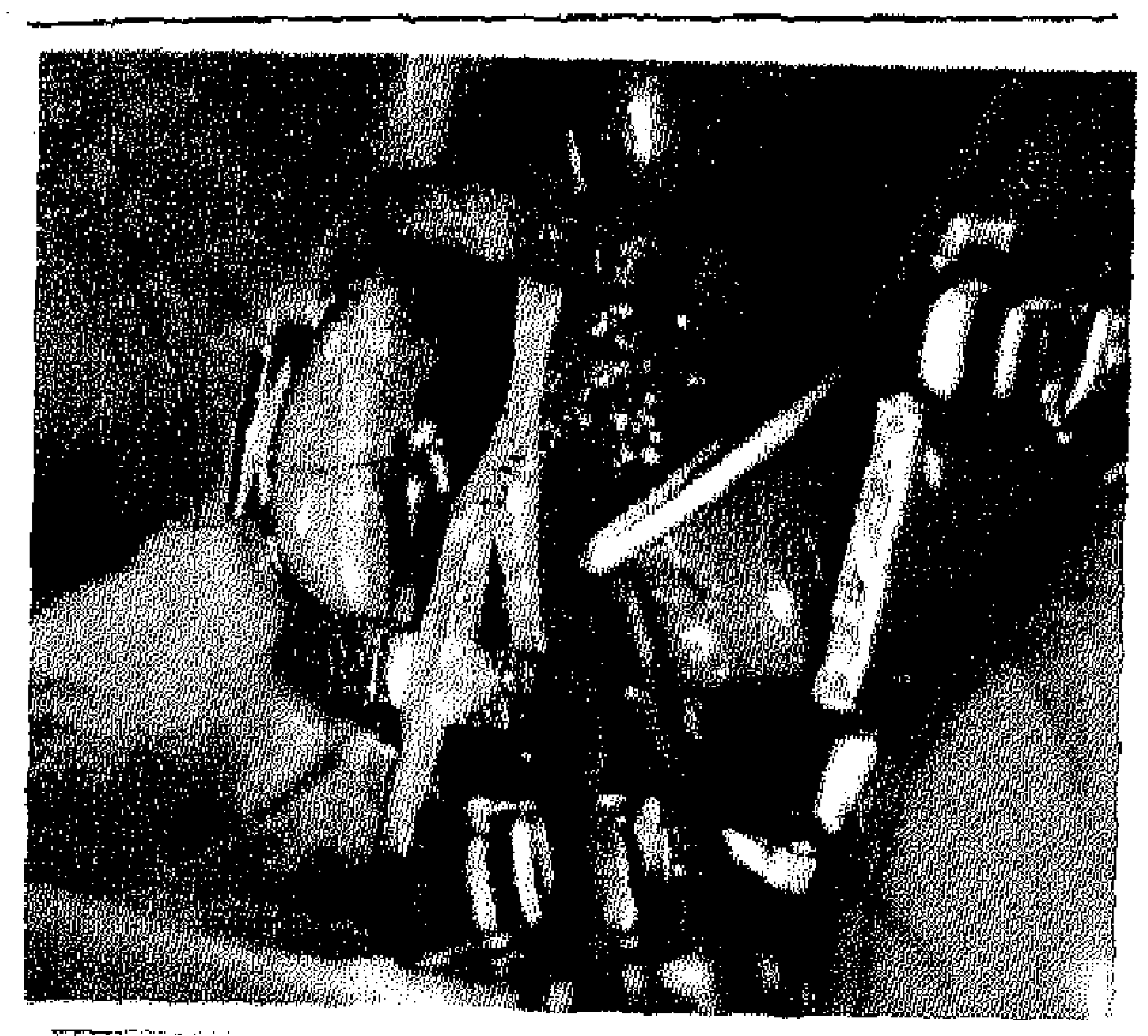
دموية بهذا الحجم البالغ الضآلة تكمن في المحافظة على بقاء جوفها مفتوحا عند الوصلة".

ولننظر الى المشكلة على النحو الآتي: لنفترض أنك تريد وصل انبوبين من المطاط شبيهين بقطعتين مطهوتين من المعكرونة الدقيقة، سواء أفي صغر قطرهما أو في مرونتهما. في هذه الحال عليك أن تضبط اولا تحاذي الطرفين بحيث تلتقي الفتحتان بدقة تامة. وعليك بعد ذلك أن تخيط هذين الطرفين احدهما الى الاخر بما يقرب من اثنتي عشرة غرزة كي تثبتهما في موضعهما. وعليك أخيراً أن تستوثق من احكام الغرز ومتانته على نحو كاف لمنع التسرب، ولكن من غير افراط كي لا تتعرض الانبوبتان للتمزق او الضيق او الانتفاخ عند الوصلة.

مهمة للشباب ـ يحتاج الجراح، وإن يكن ضليعاً بارعاً، الى ما لا يقل عن ٤٠ ساعة من التدريب المخبري على الأوعية الدموية المأخوذة من الجثث والحيوانات قبل أن يتمكن من اتقان الاساليب الدقيقة في تلك الجراحة. وقد تبينت سبب ذلك عندما أجرى الدكتور دوناغي تجربة بسيطة كي يوضح لي الأمر.

وضع الطبيب قطعة من خيط الجراحة المجهرية، يبلغ قطرها نصف قطر شعرة بشرية، تحت مجهر جراحي. وطلب مني أن أرفعها بطرف معقوف يكاد لا يرى لآلة جراحية دقيقة. وبعد ضبط الرؤية في المجهر بدا الخيط واضحاً كحبل السفينة، وبدأت أحرّك الأداة تحت عدسة المجهر.

وكان أول ما أثار دهشتي درجة ارتعاش يدي التي كشف عنها المجهر. وقال لي الدكتور دوناغي: "ان الجراحين، حتى اولئك الذين يظنون أيديهم ثابتة كالصخر، يشعرون بالاسى حين يكتشفون أنهم لا يستطيعون الامساك بمبضع أو مقص بدرجة كافية من الثبات تحت

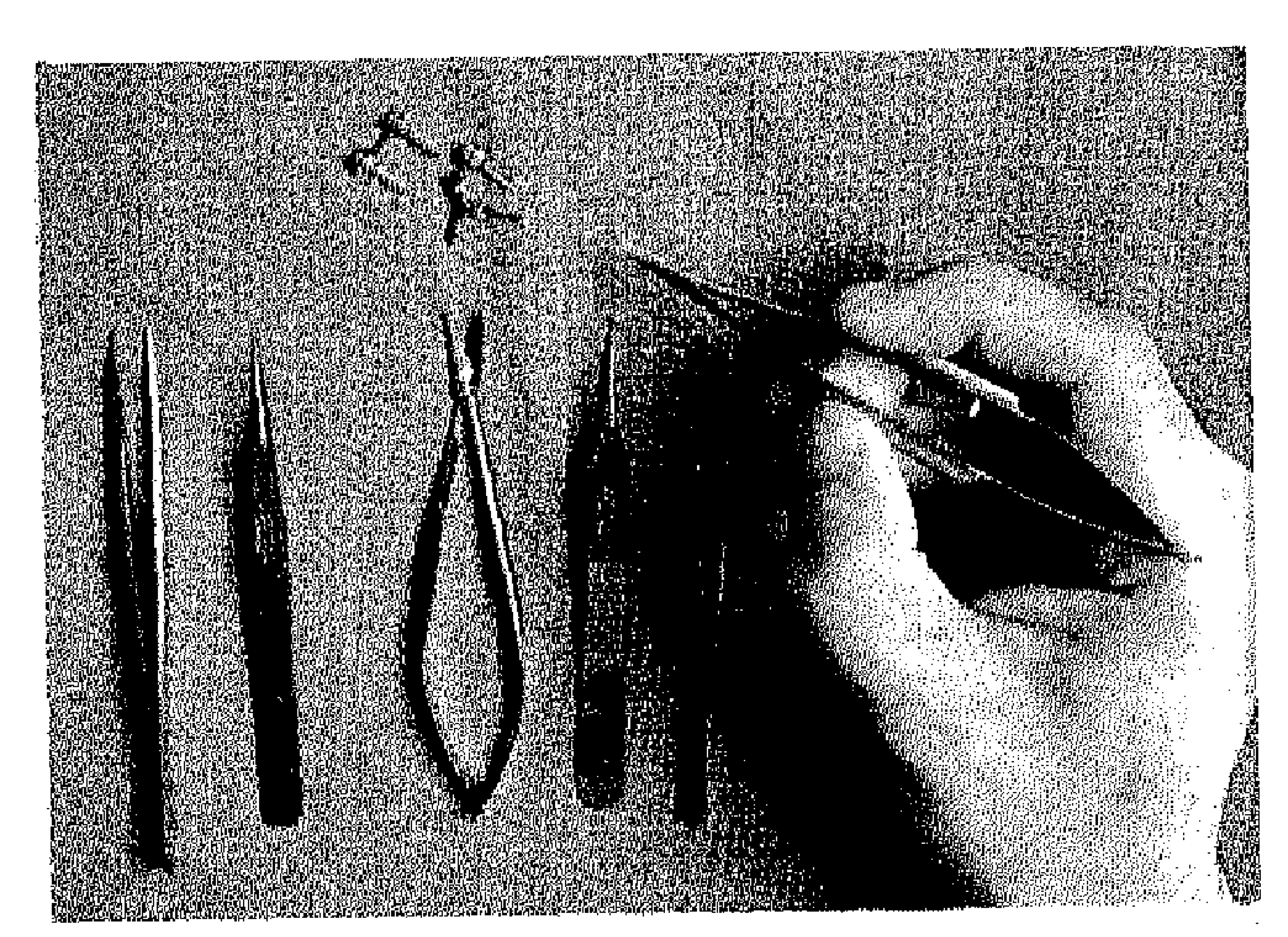


جراحة اختبارية تدريبية على فأر لفتح ممر جانبي يتجاوز شرياناً مسدوداً (التكبير: ٤ مرات). ولكي يتضح لك المقياس: لاحظ المشبك الذي يبدو في الصورة الى اليسار.

المجهر". ولا بد لاختصاصيي الجراحة المجهرية من ان يتعلموا كيف يعملون وهم يسندون أذرعهم وأيديهم تماماً على طاولة، مستخدمين أصابعهم وحدها في فتح الأدوات وإقفالها وتحريكها. وهناك مقعد خاص للجراحة المجهرية يتيح للجراحان يسند كامل جسمه اليه.

وظهرت مشكلتي الثانية عندما حاولت لمس الخيط الجراحي. ولم

تكن درجة التكبير تزيد على عشر مرات؛ في حين ان اختصاصيي الجراحة المجهرية كثيراً ما يعتمدون على تكبير يبلغ أربعين مرة. ومع ذلك فان الطرف المعقوف للأداة بدا كأنه يطفو سابحاً حول المنطقة من دون أن يلمس الخيط الا عرضاً. ففي هذا العالم المجهري تحتاج الحركات الى عمليات ضبط وتكييف بالغة الدقة. ومثال ذلك انه لدى اجراء



تشتمل ادوات اختصاصي الجراحة المجهرية على مقص دقيق (ممسكاً به) وملقطين دقيقين مما يستعمله الجوهري، ومقص وملقطين ومشبكين (اسفل الصورة).

غرزة قلما يتجاوز نطاق حركة يد الجراح مجال قوس طوله ثلاثة مليمترات. وقد قضيت عشر دقائق أحاول عبثا التقاط الخيط، وخرجت من تلك التجربة وأنا أشعر بالاحباط والارهاق.

ويقول الدكتور أندرو نوفيك، اختصاصي الجراحة المجهرية للمسالك البولية في مستشفى كليفلاند في ولاية اوهايو الامريكية: "لا حاجة اطلاقاً الى العجلة في هذه الجراحة؛ فهي عمل بطيء مرهق يقتضي مقداراً بالغاً من التركيز".

والجراحة المجهرية تعتبر من وجوه كثيرة مهمة خليقة بالشباب؛ ذلك لأنها تتطلب درجة عالية من اللياقة البدنية واليقظة العقلية. ولم اقابل اختصاصياً واحداً في الجراحة المجهرية يدخن أو يتعاطى التبغ في اي شكل؛ كما أن معظم هؤلاء الجراحين يتجنبون المشروبات التي تحتوي على الكافيين طوال ٢٤ ساعة قبل اجراء أي جراحة. وهم في غالبيتهم الساحقة يمارسون الرياضة البدنية.

اسلاك متقاطعة ـ لعل زرع الأعضاء هو اشق الجراحات اطلاقاً. فقد نقلت منذ قليل، وعلى وجه السرعة، الى مستشفى فيكتوريا الملكي في مونريال سيدة شابة اطبقت على يدها آلة كبس بترت اربعاً من أصابعها. ولحسن الحظ أن أحد الموجودين في مكان الحادث قد حمله حضور البديهة على جمع الاصابع الاربع ولفها في شاش طبي ووضعها في علبة مبردة بالثلج. وما ان وصلت الى المستشفى حتى باشر فريق الجراحة المجهرية مهمتهم. وكان الأمر يقتضي عمل الكثير، بما في ذلك ادخال رقع في سبعة أوعية دموية وسبعة خيوط عصبية مثل خيوط العنكبوت. ولم يشعر الأطباء بمرور الوقت، لكن احدى الممرضات اعلنت، لدى انتهائهم من الغرزة الاخيرة ان الجراحة استغرقت ٢٤ ساعة و٣٠ دقيقة.

ومن أصعب المراحل في جراحة زرع الاعضاء المرحلة الخاصة بوصل الأعصاب المقطوعة. فالعصب يشبه سلك الهاتف في احتوائه على حزمة من "الخيوط" أو "الأسلاك" الصغيرة المنفصلة التي لا بد من شدها وربطها بأحكام إذا أريد للمريض ان يستعيد امكان نقل الاشارات بين المخ والعضو المزروع. وكثيراً ما يستخدم الجراحون المتخصصون في إعادة وصل الأعصاب، مثل الدكتورة جوليا تيرزيس من مستشفى فيكتوريا الملكي، رسوماً تخطيطية من إعداد الدماغ الالكتروني، تدون على ورق معقم يكفل اصطحابها الى داخل غرفة العمليات للاستعانة بها في التمييز بين عشرات الألياف والعناية بوصلها. غير أنه قد يتعذر في بعض الأحيان، حتى مع التكبير ٤٠ مرة، تجنب حدوث بعض "التقاطع في الأسلاك".

ان التقنيات المتبعة في زرع الأعضاء تستخدم الآن أيضاً في نقل الأنسجة من جزء الى آخر في جسم المريض نفسه. وقد اهتدت مراكز الجراحة المجهرية الكبرى الى مجموعة وافرة من التطبيقات الجديدة التي لن يلبث ان يروج استخدامها.

ومن أمثلة ذلك نقل إبهام القدم الى اليد لدى العديد من الأطفال الذين يولدون بأصابع ناقصة. ومن التقنيات الأخرى التي تبشر بالنجاح "مبادلة الأجزاء". ويتحدث الدكتور رونالد مالت من مستشفى ماساتشوسيتس العام في هذا الشأن، وهو الذي اجرى اول زراعة ناجحة للأطراف عام ١٩٦٢، فيصف حالة اطلع عليها خلال زيارته الصين حيث تجرى إعادة زرع الأعضاء على نطاق واسع: فقد اصيب المريض في حادث قطار وبترت قدمه اليسرى. وعندما وجد الأطباء الصينيون أنهم لا يستطيعون إنقاذ الساق اليسرى ولا القدم اليمنى، أعادوا زرع القدم اليسرى على الساق اليمنى، وأصبح للرجل ساق يمنى كاملة وساق يسرى اصطناعية. وهو يستطيع التنقل من دون الاستعانة بعكازين.

والجراحة المجهرية تفتح باب الأمل أيضاً في وجوه الذين يفقدون أجزاء حيوية من أجسامهم بسبب السرطان وغيره من الأمراض. فمنذ ثلاث سنوات عمل جراحو مستشفى كانيسبورن في مدينة غلاسكو في اسكتلندا على معالجة مريض تحتم استئصال جزء من مريئه (الانبوب الذي يمر الطعام عبره الى المعدة). فعمدوا الى قطع جزء من الأمعاء الدقيقة لدى المريض وخاطوه داخل عنقه مع وصل جميع الأوعية الدموية عن طريق الجراحة المجهرية. فاستعاد جسم المريض بذلك اداء وظيفته العادية.

الاعاجيب الصغيرة - يستخدم الجراحون حالياً تقنيات الجراحة المجهرية لنقل مساحات كبيرة من النسيج الحي من أحد أجزاء الجسم الى جزء آخر. وقد استخدم هذا الاسلوب في مستشفى برينس أوف ويلز في مدينة سيدني في اوستراليا، لترقيع وجه فتاة في الثامنة عشرة من عمرها مصابة بمرض رومبرغ، وهو تشوه خلقي يكون فيه النصف الأيسر من الوجه خالياً من الشحم تماماً مما

يؤدي الى خشونة الملامح وغور العين واعوجاج الفم. وقد عمد الجراحون أولا الى نزع الغلاف الدهني، ويسمى الثرب، من بطن المريضة، مع المحافظة التامة على الأوعية الدموية. ثم فتحوا الجانب المشوه من الوجه بأن أحدثوا شقاً عبر فروة الرأس. ثم سلخوا الجلد الى أسفل بدءاً من الجبهة. واستخدموا أدوات دقيقة لوصل أوعية الوجه الدموية المكشوفة بأوعية الثرب، ثم عملوا على تبطين الملامح بالدهن قبل أن يعيدوا خياطة جلد وجه الفتاة. وهكذا غدت الفتاة راضية عن مظهرها للمرة الاولى في حياتها.

ولا تزال التطبيقات التي تتمخض عنها الجراحة المجهرية في تزايد مطرد. وقد كان معظم الجراحين في بادىء الأمر ينفرون من إجراء الجراحات على الاورام الصغيرة المدفونة في مناطق حساسة من الدماغ وعلى الغدة النخامية او الحبل الشوكي، خشية المساس بالأنسجة المحيطة وإثارة مزيد من المشاكل للمريض. أما الآن فقد اصبحوا، بفضل الجراحة المجهرية، قادرين على استئصال هذه الأورام مع انخفاض كبير في احتمالات التسبب في انتكاس حال المريض او وفاته. وهناك حالات كثيرة يؤدي فيها استئصال هذه الأورام الصغيرة الى الابلال من الشلل أو العمى أو تعثر النطق أو العقم.

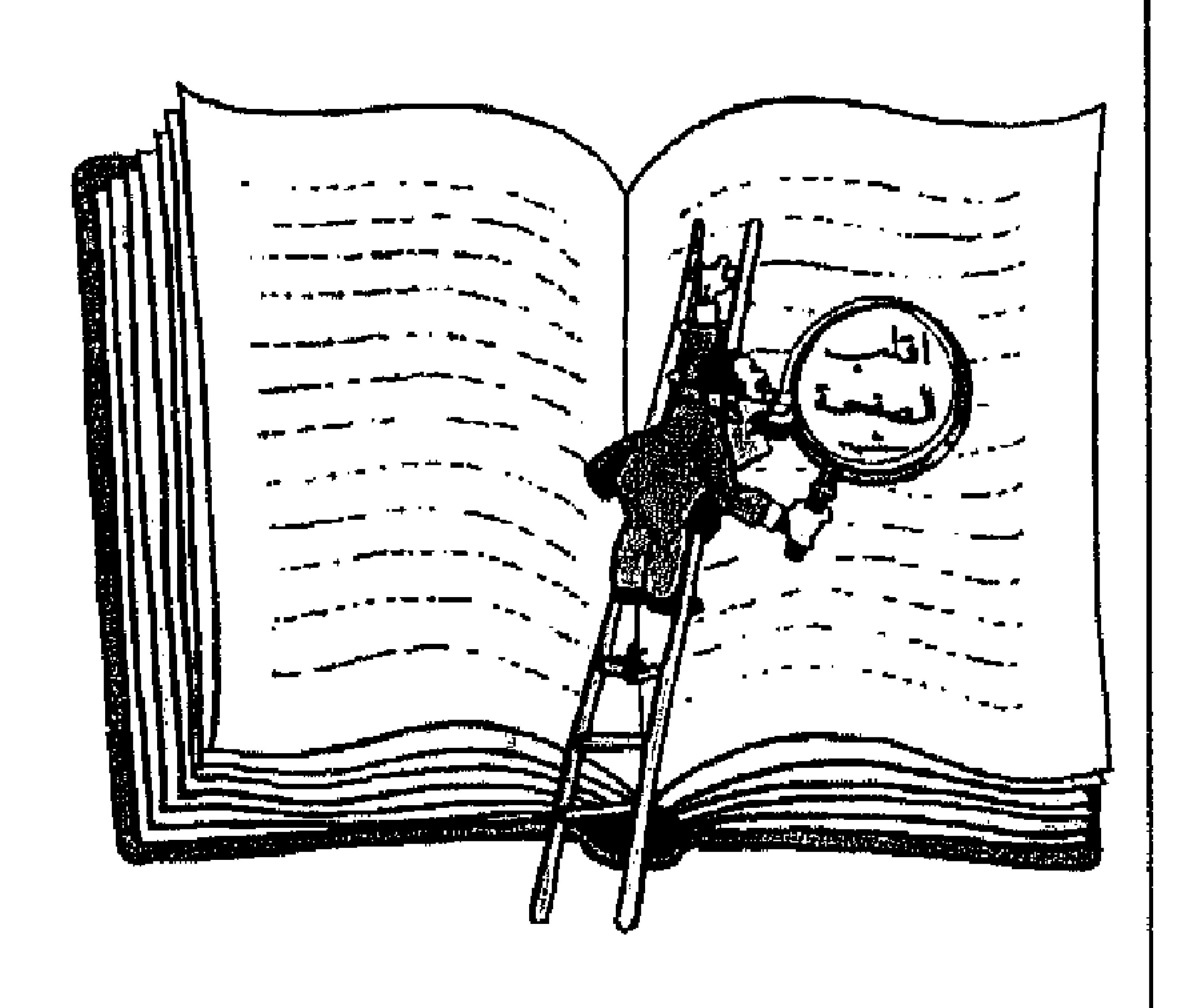
وتساهم الأدوات الجراحية الجديدة في توسيع نطاق الجراحة المجهرية لتشمل فروع الطب كافة. ومن بين الاجهزة التي ظهرت في السنوات الأخيرة نذكر المجاهر الجراحية التي قد يبلغ ثمن الواحد منها مئة الف دولار ويشتمل على ثلاثة رؤوس للنظر أو أكثر حتى تتسنى متابعة تفاصيل الجراحة لأطباء عدة في الوقت نفسه، ودارا منفصلة للتلفزيون الملون، وضوابط بالقدم للتركيز والتكبير، وعدسات تلفزيونية، واضاءة عبر العدسات على نحو لا تلقي أيدي الجراحين معه ظلالا على منطقة العمليات، وخيوطاً جراحية في دقة خيط العنكبوت لكنها قوية بما يكفي تحمل ضغط الشد الجراحي، وابراً ومشابك ومقصات وأنابيب حقن وملاقط كلها مصغرة الى أحجام بالغة الدقة.

وتتيح هذه الأدوات الآن للجراحين اعادة زرع قناة فالوب (التي تنتقل البيضة عبرها من المبيض الى الرحم) المفصولة أو المصابة بالمرض، وأن يعيدوا الخصوبة الى الرجال الذين أجروا جراحة تعقيم بفصل القناة المنوية، وأن يجروا جراحة عبر أنف المريض على الغدة النخامية المتصلة بالدماغ.

وقد نتساءل الآن: وماذا بعد؟ الى أين ستصل الجراحة المجهرية؟

يقول أحد الجراحين في هذا الصدد: "ربما استخدمت الجراحة المجهرية يوماً في نقل الأعضاء من الجثث، مثل الأذرع والسيقان وغيرها، اسوة بما يجرى في عمليات استبدال القرنيات والكلى والقلوب. بل لعل فكرة ايجاد بنك لقطع الغيار البشرية تصبح يوماً واقعاً حقيقياً كما هي الحال بالنسبة الى مخازن قطع غيار السيارات".

■ ستانلي انفلبارت



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد مصطلحات زراعية. وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارئ ان يختار المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

٠١ مِنْجَل: فأس ـ عصفور ـ آلة لقطع الزرع ـ منشار.

٠٢ فَدّان: سكة ـ ثورا الحراثة عَرَبة ـ نهران.

٠٣ اخدود: حفرة ـ كهف ـ تلة ـ نبع.

٠٤ مَشْتَل: اناء الزهر ـ مكان لزرع الغِراس ـ كَرْم ـ تربة خصبة.

٠٥ آفة: حيوان كالجرذ ـ سلة ـ ريح حارة ـ كائن مؤذ.

٠٦ خَردل: نبات عشبي ـ فطر ـ زهر جميل ـ شجر.

٠٧ تقليم: قلع الشجر ـ حراثة ـ قطع الاغصان ـ توزيع التراب.

٠٨ بَيْدَر: حقل قمح ـ غابة ـ موضع الدرس ـ مرج.

٠٩ آر: مقياس للطول ـ مقياس للمساحة ـ ماء كثير ـ مئة طن.

٠١٠ جَرْش: حصاد ـ نقل الغلال ـ درس ـ طحن الحب.

٠١١ لَقاح: ثمار ـ غبار اصفر ـ بذار ـ مادة تحقن في الشجر.

٠١٢ طُفَيلي: شجرة غير مثمرة ـ مُزارع ـ كائن مؤذ ـ نبتة صغيرة.

٠١٣ شوكة: اداة مسننة ـ مِعْوَل ـ غصن ناتئ ـ مجرفة.

٠١٤ فول سوداني: فستق ـ شجر وارف ـ لوبياء ـ من الفاكهة.

٠١٥ تَهجين: زرع الجنائن ـ نثر البذار ـ حراثة ـ اختلاط النسل.

٠١٦ جَرّار: خزانة للمعدات ـ مركبة ـ مِحْراث ـ حبل يربط حول عنق الدابة.

٠١٧ دلتا: هَضَبة خصبة ـ بئر ـ ارض منبسطة ـ نهر عميق.

٠١٨ نِيْر: خشبة بين عنقي ثورين ـ حبل ـ حِمْل الدابة ـ عصا.

٠١٩ سِباخ: صحارى ـ بِرَك الري ـ مستنقعات ـ اراض مهملة.

٠٢٠ تطعيم: تسميد التربة ـ رش المبيدات ـ غَرس ـ وصل غصنين.

٠٢١ لِحاء: صَمْغ ـ قشرة ـ الياف ـ لُبّ.

٠٢٢ خَميرة: طُحْلُب ـ من التوابل ـ فُطْر ـ مادة تستخرج من الشعير.

٠٢٣ نَورَج: مِحْراث ـ حجر مستدير ـ دابة ـ آلة الدرس.

٠٢٤ بُور: ارض غير مزروعة ـ بئر جافة ـ دغْل ـ زرع فاسد.

٠٢٥ تُرعة: نبع ـ حوض ماء ـ قناة ـ سد.

٠٢٦ حَجَر الرّحى: غطاء البئر ـ مطحنة ـ علامة الحدود ـ حجر رملي.

٠٢٧ بكتيريا: امراض ـ كائنات محلِلة ـ حشرات ـ عَفَن.

٠٢٨ فَزّاعة: شجرة يابسة ـ زهرة قبيحة ـ ناطور ـ مُبْعِدة الطير.

٠٢٩ تشذيب: ازالة الاغصان ـ قَطْع الشجر ـ حصاد ـ قَطْف الثمر.

٠٣٠ غِربال: مطحنة ـ طائر اسود ـ مُنْخُل ـ مزارع ماهر.

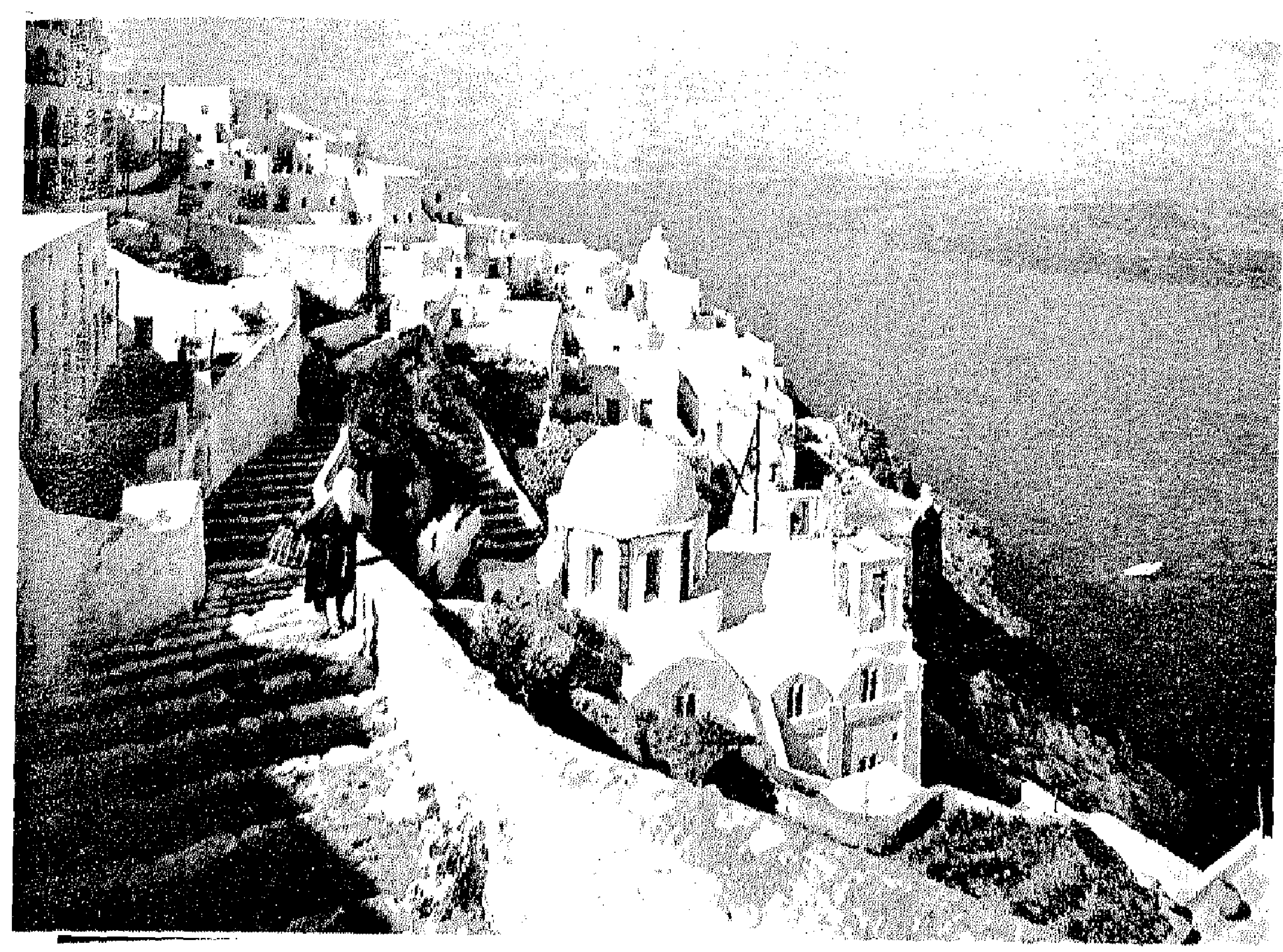


الأجوبة الصحيحة

٠١ مِنْجَل: آلة من حديد محنية في شكل نصف دائرة، يقطع بها الزرع.
٠٢ فَدّان: ثوران يُقرن بينهما للحراثة.
٠٣ اخدود: حفرة مستطيلة في الارض يزرع داخلها.
٠٤ مَشْتَل: مكان تزرع فيه الغراس ثم تؤخذ منه لتزرع في مكان آخر.
٠٥ آفة: جرثومة او حشرة تتسبب في اتلاف المزروعات.
٠٦ خَردل: نبات عشبي برّي ذو حب صغير اسود يستعمل في التوابل.
٠٧ تقليم: قطع بعض اغصان الشجرة في موسم معين لزيادة نموها.
٠٨ بَيْدر: موضع يدرس فيه القمح ونحوه كي يخرج حبه.
٠٩ آر: وحدة لقياس المساحة تعادل مئة متر مربع.
١٠ جَرش: طحن الحب طحناً خشناً.
١١ لَقاح: غبار اصفر يتألف من خلايا ذكرية نباتية.
١٢ طُفَيْلي: نبات او حيوان يعيش على كائن حي آخر.
١٣ شوكة: اداة معدنية ذات اسنان تستخدم في قلب التربة وتسويتها.
١٤ فول سوداني: نوع من الفستق داخل غلافه حبتان عادة.
١٥ تهجين: تزاوج بين سلالتين مختلفتين من نوع نباتي او حيواني واحد.
١٦ جَرّار: مركبة تستخدم في جر المعدات الزراعية او تشغيلها.
١٧ دِلتا: ارض منبسطة بين فرعي نهر يصبان في بحر او بحيرة مالحة. استعملت الكلمة سابقاً للاشارة الى دلتا النيل في مصر التي تشبه الحرف الاغريقي "دلتا".
١٨ نِيْر: خشبة بين عنقي ثورين قُرِن بينهما للحراثة. جَمْعها انيار ونيران.
١٩ سِباخ: ما لم يُحْرث من الارض ولم يُعْمَر.
٢٠ تطعيم: وصل غصن بآخر من غير شجره كي يحمل ثمر هذا الشجر.
٢١ لِحاء: القشرة الخارجية للشجرة.
٢٢ خَميرة: فطر وحيد الخلية يستخدم في انتاج الخبز والكحول.
٢٣ نَورج: آلة لدرس القمح تجرها الحيوانات.
٢٤ بُور: ارض لم تزرع.
٢٥ تُرعة: قناة واسعة للري. ايضاً: روضة في مكان مرتفع.
٢٦ حَجَر الرَحى: جهاز لجرش الحبوب قوامه قرصان من حجار الطحن؛ السفلي منهما ثابت والعلوي يدار باليد.
٢٧ بكتيريا: نباتات وحيدة الخلية يعيش بعضها في التربة فيحلل المواد العضوية ويحولها سماداً.
٢٨ فَزّاعة: ما ينصب في الحقول تخويفاً للطير.
٢٩ تشذيب: ازالة بعض اغصان الشجرة حتى يظهر قشرها.
٣٠ غِربال: جهاز كالمُنْخُل يستخدم في تنقية الحبوب.

المستوى

٢٥ ــ ٣٠: ممتاز
١٩ ــ ٢٤: جيد
١٣ ــ ١٨: مقبول



منازل مطلية بالكلس تجثم على صخور شواطىء سانتوريني.

جُزر اليُونان الخالدة

كل صخر فيها وكل زهرة ينشدان ترنيمة إلهية قديمة

ركل كوستا النجار باب منزله فانفتح، وقفز منه خمس خطوات عبر رصيف الميناء الى مياه بحر أيجه، وخاطبني بأعلى صوته: "تعال وانضم الي". وما كاد ينتهي من توجيه تلك الدعوة حتى دفعني ابناؤه السبعة بشيء من المرح والدعابة - وأنا لمّا أزل في ملابسي - الى المياه الصافية. فأخذنا نغوص بين افواج السمك الاحمر وهو يحوم بصمت حول مرساة قديمة غارقة. وما هي الا لحظات حتى التقطنا اخطبوطا شاء له القدر أن ينتهي في امعائنا عند الغداء.

وانتشلنا فريستنا المتلوّية وتوجهنا الى حانة على الشاطىء حيث قمنا بجولة على الطناجر التي كانت تتصاعد منها الابخرة في المطبخ، واخترنا ما اردنا أن يكون جزءا من وجبتنا: حبات من الطماطم (البندورة) الحمراء اليانعة المحشوة، وتحت مظلة شحب لونها من اشعة

الشمس، ابتسم كوستا وهو يحتضن قصعة نبيذ بيده، وسألني عما اذا كنت أعرف ما كتبه ثيوسيديس قبل نحو ٢٥٠٠ عام، وهو أننا، نحن الاغريق، نعشق كل جميل، ومع ذلك فان اذواقنا بسيطة متواضعة. وأردف: "وهكذا، يا صديقي، لم يتغير شيء حتى هذه الايام".

وبينما كنا نتناول اخطبوطنا المقلي، مرت قافلة من الحمير المحملة بسلال مملوءة حطبا وزيتونا أسود وهي تنحدر عبر الممر السحيق المرصوف بحجار الوادي، آتية من القرية المرتفعة. وبين مجموعات من المنازل المكتظة التي اختلفت الوانها بين الوردي والابيض والاخضر، كان يجلس صيادو السمك وهم يرأبون شباكهم تحت اروقة ظليلة.

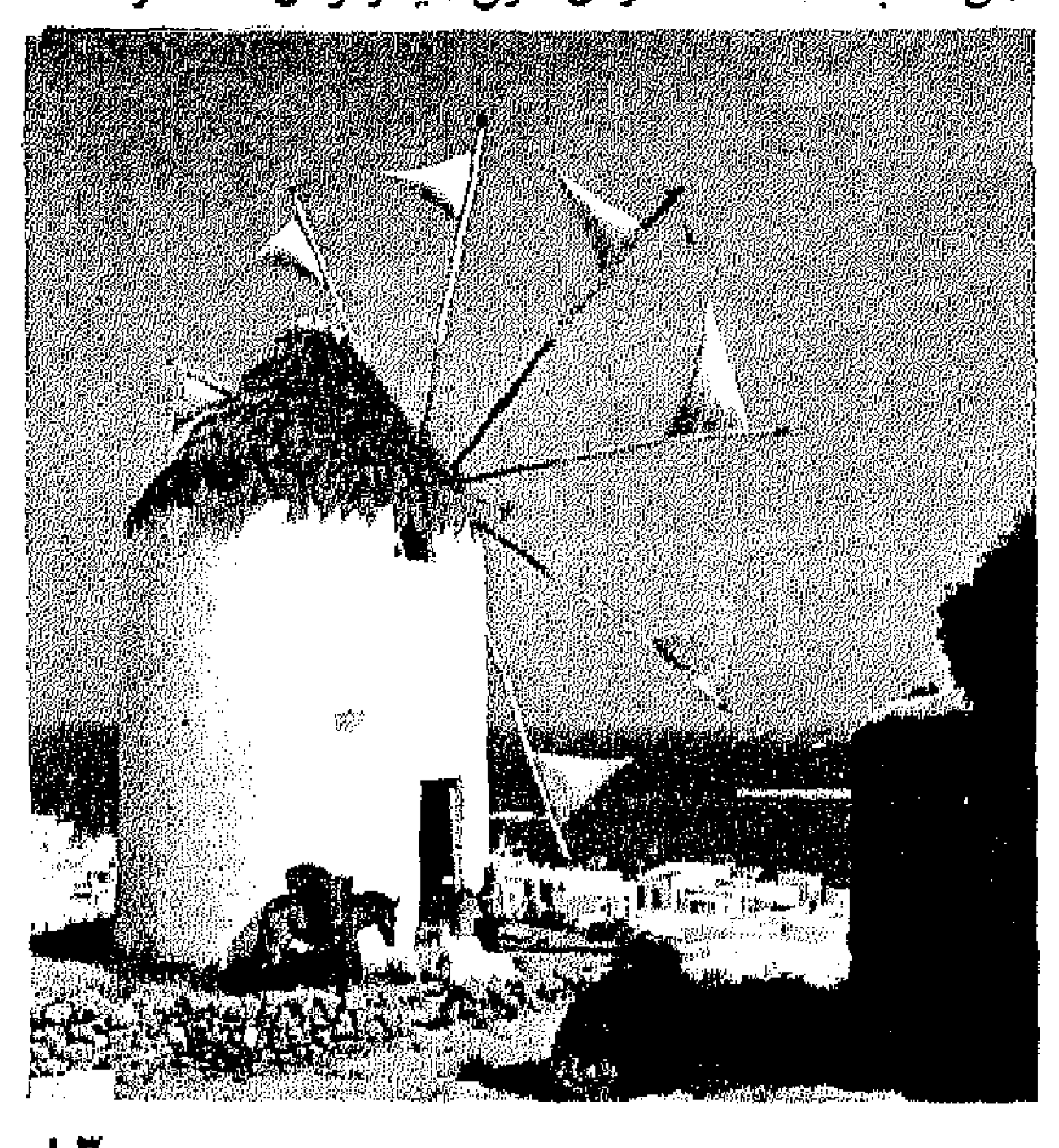
وتمنيت في نفسي ان يكون كل يوم من العمر مثل هذا اليوم. وشعرت بأني لا أريد مبارحة المكان اطلاقا. ذلك هو الاغراء الذي تنطوي عليه انشودة جزر اليونان الساحرة التي ما زالت من أروع الامكنة وأحبها حيث يجد الانسان ملاذا.

عطيّة إلهية — جاء في الاساطير ان حفنة من الصخور بقيت في يد الله سبحانه وتعالى بعدما خلق الارض، فألقاها من عل لتشكل ارخبيل الجزر اليونانية. وهذه العطيّة الربّانية تضم نحو ١٥٠٠ جزيرة ليس بينها ما هو مأهول سوى ١٦٦ جزيرة انغرست كلها في حضن بحر أيجه، وهو الجيب الشرقي الاقصى في البحر الابيض المتوسط. وهذه الجزر، بشطآنها العاجية وخلجانها الصخرية الوعرة، تستحم في شمس صيف يدوم ثمانية أشهر، وبذلك تغوي خمسة ملايين سائح سنويا. وفي تلك الانحاء تلتقي أبهى السماوات زرقة بأصفى البحار زرقة في العالم. والازرق هو اللون الايجي الاولي الذي تتفاوت ظلاله من الياقوتي المظلم الى اللازوردي الشاحب. اما هطول المطر فكأنه من الاحداث التي لا تقع الا في بقاع أخرى من العالم.

وعلى رغم الماضي الصاخب، فقد حافظ سكان تلك الجزر، الفخورون والقادرون على استرداد نشاطهم بسرعة، على شيمة الكرم. والحق ان تلك الجزر هي لكل الناس في كل الفصول، وهي من تلك الاماكن التي ما أن تزورها مرة واحدة حتى تظل تنهش التفكير وتثير الذكريات. وهكذا، وبعد غياب دام احدى وعشرين سنة، عدت في رحلة ذات اشجان فلم يخب أملي.

النور البهي — على بعد نصف نهار في القارب من أثينا تقع جزيرة

طاحونة هواء ذات أشرعة
من قنب تقف كالحارس فوق ميكونوس الساحرة.



ميكونوس، وهي تحفة فنية تفوق التصديق. ولئن كانت مساحتها لا تتجاوز ٧٣ كيلومترا مربعا، الا أنها من أكثر الجزر التي تشهد تنوّعا كبيرا في اجناس الناس الذين يؤمونها، وهي من أجل الجزر وأنشطها. وتكاد تكون سان تروبيه (الفرنسية) وقد تحولت الى منطقة يونانية.

وميناء ميكونوس،بما يحيطه من تلال حمراء جرداء واشجار صنوبرية نحيلة وطواحين هواء مسقوفة بالقش معمراوحها ذاتالاشرعةالقماشية، هو بمثابة ملحمة موسيقية بيضاء. فمنازله الالف والخمسمئة ذات الطبقتين طليت كلها بلون ابيض ناصع يجدّد مرتين سنويا. ولا يميز الواحد عن الآخر من تلك المنازل سوى ابوابها ونوافذها التي دهنت بالأزرق الشاحب أو الاحمر او الاخضر التفاحي. كذلك يبدو التفاوت واضحا بالمقارنة مع ارصفة مبلطة غمرتها الزهور وقباب زرق بلون السماء توجت سطوح كنائس المدينة ومعابدها التي يبلغ عددها ٣٦٥.

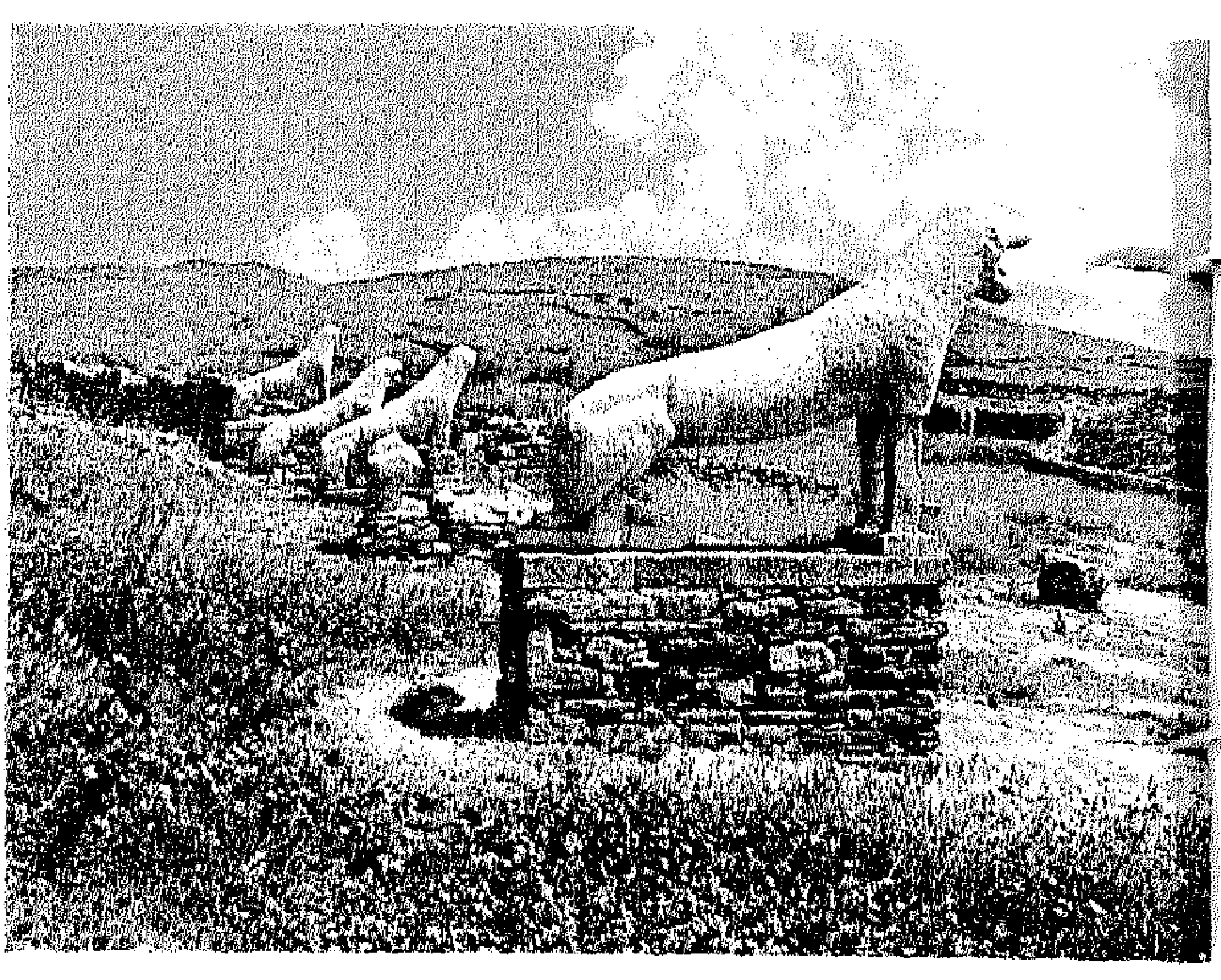
تجتذب ميكونوس - وكأنها منظر على خشبة مسرح - عددا هائلا من الزوار يبلغ ٣٥٠ ألفا في العام. وفي ذروة الموسم السياحي، يفوق عدد الزوار عدد سكان الجزيرة بنسبة ثلاثة أضعاف. ولكن ما الذي يفعله السياح؟

بعد نهار من السباحة واندباغ البشرة تحت اشعة الشمس، تهرع أفواج الزوار نحو الساحل فتغدو كل ليلة مهرجانا في مقاهي المرفأ وحاناته المكشوفة الكثيرة. انه استعراض مدهش، يضم عددا كبيرا من الناس. ومن هؤلاء من يلبس أحدث الازياء من تصميم كريستيان ديور، ومنهم من يلبس سراويل من قماش الدينم. وتتردد في الجو اصداء موسيقى الروك او انغام البوزوكي اليونانية على نمط زوربا اليوناني.

تلك هي ميكونوس الدنيوية التي لا يمكن ان يختلف عنها مكان آخر اكثر من اختلاف ديلوس التي لا تبعد سوى رحلة ساعة في القارب، ولكن تبدو كأنها مسافة سنة ضوئية. وجزيرة ديلوس، التي كانت في وقت من الاوقات اقدس جزر اليونان القديمة، باتت الان مهجورة يلفها السكون. وتذكر الاساطير انها مسقط رأس ابولو، إله الشمس ورب جميع الفنون الذي لا يضاهى جماله. وقد بلغت ديلوس عبر القرون مستوى رفيعا من الازدهار والرقي. وانتشر عابدو الشمس على أرض الجزيرة الجرداء التي تبلغ مساحتها خمسة كيلومترات مربعة، حيث أقاموا ثلاثة هياكل رائعة للاله ابولو ورواقا من الاعمدة الرخامية وتمثالا جبارا لإله الشمس يطل على الجزيرة بجلال ومهابة.

اجتاح ميثريداتيس، الملك المحارب من آسيا الصغرى، تلك الجزيرة عام ٨٨ قبل الميلاد وقتل سكانها العشرين ألفا. وكانت تلك نهاية ديلوس التي ظلت، بعد نهب رخامها، مهجورة طي النسيان قرابة الفي عام. وعندما اكتشفها عالم آثار فرنسي عام ١٨٧٢، كانت اعظم الآثار العريقة التي تم العثور عليها بعد بومبيي.

اما اليوم فليس في ديلوس شجرة



الأسود الرخامية الصامتة في ديلوس، جزيرة اليونان المقدسة.

جنوبا الى سانتوريني النائية، تلك الجزيرة الجميلة الحزينة. ولعلها أغرب الجزر واكثرها اثارة للدهشة واستفزازا للمشاعر. ولدى بزوغ الفجر، تبدو في البحر الحالك الزرقة كحصن هائل وقد ارتفعت خصورها العملاقة الفاحمة السواد الى ٣٠٤ امتار مثل متاريس اقامها جبابرة عتاة. ويسود في الجو شعور بخطر، بل بتوتر بدائي، يدخل الرعب في النفوس.

واحدة، بل مجرد ازهار برية وشوك حاد يخدش السيقان العارية، مع حرارة خانقة تبلغ ٤٧ درجة مئوية. وعلى اي حال، فقد كنت، وأنا اتجول في هذا القفر الذي لا يسكنه سوى قلة من الماعز العجاف، اتعثر بتلك الآثار التي تسري فيها ارواح من التاريخ. فهنا امتقع لون حجاره من اشعة الشمس ونمت بين ادراجه الثلاث والاربعين اعشاب بدت كأنها نظارة جاءت تشاهد مسرحية التاريخ. وهناك خمسة أسود نحتت في أفخر رخام اغريقي وقد توترت في أجسادها كل عضلة كأنما تبغي الوثوب لتصل الى سيدتها الشمس. ان ديلوس، في صمتها الغامض الذي لا تعكّره سوى اصوات مياه بحر أيجه، هي مكان يوحي بأحساس من المهابة.

أسطورة حية ـ وينقلك قارب بخاري

ان العيش على سانتوريني يعني في الواقع عيشا على بركان. فالجزيرة منذ القدم تخضع لاهواء الطبيعة الغاضبة كما لم تفعل منطقة اخرى في العالم. لقد غمرها البحر بوحشية، ثم قذفها من جديد. وهي عانت قبل ٣٥٠٠ عام اشد الكوارث التي حلت منذ أن وطئت قدم الانسان ارض هذا الكوكب. لقد ثار البركان ذات ليلة ومحق الحضارة المينوية التي كانت ارقى حضارات العالم. ويظن البعض ان سانتوريني ما هي الا جزيرة اطلنطيد المفقودة، التي دمرت في انفجار حدث في وسطها على اتساع ٨٠ كيلومترا مربعا، دوى هديره الهائل في منطقة البحر الابيض المتوسط كلها.

وذات صباح عقدت العزم على مشاهدة اطلنطيد عن كثب. فتوجهت الى قرية اكروتيري حيث راح علماء

الآثار، في واد سحيق مغطى بالرماد البركاني والحجار البركانية السوداء، يكشفون عن مدينة كاملة تعود الى عهد الحضارة المينوية التي ازدهرت بين عامي ٢٨٠٠ و١٥٠٠ قبل الميلاد. وهنا تحولت الاساطير الى واقع ملموس.

وسرت عبر شوارع مرصوفة بحجار الوادي احاطت بجوانبها منازل أنيقة من طبقتين او ثلاث، وتميزت بنوافذها الواسعة وساحاتها الرحبة وبمنافذ للتهوية تدل على براعة في التصميم. وفي مدينة العصر البرونزي هذه ورشات عمل ومخازن وحتى حمامات ومراحيض. ووجدتني أقف مشدوها أمام رقي المينويين.

لكن عذاب سانتوريني لم ينته. فقد ثار البركان مرة أخرى عام ١٩٥٦ ودمر المنازل. غير ان ارادة الناجين لا تقهر. وكما قال بتروس ديليندداس: "لم القلق؟ لقد أحسست انا نفسي بأكثر من الف ارتجاج".

سيناريو العصور الوسطى — ومن اطلنطيد المنكوبة انتقلت ليلا على متن باخرة الى رودس الباسمة، أكثر الجزر اليونانية خضرة وتقدما وحياة. وتقع هذه الجزيرة على بعد خمسة كيلومترات عن الساحل التركي، وتمتد على مساحة ١٤٠٠ كيلومتر مربع من الارض الخصبة المشمسة. ويؤم رودس سنويا نحو ٨٠٠ الف سائح، أي ما يعادل عشرة سياح مقابل كل شخص من سكان الجزيرة. وترى الزوار على امتداد كيلومترات من الشطآن الجميلة، يكاد الواحد منهم يلتصق بالآخر وكأنهم يقدمون شعائر الولاء الى ابولو، إله الشمس.

ان رودس جنة يحلم بها كل بستاني. وقد تشابكت فيها الانهار والجداول متعرجة كالشرايين بين مروج اكتنفتها الازهار والكروم التي تنتج افخر أنبذة اليونان. وتنمو على تربتها الصلصالية الخصبة ازهار الخبازى وكوب الماء والدفلى، بينما تزهر نبتات البوغنفيلية والسنط طوال العام. وامتلأت التلال والاودية ببساتين الليمون والمشمش وبمليون شجرة زيتون.

وعلى رغم ذلك كله، فان اعظم امجاد هذا الفردوس تكمن في مخلفات العصور الوسطى. فقد كانت رودس، بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، معقلا للصليبيين ومعسكرا منيعا لحملاتهم التي استهدفت استعادة الاراضي المقدسة (وظلت كذلك حتى العام ١٥٢٢ عندما تغلب سليمان الفاتح على الصليبيين فيها). ولا تزال ضمن اسوار عاصمة الجزيرة شواهد حية على القرون الوسطى. ففي المدينة القديمة متاريس تبلغ سماكة بعضها ١٤ مترا، تحميها خنادق شديدة الانحدار وجسور ضخمة متحركة. ولا تزال المدينة القديمة مأهولة وناشطة، كأنما العصور الوسطى باقية لم تنقرض. وفي تلك الازقة يجد الزائر حانوت خياط أو اسكافيا يقص الجلد او صائغا يصنع سلاسل من ذهب وفضة.

وراء الزمن — ان المفارقات في بحر ايجه لا نهاية لها. وبعد عودتي من رودس المكتظة الى سيمي الحبيبة، وجدت في الجزيرة اربعة عشر زائرا فقط، ووجدت سكانها الثلاثة آلاف يعيشون قرب ايالوس، الميناء البحري حيث لا يزال الرجال البارعون

في صيد الاسفنج يتوجهون بقواربهم الى عرض البحر. وما زالت طواحين الهواء في الجزيرة تطحن القمح، والنجارون يصنعون المراكب الشراعية. ان كل ما يدور هناك شريف ووادع الى ما لا نهاية.

ثمة صفاء بدائي محبب يكتنف سيمي المشمسة. ومع ذلك، فانك تجد لهذه الواجهة البسيطة الفتانة جانبا قاتما: لقد دمر النازيون مدينتي ايالوس وكوريو التوأمتين مرتين في الحرب العالمية الثانية. ويرى الصاعد الى قمة تل خوريو منازل مدمرة وأقواسا فينيسية محطمة. لكن معالم الخراب ليست كئيبة، بل تبدو وكأنها أعدت لاحتفال. فالجدران المتشققة المتصدعة امتلأت بالنبات المتسلق والعرائش، بينما ترعى قطعان الماعز بين الاطلال حيث يلعب الصبية. حقا ان الناجين في سيمي شديدو التفاؤل والقناعة.

ان سيمي، بالنسبة الي، تعني جزر اليونان. وهي، بشمسها الساطعة وهوائها المنعش، اكثر من ترياق. وكبقية الجزر، تعيش سيمي كنف الطبيعة بالقرب من قوى جبارة عاتية تكون احيانا فظة قاسية واحيانا لطيفة هادئة. لكن الانسان حوّلها الى يباب ايضا. ومع ذلك، فقد استعاد سكانها برباطة جأشهم نشاطهم بمقدار المثابرة والمرونة عينه الذي ابقى يوليسيس في منجى من الاذى. وبين المرح والمأساة، تمكنت سيمي من الاستمرار في الحياة على رغم تلك التوترات التي جعلت جزر اليونان من أكثر الاماكن اثارة للاعجاب والتناقض في آن.

■ كريستوفر لوكاس

فن المزج

كان قريب لي يعمل خبيرا في الالوان في محل كبير. فسأله أحد الزبائن يوما عن الالوان الناتجة عن مزج كل من الاخضر والازرق، والاصفر والازرق، والاصفر والاخضر.

ولرغبته في أن يقدم رأيا دقيقا، سأله قريبي اذا كانت الاصباغ المستخدمة من الصنف البراق أو من صنف آخر.

فأجاب الزبون "لست رساما ايها الشاب، وكل ما اريده هو مزاوجة ببغاواتي".

ج.ك.

تأخرنا قليلا

كان الفيلد مارشال اللورد مونتغومري أحد القلائل الذين يحافظون على برودة اعصابهم عند التعامل مع سائقي سيارات الاجرة في لندن.

وعصر أحد الايام لوح المارشال بيده لاحدى سيارات الاجرة، وحين توقفت استقلها وقال للسائق: "واترلو".

فسأل السائق بصفاقة "المحطة؟" فأجاب المارشال وهو يلقي نظرة على ساعته: "بالتأكيد، فقد تأخرنا عن المعركة".

ج.ن.

الوسائد الهوائية
هل تقلل ضحايا
حوادث السير؟

تتزايد حوادث السيارات وتتفاقم نتائجها باطراد مما يدفع المسؤولين الحكوميين واصحاب شركات السيارات الى العمل على تطوير وسائل فعالة لضمان سلامة الركاب. ويجري حالياً في الولايات المتحدة استخدام الوسائد الهوائية في السيارات بعد سلسلة اختبارات بشرت بفعالية اكيدة. فهل تكون الوسادة الهوائية هي المنقذ؟

استمر الجدل العنيف طوال عشر سنين حول الوسائد الهوائية، وهي الوسائد التي تنفخ اوتوماتيكياً لاحتجاز ركاب السيارات في اماكنهم وحمايتهم لدى حدوث اي اصطدام. وكانت هذه الوسائد موضعاً للثناء والتبني تارة وللانتقاد والالغاء طوراً، في غمار ارتباك وتأرجح لا نهاية لهما.

ولن يعتم الامر حتى تصبح هذه الوسائد امراً راهناً، ما لم يطرأ هناك تأجيل آخر. فقد تقرر اعتمادها في الولايات المتحدة ابتداء من خريف ١٩٨١ بمقتضى تشريع اتحادي. وعلى رغم معارضة النقاد الصارخة. وسيركب هذا الجهاز في آلاف السيارات الكبيرة الجديدة، على ان يدخل تدريجاً على السيارات الاصغر حجماً الى ان يغدو، بعد ثلاث سنوات، من التجهيزات الالزامية في ملايين السيارات الجديدة.

وثمة حقائق ثلاث تكمن وراء هذا الجدل المرير:

١٠ يزعم انصار الوسائد الهوائية انها كفيلة بتوفير درجة عالية من الامان للركاب في المقاعد الأمامية. الا أن هناك نقصاً ملحوظاً في المعلومات التي تدعم هذا الافتراض. والحقيقة البسيطة الاليمة هي ان الحكومة فرضت هذه الوسائد من دون اجراء اختبارات كافية للتثبت من فعاليتها.

وظل خبراء الأمان من الدوائر الصناعية والجامعية يناشدون البيروقراطيين في العامين ١٩٧٦و١٩٧٧ ألا يجعلوا هذه الوسائد الزامية قبل ان تتوافر المعلومات الكافية عنها وذلك من خلال تجارب القيادة على الطرق الكبرى. لكن هذه الالتماسات كلها قوبلت بالرفض.

٢٠ صممت الوسائد الهوائية كي تعمل في حالات الاصطدامات الأمامية أو شبه الأمامية؛ لكنها تكاد لا توفر أي حماية في حوادث الاصطدام الجانبي أو الخلفي أو في الانقلاب أو الحوادث التي تقع في السرعات المنخفضة. وهذه كلها تمثل نحو نصف الحوادث المميتة التي تقع سنوياً على طرق الولايات المتحدة الامريكية، والتي يبلغ عددها نحو ٥٠ الف حادث. كما ان ثماني اصابات من كل عشر تعود الى أمثال هذه الحوادث.

٣٠ يعترف موظفو النقل الرسميون بأن استخدام أحزمة الكتف يكفل، بالنسبة الى مختلف أنواع الحوادث، مقداراً من الحماية يفوق ما تكفله الوسائد الهوائية وحدها. وان تلك الاحزمة تعادل في فعاليتها وسائد الهواء وأحزمة الحِجْر مجتمعة. وعلى ذلك، فمن الضروري استكمال درجة الوقاية الراهنة بحمل ركاب السيارات المزودة بالوسائد الهوائية على استخدام أحزمة الحجر أيضاً.

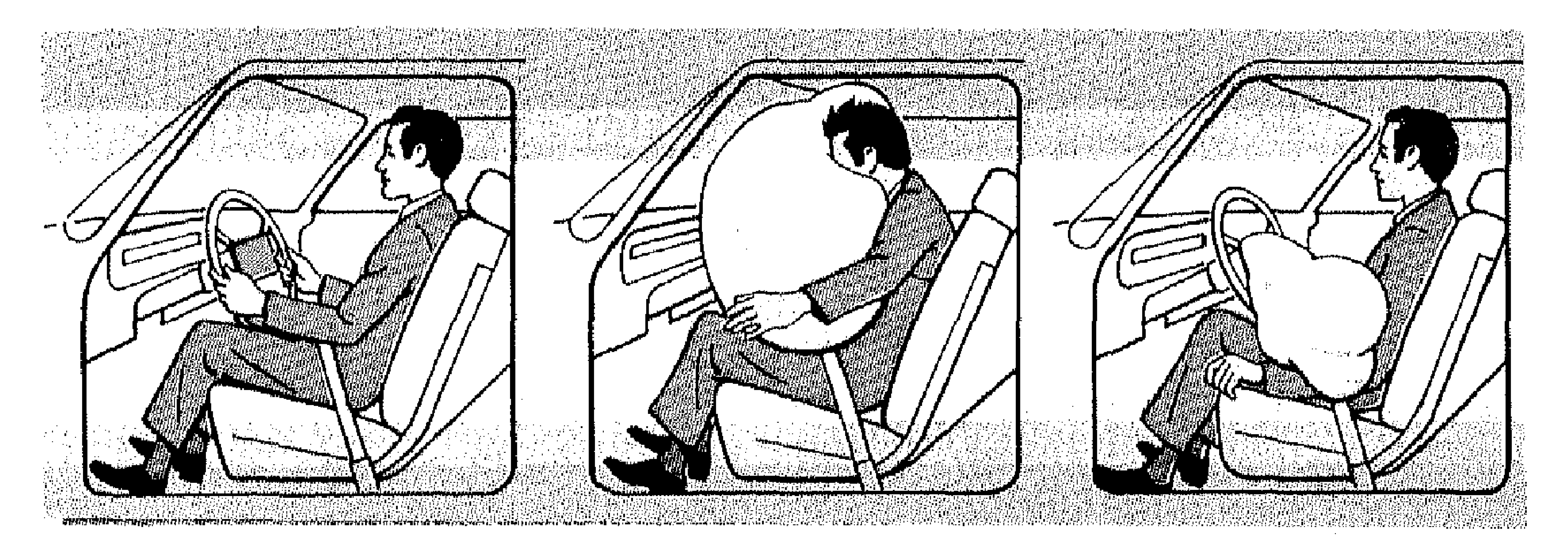
فلماذا نرى، اذاً، ادارة امن المرور على الطرق الكبرى، التابعة لمصلحة النقل في الولايات المتحدة، تمارس كل هذا الضغط لفرض الوسائد الهوائية؟ السبب، بحسب قول الادارة، هو أن راكباً واحداً فقط من كل سبعة ركاب يستخدم حزام مقعده. ولذا فقد بات من الضروري توفير نظام أوتوماتيكي لحماية هؤلاء الركاب. فالوسائد الهوائية تؤدي دور "الكبح السلبي"، أي أنها تعمل تلقائياً من دون اي تدخل من جانب السائق أو الركاب.

وقاية فورية ــ تؤدي الوسائد عملها على النحو الآتي: في مقدم السيارة اجهزة استشعار الكترونية مبرمجة بحيث تستجيب للقوى أو الصدمات التي تتجاوز سرعتها العشرين كيلومتراً في الساعة. وتصدر عندئذ اشارات كهربائية الى جهازين خاصين يحتويان على وسادتي هواء فارغتين ومطويتين، احد الجهازين في عمود القيادة والآخر في لوحة اجهزة القياس امام الراكب المجاور للسائق. ولدى صدور الاشارة تشتعل حمولتان، وزن كل منهما رطل واحد (٤٥٣ غراماً). من أزيد الصوديوم الذي يحترق بسرعة فورية ليتحول الى غاز النيتروجين غير المؤذي الذي يملأ

الوسادتين في أقل من عشر الثانية. وبمجرد اتمام وقاية الراكبين من الاندفاع أماماً والاصطدام بعجلة القيادة او بلوحة اجهزة القياس يجري تفريغ الوسادتين من الغاز تلقائياً.

وقد بدأ الاقبال .على استخدام الوسائد الهوائية في أواخر الستينات، بعد ان اقر الكونغرس الامريكي قانوناً يفوض الى وزير

قاعدة للتنفيذ، اذ انه يحدد الهدف ويتيح للمنتجين اختيار الوسائل الكفيلة بتحقيقه. فهناك اختياران متاحان في هذا الصدد: الوسائد الهوائية والأحزمة الاوتوماتيكية التي تحيط بالنصف الاعلى من الجسم (أي الكتف والحجر) كالتي زودت بها بعض سيارات فولكسفاغن من طراز "رابيت" ابتداء من ١٩٧٥ وبعض



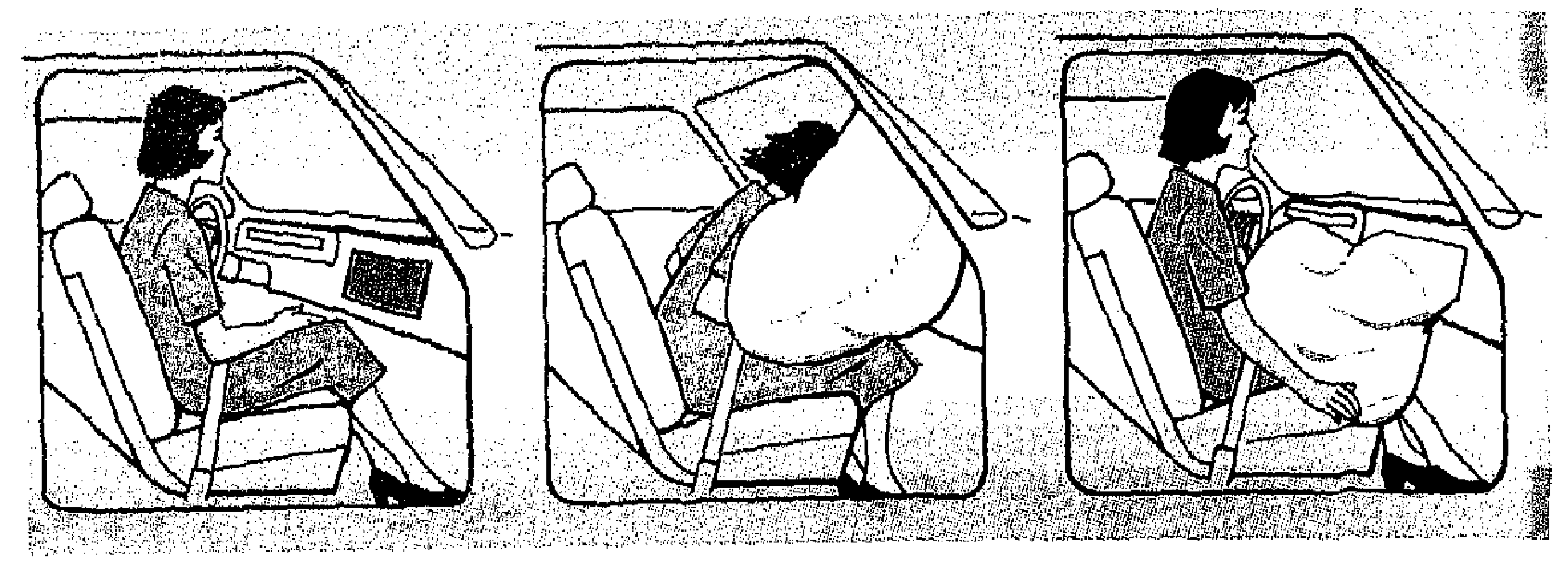
عند حدوث اصطدام امامي تنطلق اشارات كهربائية تشعل علبة مليئة بأزيد الصوديوم في عمود القيادة فتتحول هذه المادة الكيميائية فوراً الى غاز النيتروجين الذي يملأ وسادة هوائية تنتفخ وتحول دون اندفاع السائق الى الامام.

النقل وضع قواعد الأمان التي يجب ان يلتزم بها منتجو السيارات. وسعى موظفو وزارة النقل في السبعينات الى حل المشكلات وسبر الاحتمالات الخاصة بالوسائد الهوائية باعتبارها جزءاً من قواعد الامان هذه. وأخيراً، قرر بروك آدامز الذي كان وزيراً للنقل آنذاك في العام ١٩٧٧، ان يجعل الواقيات الاوتوماتيكية الزامية في السيارات التي يتم انتاجها بعد ٣١ اغسطس (آب) ١٩٨١.

ويمثل الالزام الذي فرضه آدامز

سيارات شيفروليه من انتاج ١٩٧٩. والعيب في هذه الاحزمة هو أنها، لأسباب ميكانيكية، مقتصرة على السيارات ذات المقعدين المنفصلين في الامام.

وهناك نقص آخر يشوب الأحزمة الاوتوماتيكية. ذلك ان تصميم هذه الاحزمة يجب ان يتم على نحو ييسر تحرر الركاب من حطام السيارة. فهناك عدد كبير منها يمكن فكه في أي وقت ووضعه جانباً اذا ما رأى الركاب في هذه الأحزمة مصدر



هناك وسادة هوائية اخرى مركبة في لوحة اجهزة القياس امام الراكب المجاور للسائق. وكلتا الوسادتين مصنوعتان من مادة مسامية تسمح بسرعة تفريغها من الغاز فتمنع الارتداد الخطر عن الوسادتين. ولضمان الحد الاقصى من الحماية ينبغي استخدام احزمة الحجز ايضاً.

ازعاج. أما الوسائد الهوائية فهي معدة للوقاية السلبية ولا يمكن فكها بسهولة، وانه يمكن تركيبها في جميع السيارات.

حماسة وارتياب - نأتي الآن الى صميم المسألة، فنتساءل عما هي امكانات الوسائد الهوائية في انقاذ حياة الركاب.

لا أحد يعرف هذه الامكانات على وجه التحقيق. فمن المعلوم ان اختبار أجهزة الامان في السيارات يجري اما من خلال القيادة على الطرق الكبرى واما من خلال التجارب في المختبرات. وقد أظهر هذان النوعان من الاختبارات بعض النواقص في الوسائد الهوائية.

ففي أوائل السبعينات تطوعت شركات جنرال موتورز وفورد وفولفو فزودت ١٢،١٨٧ سيارة بالوسائد الهوائية. وقد وقع لهذه السيارات ٣٦٩ حادثاً معروفاً في شهر أغسطس (آب) ١٩٧٩. وفي حوادث التحطم الـ ٢٢٨ التي عملت فيها الوسائد الهوائية وقعت ٦ حالات وفاة. وتقدر ادارة أمن المرور انه لولا الوسائد الهوائية لبلغ عدد حالات الوفاة ١١ حالة. لكن ادارة أمن المرور نفسها تحذر من ان صغر حجم العينة يجعل الأرقام المستمدة منها تنطوي على "احتمالات تترك مجالا كبيراً للشك من الناحية الاحصائية".

وعلى رغم الاعتراف بقلة المعلومات المستمدة من التجربة الواقعية، الا ان وزير النقل ومديرة ادارة أمن المرور اكدا أن افتراضاتهما عن فعالية الوسائد الهوائية تدعمها النتائج المستمدة من تمثيل حوادث الاصطدام وغير ذلك من تجارب المختبرات التي أجريت على مدى السنين العشر الماضية. واستناداً الى هذه الدراسات قدرت ادارة أمن المرور عام ١٩٧٧ أن الجمع بين الوسائد الهوائية والأحزمة الاوتوماتيكية من شأنه انقاذ حياة تسعة آلاف شخص كل عام، وهو دون رقم العشرين الفاً الذي قدمته مصلحة المواصلات الى الكونغرس عام ١٩٧٠.

وقد قضى عدد من محققي المكتب المستقل للمحاسبة العامة أخيراً ما يزيد على سنة في البحث عن الحقيقة في ما يتعلق بموضوع الوسائد الهوائية. وانتهوا من ذلك الى تقرير يشكك في مزاعم ادارة أمن المرور المؤيدة للوسائد الهوائية ويؤدي الى نتيجة فحواها أن ادارة أمن المرور كانت تمارس عملها الحكومي اعتماداً على التخمين. وحدد محققو المكتب المستقل للمحاسبة العامة نواحي النقص الآتية في احصاءات ادارة أمن المرور:

– إن مزايا الوسادة الهوائية مستمدة من تجارب أجريت في المختبر وتمثل صوراً بالغة التبسيط للحوادث التي تقع فعلا.

– إن النتائج التي انتهت اليها ادارة أمن المرور تستند الى أحكام ذاتية. وباستثناء حالات الاصطدام الأمامي الكامل فان أرقامها المتعلقة بجميع أنواع الحوادث الأخرى هي، كما يقول أحد مهندسي ادارة أمن المرور ذاتها، "لا يُعتمد عليها لأننا غير واثقين من جميع بيانات الاختبار".

– إن زعم ادارة أمن المرور انقاذ ٩٠٠٠حياة سنوياً عُرض على فريق عمل لاختبار بياناته، فأبى الفريق اعتماد هذا التقدير.

وقد اعترض أعضاء الكونغرس أيضاً على نتائج تجارب المختبرات التي اجرتها ادارة أمن المرور. واستمرت مديرة ادارة أمن المرور، طوال عامين وهي تمنى بالفشل في المعارك التي تخوضها كي تحول دون موافقة الكونغرس على تعديلات تدل على مشاعر النواب السلبية تجاه الموضوع.

كلفة باهظة – على رغم التشكك في فعالية الوسائد الهوائية، الا ان المستهلكين الامريكيين قد يرغمون على دفع مليارات الدولارات ثمناً للواقيات الأوتوماتيكية على مدى العقد المقبل. واذا كانت كلفة الأحزمة الاوتوماتيكية مئة دولار أو أقل من ذلك قليلا لكل سيارة، فان كلفة الوسائد الهوائية تزيد على ذلك كثيراً.

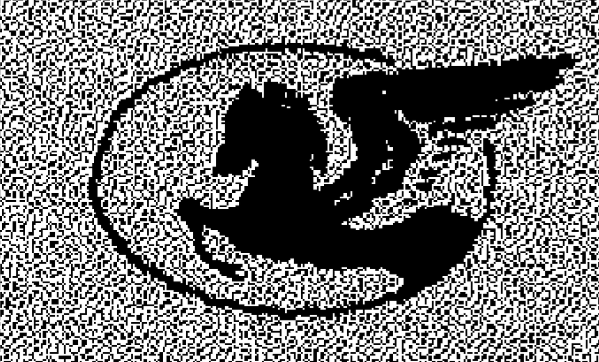
ففي العام ١٩٧٧، عندما أرادت ادارة أمن المرور تبرير قرارها بفرض الواقيات الأوتوماتيكية، ذكرت أن ثمن الوسائد الهوائية هو ١١٢ دولاراً للسيارة الواحدة. إلا ان هذه الادارة بدأت تتحدث عام ١٩٧٩ عن كلفة تبلغ ٣٣٣ دولاراً للسيارة الواحدة. أما شركة جنرال موتورز فتقدر هذه الكلفة بما يراوح بين ٥٠٩ دولارات و٥٨١ دولاراً، علماً بان الثمن الذي سيدفعه المستهلك لم يحدد بعد. وتقول شركة فورد انها تقدر الكلفة بمبلغ قد يصل الى ٨٢٨ دولاراً عام ١٩٨٢.

ومع أن ادارة أمن المرور ومنتجي السيارات يختلفون على التكاليف، إلا أنهم يتفقون جميعاً على أن كلفة استبدال الوسادة المستعملة تفوق كلفة الوسادة الأصلية بمقدار ضعفين ونصف ضعف، ولن تقل عن مبلغ يراوح بين ٧٥٠ دولاراً و١٠٠٠ دولار. وربما امكنت تغطية تكاليف استبدال الوسائد الهوائية باضافة زيادة صغيرة الى أقساط التأمين.

آب (أغسطس) ١٩٨٠ - رمضان - شوال ١٤٠٠

المختار

من ريدرز دايجست



وفروا ٥٠٪

اكثر من ١٠٠ مليون يقراون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٥٠٠ق – سورية ٦٠٠ق – الاردن ٥٠٠ف – الكويت ٥٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٦د – قطر ٦ر – البحرين ٦٠٠ف – السعودية ٦ر – مصر ٥٠٠م – السودان ٢٠٠م – ليبيا ٢٥٠د – اليمن الجنوبية ٦ر – مسقط ٦ر – العراق ٦٠٠ف – تونس ٧٠٠م – المغرب ٤د – الجزائر ٥د – فرنسا ٧ف – انكلترا ٧٥ب – اليونان ١٠٠د – كندا واميركا الشمالية ٥٤٢

وللتخفيف من قلق المستهلكين إزاء هذه الكلفة الباهظة راحت إدارة أمن المرور تؤكد لأصحاب السيارات أن الواقيات الأوتوماتيكية كفيلة بانقاذ حياة الناس والحدّ من الاصابات، مما يؤدي الى انخفاض متطلبات التأمين واقساطه. وتقول الادارة: "إن هذا سيعني ان الكلفةالاولية للواقيات الأوتوماتيكية سوف تُسترد مرتين أو ثلاثاً على شكل توفير في أقساط التأمين طوال عمر السيارة الواحدة".

غير أن أقصى ما وعدت به اي شركة تأمين في مجال خفض الأقساط بالنسبة الى السيارات المزودة بالوسائد الهوائية لم يزد على الثلاثين دولاراً في العام. وان سجلات المتطلبات الفعلية، وليس مجرد التنبؤات، هي التي ستحدد في النهاية قيمة اقساط التأمين.

وقبل أن تفرض الحكومة على المستهلكين دفع هذه التكاليف الاضافية ينبغي لها أن تفصل في السؤال الجوهري المتعلق بعدد الاشخاص الذين ينتظر أن تنقذ هذه الوسائد حياتهم.

ان الحصول على أدلة قوية ومقنعة يقتضي ادخال الوسائد الهوائية على عدد كبير من السيارات كي يتسنى قياس مدى فعاليتها. وعندئذ فقط يعقل اتخاذ قرار في صدد فرض هذه الوسائد الهوائية.

■ ايرل وميريام سيلبي



النظرية والواقع

من اجل معالجة غيرة ابنتي البالغة من العمر سنتين ونصف سنة من اختها المولودة حديثاً، اتبعت ارشادات احد الكتب في علم نفس الطفل. فاذا عانقت اختها على نحو خانق، ناولتها لعبة وقلت لها: "خذي هذه ومثلي عواطفك تجاه اختك الطفلة معها".

وبالنسبة الى الكتاب، كان على ابنتي الكبرى ان تعانق اللعبة بدلا من معانقة الصغيرة. لكنها، بكل ابتهاج، توجهت نحو الطفلة وضربتها باللعبة على رأسها.

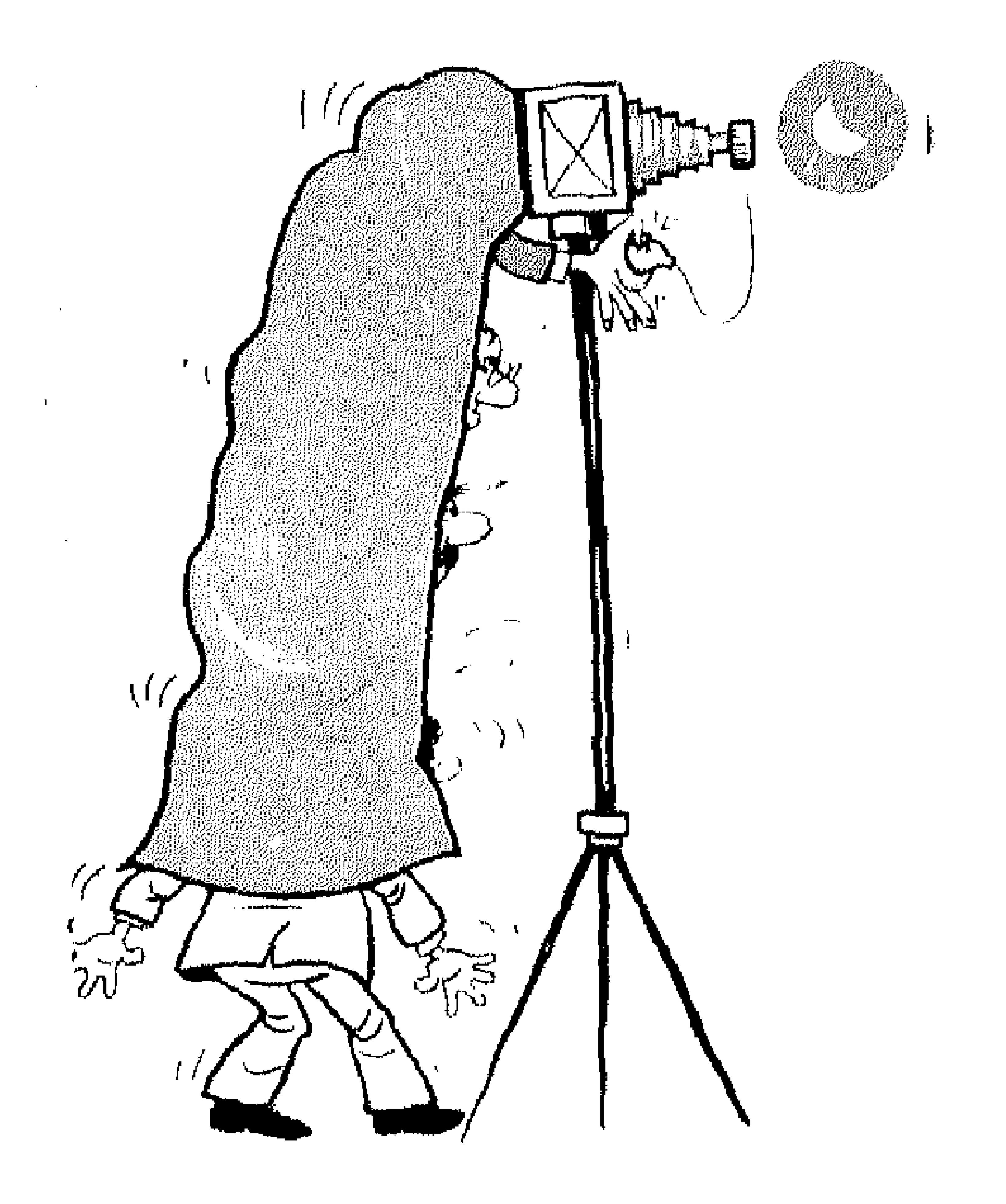
ج.ب.

حافلة سيدنا نوح

في ساعة ازدحام ماطرة، لم يكف سائق حافلة عمومية عن التوقف للركاب. وعند كل موقف كان يقول للركاب: "الرجاء ان تذهبوا الى مؤخر الحافلة لأن هناك ركاباً آخرين يريدون الصعود واتقاء المطر". وكاد احد الركاب ان يختنق من شدة الزحام. فصرخ قائلا: "يا سيدي، هذه حافلة فقط. انها ليست فلك سيدنا نوح".

م.و.

صور من الحياة



القبضة الملكية

في سيرتها الذاتية التي نشرت اخيرا، وصفت مارغريت ترودو لقاءها الملكة البريطانية اليزابيت يوم كانت الاولى زوجة لرئيس وزراء كندا بيار ترودو:
"كنت ارتدي ثوبا جديدا، شديد الاناقة، وحذاء ذا كعب عال جدا. وكنت عصبية الى اقصى حد. ولما انحنيت انحناءة شديدة لتحية الملكة، وضح لكل منا انه لن يكون في استطاعتي النهوض وحدي. ومن دون ان تغير الملكة تعبير وجهها، شدت قبضتها اليمنى بكل قوتها ورفعتني حتى اعتدلت بقبضة حديدية، فيما كانت هي تبتسم طوال الوقت".

كتاب "ما وراء العقل"

الام تلميذة الابنة

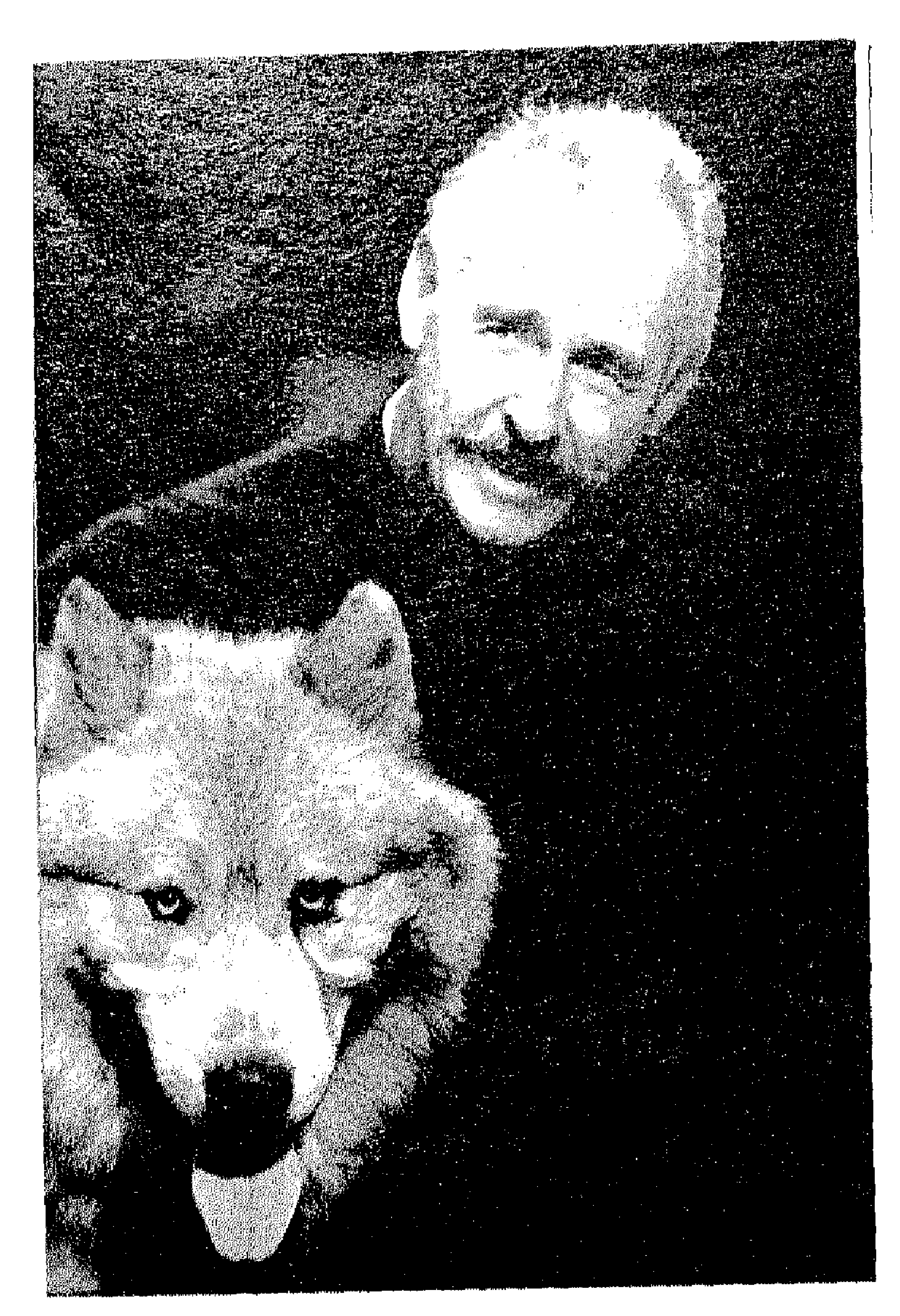
اليسيا الونسو، الراقصة الاولى في فرقة الباليه الكوبية القومية، ولدت في كوبا ودرست الباليه في الولايات المتحدة. ولا تزال حتى اليوم، وهي في الثامنة والخمسين، طالبة تتلقى كل صباح درسا خاصا على يد ابنتها لورا ذات التسعة والثلاثين عاما ومعلمة الباليه في الفرقة.
وتصحح لورا اخطاء اليسيا كما لو كانت راقصة مبتدئة: "لا تبطئي حركة هذه الركبة. إنك تحركين هذا الفخذ بعيدا. لا تكبحي حركتك في هذه القفزة الكبرى، فاني اريد ان ارى اندفاعة حقيقية في الفضاء".
وتلخص لورا الامر بقولها: "في الصف هي راقصة، وانا اخبرها بما يجب ان تفعله. اما خارج الدرس فهي امي، وانا افعل ما تأمرني به".

و. ت.

الحب الاعمى

في خزانة ملابسي ثوب بال قديم الطراز، اهداه الي زوجي في عيد رأس السنة قبل عشرة اعوام. واتذكر اليوم كيف انتفضت آنذاك لدى رؤيتي العلامة الدالة على قياس الثوب. فقد كنت ارتدي قياسا اكبر بثلاثة ارقام.
وعلى رغم خيبتي، فلم اشأ افساد مناسبة العيد على زوجي، وسألته: "كيف تعرف القياس الذي يناسبني؟" فقال: "هذا امر بسيط. فاني ابحث عن احدى البائعات التي تبدو في مثل قوامك واطلب القياس الذي ترتديه".
وبعد العيد قصصت خلسة قطعة كبيرة من قماش الجزء الاسفل الوفير ووسعت به الثوب. واضفت قطع قماش مزركشة لاخفاء اماكن القص والوصل الجديدة.
وارتديت الثوب حتى رث. وكرهت ان اتخلى عنه لانه كان يذكرني دائما بهدية زوجي الحقيقية في اول تلك السنة، وهي ادراك المعنى الحقيقي للمثل القائل: "الحب اعمى". فحب زوجي لي جعله يراني اكثر رشاقة.

ك. ك.



رجل قد استبدت
به فكرة جليلة
فأقدم على ما ينبغي
فعله لإنقاذ ما تبقى
من ذئاب اسطورية

رَجل الذئاب

الراجح انه ليس هناك رجل اشد تفانياً على استمرار جنس الذئاب من جاك لينش الذي أمضى ١٩ عاماً في العناية بهذه الحيوانات الرائعة وحراستها، بل في العيش معها. وهو لا يزال يقيم مع ٩٨ ذئباً فوق رقعة أرض مسيجة في شبه جزيرة أولمبيا ضمن ولاية واشنطن.

لينش في السادسة والخمسين من عمره. واهتمامه باستمرار أشهر ذئاب امريكا الشمالية - واسمها "لوبو" - يكاد يبلغ حد الحماسة المفرطة. وكلمة "لوبو" اسبانية الاصل، وهي تعني الذئب. وتعرف هذه الحيوانات كذلك باسم "ذئاب الجاموس"، نظراً الى افتراسها الجواميس.

وتضم مجموعة لينش ٧٢ من ذئاب

الجاموس، وهي، في الحقيقة، البقية الباقية من هذه الفصيلة التي انقطعت اخبارها الاكيدة منذ نحو نصف قرن. اما بالنسبة الى الانواع الاخرى، فهناك بضع مئات من ذئاب الغاب التي تعيش آمنة ضمن بقاع مسيجة شمال ولايتي ميتشغان ومينيسوتا، كما ترد بين الحين والآخر أنباء تتحدث عن مشاهدة ذئاب في القطاع الشمالي من منطقة جبال "روكي". ويحتمل أن يكون هناك ايضاً عدد، ولكن ضئيل جداً، من الذئاب الحمر في المناطق الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة.

ضحى لينش عبر السنين الطويلة بأغلب الكماليات والضروريات التي تعد من الامور المألوفة في حياة الانسان، وكلف نفسه العمل المجهد، وكابد في سبيل الذئاب مشاق كثيرة حتى أضناه التعب وأضحى في حال الاجهاد المزمن. فالى جانب مشاقه المستمرة في دق الاوتاد والتسييج وجرف الاوساخ والتطبيب والبحث عن المال والفوز برضا مفتشي الحكومة، هناك مشكلات الغذاء التي لا بد من تدبرها، خصوصاً لان الذئب، اذا بلغ، يحتاج الى ما يراوح بين ١٥ و١٨ كيلوغراماً من اللحم النيء كل اسبوع كي يظل في حال صحية سليمة.

ولانه قلما ملك من المال ما يسد به رمق الذئاب، فقد بذل لينش كل ما في وسعه للبحث عن اللحوم في المسالخ والمزارع والمراعي وفي كل مكان آخر يحتمل ان تنفق فيه الماشية، خصوصاً في الطرق حيث تدهم السيارات والناقلات البرية الغزلان وسواها من الحيوانات فتقتلها. وسواء عنده ان انفتحت السموات او تفجرت نار الجحيم أو حل الطوفان أو اثيرت عليه المحاكم او جابهته قضية الطلاق من زوجته او جاءه الدائنون من كل صوب، بل سواء عنده ان قصم ظهره او اصابه زكام شديد، فقد تحتم عليه أن ينقل الى ذئابه نحو طن من اللحوم كل اسبوع.

الرجل المناسب — لبى لينش نداء مهنته باسلوب غريب الى حد ما. وهو في الاصل من ولاية ايلينوي، ومن قدامى المحاربين في الحرب العالمية الثانية. وقد تخصص في الطيران فوق المناطق غير المأهولة والممرات الجوية غير المطروقة، كذلك في اعمال الهدم والنسف. وعمل في المكسيك في مجال التنقيب، ثم استقر في مدينة ميلووكي الامريكية (ولاية ويسكونسن) حيث عمل في مؤسسة للبناء.

غير انه، كعادته، بقي ضجراً متململا يبحث عن حوافز تثيره حتى شرع في تدريب كلاب المزالج وتنظيم سباقات تزلج بواسطتها. وكان أن وقع نظره ذات يوم من ١٩٦٠ على مقال في احدى المجلات عن رجل اسمه ماكليري، يحمل شهادة دكتوراه ويعمل في تربية ذئاب اللوبو في ولاية بنسلفانيا. وخشي ماكليري أن تباد الذئاب على نحو تام في جميع المقاطعات الغربية من الولايات المتحدة، فأقدم، في عشرينات القرن الحالي، على شراء ٢٥ ذئباً من أسراب مختلفة صيدت حية، وأمر بشحنها اليه. وكان معظمها من ذئاب اللوبو الاصيلة، وهي نوع نادر كان محتوماً ان ينقرض من البراري في اواخر

الثلاثينات. وذكرت المجلة ان تلك الذئاب تعيش الآن في مزرعة خارج بلدة كين في بنسلفانيا. ويقول لينش: "لا أستطيع تفسير الدافع الذي حداني على طلب المعرفة حول هذا الامر. ولذلك طلبت اجازة من العمل وانطلقت بسيارتي نحو كين".

كان ماكليري يناهز الثالثة والتسعين حين جاء لينش فوجده معدماً، عليل الصحة، واهن الهمة، يتناهشه القلق ازاء ما سيحل باللوبو بعد رحيله عن هذه الدنيا. ويقول لينش عن أثر ذلك اللقاء في نفسه: "أيقنت، خلال الدقائق الخمس الاولى، ان الاعتناء بالذئاب سيعطي حياتي بعض المعنى. اني لم أر قط في حياتي حيواناً او انساناً حرك وجداني مثلما فعلت الذئاب".

وعاد لينش الى ميلووكي وباع املاكه واستقال من وظيفته، وانتقل عام ١٩٦١ الى بنسلفانيا حيث اشترى جزءاً من اراضي مزرعة ماكليري وذئابه الاثنين والثلاثين كلها بثمن الف دولار للرأس الواحد. وهو يقول معلقاً: "لم أكن أعرف شيئاً عن الذئاب. وبلغت حماقتي حداً لم اعلم معه مدى جهلي".

لكنه سرعان ما تعلم. فلم تنقض ثلاثة أسابيع حتى وجد لينش ان احد ذكور الذئاب - واسمه سابر ووزنه تسعون كيلوغراماً - بدأ يوسع بأسنانه فتحة في السياج الذي يطوق حظيرته. وفي ذلك يقول:

"لم اواجه من قبل متاعب من هذا القبيل، بل كدت اجزم اني اتعامل مع فصيلة من الكلاب الكبيرة. ولهذا دخلت حرمة الحظيرة وباشرت اصلاح السياج من غير تحية سابر.

"وعلى حين غرة انقض الذئب على كتفي وطرحني ارضاً. ووضع ساقي بين فكيه الضخمين اللذين يقضمان حتى ظهر الجاموس، وراح يجرني في انحاء الحظيرة. لكنني كنت واعياً ما فيه الكفاية لاكف عن محاولة الصراع معه. وبقيت اسمعه حلو الكلام وأطري خصاله الى ان اغمي علي. ولما افقت بعد دقائق وجدتني خارج بوابة الحظيرة. ولا شك عندي في انه اطلق سراحي، وان انقضاضه لم يكن هجوماً حقيقياً بل امتحاناً يختبر به محتدي او طريقتي في الرد عليه. وما ان هدأ روعي حتى توجهت الى البيت وأخبرت ماكليري بما حصل. فبدا لي انه سر بالنبأ. ثم قال: "يبدو اني وجدت الرجل المناسب".

الملجأ الوطني الفذ - أجفل لينش ظهيرة احد الايام حين عوت الذئاب كلها دفعة واحدة طوال عشرين دقيقة او أكثر، على نحو لم يسمعه سابقاً أو لاحقاً. لقد توفي الدكتور ماكليري! وكان ذلك بعد مرور قرابة ثلاثة اشهر على الحادث الذي وقع مع الذئب سابر.

ومع الايام غدا لينش، بحكم عمله، الحارس المؤتمن على صندوق حفظ الجينات (الجزيئات الوراثية) لنوع نادر من الذئاب. وقدرت مصلحة رعاية الاسماك والحياة الطبيعية في الولايات المتحدة أعماله، فأطلقت على مزرعته اسم "الثروة الوطنية الفريدة" وكان وحده معين السرب والداعية له وحاميه وسط العالم الخارجي.

لم تتوقف رحى الكد والكدح عن

الدوران منذ اللحظة الاولى التي تولى لينش مسؤولياته نحو الذئاب. وفي العام ١٩٧١، عقد العزم على نقل ذئابه الى ملاذ أنسب لسربه. ووقع اختياره على قطعة أرض مشجرة في محاذاة عدد من المزارع، مما يسهل له الحصول على اللحم ونقله.

وبرهنت الايام فعلا عن حسن اختياره لهذا الموقع. وراح لينش يعد الحظائر لذئابه ويحرص على نظافتها الى حد كبير. والحق ان الذئاب بدت متينة الجسم، مفعمة بالنشاط، وقد ارتفعت نسبة توالدها. وما حالها الممتازة تلك سوى دليل على انها عاشت في كنف رجل نشط، دؤوب على العناية بها.

ويبدو ان الذئاب، بطريقتها الخاصة، اعترفت بأفعال لينش الحميدة نحوها. ولما كانت مراتب السلطة في أنظمة السرب الصارمة تتوّج بما يسميه علماء النفس السلوكيون "مرتبة الذئب - أ" (الاول) فقد سمحت الذئاب للينش بأن يصبح الذكر الاول بينها.

الذئب الفخري - رافقت لينش ذات صباح في جولاته التفقدية بين الذئاب. واتضحت لي طبيعة وضعه وأهميته حين دلفنا من البوابة الرئيسية الى رقعة الارض التي تحتلها الذئاب، وهي أرض مسيجة كثيفة الاشجار، تبلغ مساحتها اربعة هكتارات.

ورحنا نسير في الممر الاوسط ورأينا الحيوانات تندفع من ادغالها وعرائنها نحو أسيجة حظائرها المنفصلة، وعددها ثلاثون حظيرة. ولم تبدر منها اي علامة تدل على انها عدائية الموقف، أو أنها كالاسيرة ارتاعت لمرأى سجانها فانكمشت خوفاً أو هجمت تحدياً للنيل منه. بل بدا لي ان مزاجها شبيه بمزاج حشد من الناس الطيبين الذين تجمعوا لتحية شخصية مرموقة كرئيس طائفة او رئيس دولة.

وكان لينش يدخل حظيرة هنا وأخرى هناك ليعانق - ان صح التعبير - المعجبين به. وتوقف في احداها ليحك جلد ذئب ذكر ويزيل عنه بعضاً من شعر الشتاء. وراح يداعبه كأنما يذكره بحال فروته المؤسفة التي تساقط نصفها بفعل الموسم. ومشت نحوه ذئبة هرمة ببطء وبياس في قوائمها التي تؤلمها بسبب التهاب المفاصل، فأخذ لينش يدلك سيقانها بلطف. ثم استدار نحو لاموكس، وهو ذكر من فصيلة اللوبو وزنه ثمانون كيلوغراماً ويعد الاول بين سربه، وأخذ يتصارع معه ويلاعبه بخشونة. ويقول لينش: "ليست هناك طريقةمثالية واحدة للنجاح مع الذئاب. فهي فردية النزعات، وينبغي التعامل مع كل منها باسلوب مختلف".

وفي نهاية ارض الذئاب ووسط أجمة كثيفة من اشجار الارز حظيرة يسكن فيها لوبي، الذئب الكبير الممشوق، ومعه رفيقته الصغيرة اللعوب التي راحت تقفز بحيوية وحماسة كي تلفت لينش وتفوز بمداعبته. الا ان لوبي حال بينها وبين الباب، معترضاً طريقنا اليها، وأخذ يهر مهدداً وقد انتصب شعر عرفه كاشفاً عن انيابه المخيفة وهو يزمجر. وقال لينش: "انه غيور جداً.

الا ان بعض ازواج الذئاب لا ينزع كثيراً الى الاستئثار برفيقاته. لكن لوبي في مأزق الرجل الطاعن في السن الذي يتزوج بفتاة صغيرة غير متحفظة!" ثم وجه لينش كلامه الى الذئب قائلا: "انا لا احب هذا يا لوبي!".

وكانت كلماته صارمة، لكن صوته خلا من اي أثر للغضب او نفاد الصبر. وأردف لينش بصوت خفيض: "في امكان الذئاب ان تقبل بالنظام والتأديب، لانها حيوانات اجتماعية منضبطة بطبيعتها. غير انها قد تشعر بالاهانة او الاذلال، واذ ذاك ربما أصبحت مؤذية. وهذا تلعمته من دروس قاسية".

تلقى لينش فعلا بضع عضات خطرة، لكنها نتجت، كما يقول، من اسباب وجيهة بعدما انتهك، جهلا او نزقاً، المحرمات او الاحكام الاجتماعية في شريعة الذئاب.

واستمر لوبي في هريره. الا انه سمح للينش بان يربته بضع مرات، ولكن باحترام شديد، وان يلعب من بعد قليلا مع رفيقته. ويقول لينش ان ارتقاءه مرتبة الزعيم التي جعلته يعد بين السرب ذئباً فخرياً، جاء ثمرة عملية مضنية من التحدي المستمر مع الذئاب. غير ان الفوز بتلك المرتبة كان المكافأة العظمى التي اثلجت صدره.

أم العرائن – العون الوحيد الذي تلقاه لينش في تربية الذئاب جاء على يد ماري ويلر التي اصبحت بدورها الانثى الاولى في نظام الذئاب. وظهرت ويلر على مسرح الاحداث ذات يوم من ١٩٧٦ حين سمعت في حانوت القرية حديثاً عن لينش، رجل الذئاب الذي يحتضر في منزله وما من احد حوله. فانطلقت للحال الى حجرة لينش ووجدته في غيبوبة. وأظهر التشخيص لاحقاً ان حاله نشأت عن اجتماع عوامل الارهاق الشديد والطعام الرديء والقليل والاصابة بعدوى فيروسية، ناهيك بالقلق الذي مزقه.

تولت ويلر ادارة المزرعة. وراحت تطعم الذئاب وتنظف حظائرها وتبذل كل ما قويت عليه من أجلها. وحين استعاد لينش صحته بقيت ويلر في المزرعة. واعترف لينش بأن قدومها كان أفضل بشرى له وللذئاب. وخصت ويلر جراء الذئاب بعنايتها، وأصبحت خبيرة في شؤونها بعدما ربت وحدها ١٣ جرواً.

وحتى وقت قريب، بقي لينش يفرض رسوماً على الزوار الذين يفدون لرؤية ذئابه. وكانت تلك الرسوم مورده المالي الوحيد، اذ لم يكن في امكانه أن يفعل شيئاً آخر يكسب به ما يعينه على تربية الذئاب، خصوصاً لانه يقضي ما يراوح بين ١٢ ساعة و١٤ ساعة يومياً في تربيتها. واعتبر لينش استيفاء الرسوم من الزوار شراً لا بد منه.

ويوحي موقفه بانه يعتبر قدوم الناس لمشاهدة الذئاب اهانة مخزية له وللذئاب التي يعدها كنزاً قومياً لا يقدر بثمن. وقد اصبح ملجأ الذئاب يعتمد حالياً، الى حد كبير، على هبات مئة او أكثر من الافراد والاسر الذين "تبنوا" الذئاب في طول الولايات المتحدة وعرضها والتزموا

تقديم تبرعات شهرية في مقابل صيانتها. لكن النفقات لا تزال تفوق التبرعات. وما فتئت الذئاب تنعم ببقائها معتمدة على استعداد لينش وويلر للقبول بشظف العيش.

السؤال الاخير الذي وجهته الى لينش صغته بعناية شديدة: "لقد ضحيت يا جاك بتسع عشرة سنة من حياتك كانت قاسية، وذلك كله من اجل الذئاب. والحقيقة المجردة هي ان الكائنات التي تجشمت المتاعب في سبيلها لا تعدو كونها قطعاً عارية - كبندقية قديمة - لا يمكنها البقاء الا كالقاصر تحت الوصاية. وما من وظيفة طبيعية لها او أثر يذكر تخلفه في البيئة. ولا يحتمل ان يتبدل الوضع عما هو الآن. لذلك، فالسؤال الصعب الذي اوجهه اليك هو: لماذا فعلت ما فعلته ولماذا تبقى انت الوصي عليها؟"

وأجال لينش نظره في حظائر الذئاب بضع لحظات قبل ان يقول بدوره: "ألست حقاً تسألني ان كانت حياتي تساوي اي شيء؟ ان هذه الحيوانات، اذا اختفت من حظائرها، لاختفى ذئب الجاموس عن وجه الارض الى الابد، ولما أمكننا بعد ذلك ان نفعل شيئاً من اجل بعثه. وفي جيناته الوراثية يكمن تاريخ عوامل النشوء والتطور والتبيوء، وهي العوامل التي جبلت بواسطتها هذه الارض، ونحن ايضاً.

"ان ما فعلته هو المحافظة على كيان فريد، كيان تاريخي ورائع وحي في هذا العالم. وقبل ان آتي الى هنا لاعتني بالذئاب كنت، كمعظم الناس، غير قادر على ذكر شيء واحد فعلته يعود بأي فائدة على سواي، فيخلد ذكري بعد موتي. اما الآن فقد انقذت جينات ذئب الجاموس من الزوال، فاصبحت بذلك جزءاً من المستقبل، سواء أذكر الناس اسمي او نسوه. أجل، انا اعتقد ان حياتي تساوي شيئاً ما. واني لا أحسد اي شخص على نمط حياته.

■ بيل غيلبرت



اللهم أعني!

قبل ذهابنا الى السوق للتبضع، تمنيت في سريرتي ما اود الحصول عليه، وهكذا فعل زوجي. وعندما سألته عن امنيته، أجاب: "لقد تمنيت ان اتمكن من تحقيق امنيتك".

س.ب.

روح المنافسة

اذا كان احد يظن ان روح المنافسة خمدت لدى الناس، فما عليه الا ان يراقب تهافت الزبائن في محل كبير عندما يفتح صندوقاً للدفع كان مقفلاً.

ج.ا.ت.

حكايات من العالم

البركة في انف الرئيس

في مدينة بينكنيفيل في ولاية ايلينوي الامريكية، استطاعت الصغيرة بيت ايملينغ التي تبلغ الحادية عشرة من عمرها ان تقلب السياسة التي جرت عليها الولاية طوال ستة اعوام، وتجعل انف ابراهام لينكولن في متناول الايدي مرة اخرى. وهذا الانف جزء من تمثال نصفي للينكولن مقام عند ضريحه في مقبرة اوك ريدج قرب مدينة سبرينغفيلد في الولاية. ويعتقد معظم اطفال الولاية ان من دواعي الفأل الحسن ان يحكوا انف المحرر العظيم. فانتهى حبهم هذا بان اضفى على الانف لمعاناً ملفتاً.

ورأى موظفو حكومة الولاية ان هذا البريق يبدو مضحكاً على الوجه القوي الناحل. فقرروا عام ١٩٧٠ زيادة ارتفاع قاعدة التمثال النصفي بمقدار ٧٠ سنتيمتراً لابعاد الانف عن ايدي الصغار المحبين.

ومرت الصغيرة بيت بتلك التجربة عندما زارت القبر. فساءها ذلك، واعربت عن استيائها في رسالة وجهتها الى نائب دائرتها الانتخابية. فما كان من النائب الا ان احال الرسالة على مدير المحافظة على الآثار في الولاية. وحقق المدير في الامر، فلم يجد اي قوانين او لوائح تحظر تلميع الانوف. ودارت عجلة حكومة الولاية، وهبط التمثال النصفي الى ارتفاعه السابق... لكي يتبرك الاطفال بصقل انفه.


ل. و.

رجل مرور في السماء

من المتوقع ان يتولى رجل مرور، مزود بدماغ الكتروني تبلغ كلفته ٣،٢ ملايين دولار، تنظيم المرور في السماء حين تؤثر احوال الشتاء الجوية على حركة الطائرات في مطارات الولايات المتحدة. وسيمكن بهذه الوسيلة انقاذ ما هو اكثر اهمية من الناحية الاقتصادية، اي الآلاف من براميل وقود الطائرات التي لن تكون مكرهة على التحليق طويلا فوق المطارات المكتظة او المغلقة جزئياً.

وقد ابتكرت احدى الشركات في ولاية فلوريدا هذا الدماغ الالكتروني لتستخدمه ادارة الطيران الاتحادية. ويتولى هذا الدماغ جمع المعلومات الخاصة برحلات الاقلاع والوصول الى مطارات البلاد الخمسة عشر الكبرى. وسيكون مركز التوجيه والتحكم بهذا النظام الجديد التابع لادارة الطيران الاتحادية في واشنطن العاصمة. وهو سيسجل حركة الازدحام وتأخيرات الهبوط، ويقترح الحلول للتخفيف منها.

يونايتدبرس




زلزال ١٩٢٩
قصة الانهيار الاقتصادي الك
الذي مهّد للحرب العالمية



زلزال ١٩٢٩

قصّة الانهيار الاقتصادي الكبير الذي مهّد للحرب العالمية الثانية

في مستهل شهر (اكتوبر) تشرين الاول ١٩٢٩، دهمت بورصة نيويورك عمليات ارتفاع مذهل في الاسعار كانت من اغرب ما عرفته السوق المالية الامريكية منذ تأسيسها. فقد استولت حمى جنونية من الكسب السريع على مئات الالوف من صغار المستثمرين فاستسلموا لها وراحوا يصبون جميع مواردهم المالية في وول ستريت (السوق المالية الامريكية).

وأطلت على هؤلاء في عتمة الكواليس، وجوه عمالقة الاموال: من جهة، فئة كبار المضاربين على الصعود الذين يستثمرون الملايين من الدولارات، ومن اخرى، فئة المقامرين الذين يلعبون بمصير الاسهم فيصعدون قيمها من اجل مصالحهم الخاصة، ومن جهة ثالثة، فئة المضاربين على الهبوط الذين يتقنون فن الانقضاض على السوق كلما بدت فيها ثغرة تبشر بتدهور في الاسعار.

في كتاب شائق، كثير الرواج، كتبه غوردون توماس وماكس مورغان – ويتس انك تحس برعشة الحياة تنساب الى جسم هذه القصة المدهشة التي تروي تفاصيل تلك الايام العصيبة وقصة الانهيار المريع الذي لحق بسوق نيويورك فقصفها قصفاً مخيفاً.

في الساعات الخمس الاخيرة من النهار، تدفق على بورصة نيويورك سيل جارف من الزائرين توافدوا اليها ليشهدوا اغرب حدث اقتصادي ضج به تاريخ اميركا، حدث الهستيريا التي بلغت ذروتها في سوق الاسهم.

يوماً بعد يوم، تصاعدت حرارة السوق المالية الى اقصى حدودها، فقفزت اسهم "راديو كوربوريشن اوف اميركا من ٨٥ نقطة الى ٤٢٠ خلال الاشهر الاثني عشر الاخيرة. ورابط مايكل ميهان، مدير عمليات هذه الشركة، في المركز الرقم ١٢ من البورصة يحركها فيجعل من زبائنه، ومن نفسه ايضاً، اصحاب ملايين بين ليلة وضحاها.

في الثالثة من بعد ظهر الاثنين ٣١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٨، نهض احد مديري ردهة البورصة، كعادته، وضرب الجرس بمطرقته الخشبية، معلناً نهاية يوم آخر من ايام السوق. وعلى الفور، باشرت اوركسترا مؤلفة من خمس قطع عزف انغامها في احد اطراف رواق الزائرين، بينما اخذ الخدم في مطعم البورصة يتنقلون بين المدعوين، حاملين الاطباق الفضية مع كوكتيل عصير البطلينوس (السمك الصدفي) مشروب السماسرة المفضل منذ عشرين سنة - يوزعونه كمقبل لمناسبة حفلة رأس السنة التقليدية.

وفي صحن ردهة البورصة كان جمع من الرجال والنساء يدور على ذاته كما في دوامة، فينهمك بعضهم بالرقص، ويشد البعض الآخر عزائمه بواسطة بطحات مسطحة متحايلا على قانون تحريم الكحول، وهو القانون الذي سن في الولايات المتحدة في ١٩٢٠ واستمر حتى العام ١٩٣٣، فحظر صنع المشروبات الكحولية ونقلها وبيعها وامتلاكها..

وفي مكان آخر جلس المحررون في مكاتب صحيفة "نيويورك تايمس" يعدون مقالات لنهاية السنة. وقد اهتمت الاخبار الواردة من الخارج بأهالي لندن المجمهرين خارج القصر الملكي والقلقين على صحة ملكهم جورج الخامس الذي يعاني مرضاً خبيثاً. وتحدثت الاخبار ايضاً عن الترتيبات التي يعدها اهالي برلين لاستقبال السنة الجديدة ١٩٢٩، في اجواء من الابتهاج الصاخب المعهود، حيث يحتسون ما يقدر بخمسمئة الف غالون (الغالون ٣،٧ ليترات) من البيرة ويحرقون عشرات الملايين من الاسهم النارية. القى المحرر المالي الكسندر دانا نويس نظرة على نسخة من صفحته في الجريدة وتبين له ان سوق العملة اقفلت ابوابها على بوادر من الامل المنعش، بينما سجلت الاسواق الاجنبية، خصوصاً في برلين ولندن، ارباحاً متواضعة. وكان نويس تنبأ، على مرحلتين متتاليتين خلال سنة ١٩٢٨، بأن السوق المضاربة على الصعود لا بد من ان تتوقف وتنهار. وعلى رغم ان الاحداث خيبته، فقد اصر على تأكيد صحة تنبؤاته قائلا: "ان شيئاً ما سيفرط وينهار حتماً، كما هي الحال في الهزات الارضية. فبمقدار ما انت بعيد عن الهزة الاولى فأنك تجد نفسك، بالمقدار ذاته، قريباً من الهزة اللاحقة". وظل حدسه هذا يوحي اليه باستمرار بأن الانهيار في السوق واقع حتماً، وبأنه اذا ما وقع فسيمسح وول ستريت عن بكرة

ابيهما. ويكون ذاك اليوم يوم الكارثة...

وعلى بعد قرابة خمسة آلاف كيلومتر من نيويورك، في المنطقة الشمالية في ولاية كاليفورنيا، هبطت سيارة "رولز رويس" بخريرها الناعم الشارع الرئيسي في احدى المدن الصغرى. وكان صاحبها اماديوبيتر جيانيني تاجر خضر وفواكه في ١٩٠١. وهو ترك هذه التجارة عام ١٩٠٤ ليؤسس المصرف الشعبي الاول في امريكا. وقد نظر اليه المصرفيون في سان فرنسيسكو نظرة الدخيل عليهم، الا ان ذلك لم يمنعه من ان يملك، بالاضافة الى "بنك اوف اميركا" ذي الشهرة العالمية، ٢٨٦ فرعاً من مصرف "بنك اوف ايطالي" في شهر مارس (آذار) من عام ١٩٢٨. وادرك جيانيني ان العدو متربص به على عتبة بابه، بسبب هذا النجاح. والعدو متجسد، في نظره، في المراهنين العاملين في وول ستريت. فقد عمد هؤلاء الى رفع اسعار سعر اسهم مصرفه الى مستوى يفوق قيمتها الحقيقية، وذلك طمعاً في الربح. وفي شهر (فبراير) شباط ١٩٢٨، حذر جيانيني المستثمرين من النتائج السيئة لهذا السلوك ودعاهم الى الامتناع عن شراء اسهم مصرفه. لكن عمليات المضاربة لم تتوقف عند حد. "ان الثور الكبير في وول ستريت هو داخل الحظيرة وان الجميع يحاولون ركوبه". هكذا بدت الصورة لجوغارسيا، سائق سيارة جيانيني.

وفي شهر (ابريل) نيسان ١٩٢٨ قام جيانيني برحلة الى البلدان الاوروبية، وفي الحادي عشر من (يونيو) حزيران تسلم وهو في روما برقية تخبره بأن اسعار اسهم "بنك اوف ايطالي" هبطت ٧٣ علامة، واسهم "بنك اوف اميركا" ٧٠ علامة واسهم "بانش ايطالي كوربوريشن" ٤٢ علامة. وعلق غارسيا على ذلك بالآتي: "لقد تمكن المضاربون من تحقيق اهدافهم، تاركين اماديو بيتر جيانيني ينزف حتى الموت".

وفي الخامس من سبتمبر (ايلول) من السنة ذاتها، عاد جيانيني من رحلته، فوجه اولى كلماته الى غارسيا: "من الان فصاعداً، لن نسمح لابناء الحرام هؤلاء بأن يعيدوا الكرة". وفي الحادي عشر من اكتوبر (تشرين الاول). اعلن، وسط دهشة الاوساط المالية، انه صمم على تثبيت اركان مؤسسته المتعددة الفروع وجمعها تحت مظلة واحدة محكمة الاجزاء. وقال انه سيجعل منها اوسع شركة قابضة في العالم، تكون في مأمن من شراسة المراهنين في وول ستريت. وفي الخامس عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) سجل مؤسسته هذه في بورصة سان فرنسيسكو وسماها "ترانس اميركا كوربوريشن".

لم يكن جيانيني في طبيعة حاله ميالا الى الترف، لكنه شاء ان يدلل نفسه بصرعتين اضافهما الى سيارته الرولز رويس. فمن جهة، ركب ضوءاً للاطفائية على سطح غطاء محرك السيارة الانيق، ومن جهة اخرى، علق صفارة انذار داخل السيارة. وعندما سأله احدهم: ما هذا النوع من سيارات الاطفائية؟" أجاب: "انه نوع خاص يقينا نيران المضاربات".

في ذلك المساء، وفي مدينة نيويورك ادلى جون جاكوب راسكوب بتصريح جاء نقيض موقف جيانيني. وراسكوب هذا مليونير في التاسعة والاربعين. ولد في احد احياء نيويورك المتخلفة، فجاهد وكدّ حتى توصل الى وضع يده على شركة "جنرال موتورز" وسعى الى تطويرها. هذا الرجل كان له حلم كتمه طويلا وشاء في هذه الليلة ان يبوح به الى وليم لامب احد المهندسين المشهورين الكبار الذين بدلوا سماء مانهاتن، المنطقة الوسطى من المدينة.

سار الرجلان في اتجاه فندق "والدورف اوف استوريا" القائم على زاوية الشارع الخامس (فيفث افينيو) - الشارع ٣٤. فالقى راسكوب نظرة خاطفة على الفندق وقال لصديقه: "ان هذا الفندق هو في طريق الانحطاط، واتمنى عليك ان تهتم بشأنه. كما انني اطلب منك ان تخطط لتشييد اعلى بناء على سطح الارض". وقال ان هذا البناء سيحمل اسم "امباير ستايت بلدينغ"، ويريده نصباً تذكارياً يرمز الى "النهج الامريكي في الحياة" حيث استطاع ولد فقير مثله جمع ثروة طائلة.

تعددت السيارات الكبيرة الفخمة في وول ستريت وبدت كأنها مجموعة من الحرس امام البناء الواسع المنخفض المتربع كالحصن، ووقف الى جانبها السائقون ببزاتهم الرسمية يترقبون نهاية الطقوس الجليلة التي تتم في الداخل. فلا الجدران الخارجية ولا الابواب التي علق عليها الرقم ٢٣ من الشارع تحمل اي اشارة تدل على انه من هنا، من "هاوس اوف مورغان". تنطلق عمليات تمويل الحكومات في العالم والمصالح التجارية فيه، وذلك منذ سنة التأسيس ١٩١٤.

في هذه الليلة، جلس جون بير بونت مورغان الابن، كعادته في كل ليلة، يحسب الارباح المتراكمة خلال الاثني عشر شهراً، من اوروبا واليابان وافريقيا الجنوبية ومن اوستراليا وكل مكان آخر ومن اي انسان ساهم "هاوس اوف مورغان" في تمويله السنة الفائتة. ووردت على مورغان طوال النهار تفاصيل الفوائد ولوائح المدفوعات المستحقة فجمعها. وحسب العادة المتبعة في الدار، حفظ لنفسه خمسين في المئة من الارباح الصافية ووزع الخمسين الباقية على مجمل شركائه.

انهى الرجل حساباته بكاملها ثم نهض من مكتبه حاملا في يده قبضة من الغلافات واخذ يتجول بين المكاتب الاخرى، يناول كلا من الشركاء غلافاً خاصاً به يحوي علاوة اضافية على ارباح السنة لا تقل عن مليون دولار.

على اثر ذلك تباعدت السيارات الفخمة تاركة وول ستريت في حراسة شرطي واحد، يقرصه برد الثلوج الموسمية الاولى.

اما في شأن الاوضاع عبر الاطلسي، فقد ساد شعور لدى الشعب البريطاني بأن السنة الجديدة ستحمل، لا محالة، تحسناً ملموساً بالنسبة الى ١٩٢٨، فقد خيبت الاخيرة آمالهم اذ ترقبوا فيها بشائر العودة الى العافية.

وفي لندن، اعد كلارنس تشارلز هاتري، الخبير المالي المتقلب الاطوار، لصفقة مالية شاءها ان تكون صفقة العمر الاخيرة والاكبر حجماً في حياته. وقد شملت خبرة هاتري عمليات مضاربة مكثفة، ونشأ لديه حس مميز دفعه الى عمليات كبرى تهدف الى ادماج الشركات. وخطط هذا الرجل الاربعيني لدفع ٨ ملايين جنيه استرليني في عملية تهدف الى وضع يده على اسهم شركة "يونايتد ستيل كونبانيز ليمتد" المسيطرة على قسم واسع من صناعة الحديد والصلب في بريطانيا. وجاء توقيته موفقاً، لان اسهم صناعة الحديد كانت بلغت درجة مكشوفة من الانخفاض. الا ان مشروعه الطموح كان ينقصه امر واحد، الا وهو حاجته الماسة الى السيولة الكافية، فغياب السيولة قد يصيبه بضربة قاضية.

وعلى مسافة ١٥٠٠ كيلومتر شرق لندن، جلس لويس بول لوخز، المحرر المالي في احد مكاتب "اسوشييتد برس" في برلين، وقد قادته تحاليله الى النتيجة الآتية : بالنسبة الى ما يحدث لسوق السندات المالية في امريكا، وقفت الدول الاوروبية موقفاً واحداً من اثنين، عدم التفهم من جهة او عدم الاكتراث من جهة اخرى. لم تأت هذه النتيجة ملائمة لما توخاه منه رؤساؤه في نيويورك، فبرقياتهم له في هذا الشأن كانت واضحة: جمع ردات فعل اوروبية تدل على ان العالم القديم متلهف الى كل ما يحدث في العالم الجديد. وقد تميزت كل من سويسرا وفرنسا بموازنة متعادلة وفائض في ميزان التجارة الخارجية وقضاء تام على البطالة، مما سمح لهما بتجاهل ما يحدث في وول ستريت. وتخبطت بقية الدول الاوروبية في مشاكلها الداخلية من دون الالتفات الى الخارج: فروسيا التي دخلت خطتها الاقتصادية الجديدة التي رسمها لها ستالين، سنتها الثامنة لم يعد انتاجها الى مستوى ايام ما قبل الثورة. واستولى الشلل على اسبانيا من جراء جمودها السياسي. ووقعت يوغوسلافيا تحت رحمة ازمة دستورية اخرى، اذ ان الملك الكسندر كان على وشك تنصيب نفسه ديكتاتوراً، ودخلت الصناعة والزراعة في ايطاليا، في ظل موسوليني، مرحلة من الكساد المالي. أما النمسا فقد مزقتها الازمات السياسية واسلمت امرها الى عصابات مسلحة تسرح وتمرح في البلاد...

تبقى المانيا. فهذه الدولة على اثر جهد مدهش قامت به بعد الحرب من اجل بعث نموها الاقتصادي، تمكنت من ان تصبح واحدة من اعظم الامم الصناعية في العالم، وساحة مختارة لاستثمار الاموال الاجنبية. ان تدفقاً لا سابق له، معظمه من الولايات المتحدة، دفع بالشركات الالمانية الى بناء المصانع الجديدة. لكن الديون الخارجية على الدولة الالمانية تفاقمت وبلغت ستة مليارات دولار، علماً بأن القسم الوافر منها كان لاجل قصير وقائماً على قروض ذات فوائد مرتفعة. فراحت المانيا، كي تفي بديونها هذه، تفتش عن المزيد من الاموال في الخارج.

هذه الدلائل كانت بمثابة انذار واضح لوول ستريت.

اطلت كلار جيانيني من نافذة الطابق الثاني في مبنى "بنك اوف ميركا" ولاحظت ان شارع وول ستريت" قصير جداً لا يزيد طوله على ثمانية صفوف من المباني المتلاصقة. فبدت لها نقطة الانطلاق عند شارع برودواي من الجهة اليمنى، وظهرت "كنيسة الثالوث الاقدس وكأنها ضائعة في سماء شباط الرصاصية في الساعات الباكرة من النهار. وتمنت كلار لو انها كانت في تلك اللحظة في مدينة سان فرنسيسكو فاستحال عليها الامر لان والدها لم يند اشغاله هنا في الضفة الشرقية من البلاد مع مجلس الاحتياط الاتحادي ومجلس الاحتياط لمدينة نيويورك، ومع ج.ب مورغان وشركائه المستشارين القانونيين لامبراطورية جيانيني.

الممر الضيق

ثم نزلت كلار الى المنطقة المالية تجول فيها وتتعرف عن كثب على هذا المسرح الذي اختاره والدها ساحة للقتال. تخرجت كلار بتفوق في علم التاريخ فتكدست لديها معلومات يجهلها الكثيرون حول شبكة هذه الشوارع ذات الممرات المعقدة التي جمعتها المصادفات والتي ما زالت تحمل اسماء عهدها ابناء الجاليات الامريكية الاولى امثال مايدن لان، ناشر، بيفرستريت وغيرها...

في الزمن الذي سبق رص الطرق بالحجار السوداء سيج المستعمرون الهولنديون المنطقة للحفاظ عليها كمرعى ولمنع مواشيهم من الشرود في ذاك الممر القريب الذي سيصبح يوماً برودواي. ثم ابدلوا السياج بجدار من اجل حراسة مستعمرتهم.

ولما تهدم الجدار نهائياً، سمي المعبر الذي امتد على طوله باسم "شارع الجدار" (وول ستريت). وحدث ذلك عام ١٧٩٢. واخذ الشارع يحاذي صفاً متلاصقاً من بيوت السكن والمحلات التجارية الى ان قرر عدد من السماسرة، ٢٤ منهم بالضبط، وضع حجر الاساس لبناء البورصة في هذا الموضع بالذات في ظل شجرة جميز. اما اليوم فلم يبق الا الزهيد من آثار نيويورك القديمة، بالاضافة الى اسماء الشوارع، وتتألف المنطقة الان من سلسلة من الممرات الضيقة، وتقوم على الاسمنت وتحيط بها ارصفة هي امتداد لجدران المكاتب الشاهقة.

ادركت كلار في سريرتها ان بال والدها مرتبك بسبب استمرار الاسعار في الصعود وكانت الاسعار في هذه السوق شهدت في شهر يناير (كانون الثاني) هبوطاً مخيفاً للمرة الثالثة خلال سبعة اشهر، وخسرت بعض الاصدارات عشرات العلامات في نهار واحد.

لماذا حدث هذا الهبوط؟ وكيف استعادت السوق عافيتها بسرعة؟ وما هي الدوافع الخفية؟

هذه الاسئلة غابت عن بال الكثيرين. لكن جيانيني اهتم بدرسها وبتحليل هذه الفترة الوجيزة من التقلب ثم شرح لابنته استنتاجاته: "هناك جماعات صغيرة توظف مالا تفترضه من سماسرتها وقد انقلبت السوق عليها فجأة في واحدة من نوباتها العصبية المعتادة، على اثر ازدياد عدد طلبات الضمانات الاضافية ولما لم يتمكن هؤلاء من

الحصول على المزيد من السيولة اللازمة فقد اضطروا الى عرض اسهم هذهالجماعات في السوق من اجل استرداد قيم القروض. فنتج من ذلك هبوط سريع في الاسعار". وتابع جيانيني كلامه منذراً: "سيأتي يوم تعجزالقدرة الشرائية في السوق عن اداء اي منفعة، والله وحده عليم بوخيم العاقبة".

يطيب لجيسي ليفرمور (٥٥سنة)، المتباهي امام عشيقاته الموزعات في دور خاصة حول العالم بأنه على اطلاع على ما يحدث في السوق المالية، وهو يخصص سجلا لكل موضوع. فلديه مثلا سجل للوضع العام في السوق، وآخر لحالات الصعود والهبوط في اسعار الاسهم المفضلة. وثالث يضم آراءه الشخصية في مثل هذه التقلبات. لم تحظ تصرفاته برضا الجمهور الذي كان يعتبره واحداً من "الدببة" (المضاربين على الهبوط) في عالم يعج "بالثيران" (المضاربين على الصعود) فيشد باسعار السندات المالية نحو الهبوط عن طريق البيع لاجل قصير، طمعاً في زيادة ثروته الخاصة. فاذا ما لمس "الدب" ان الاسعار في السوق المالية هي على وشك التدهور، يبدأ ببيع اسهم لا يملكها بعد لكنه يعرف ان في وسعه استعارتها من احد السماسرة لاجل معين وفي مقابل رسم محدود، ثم يسلم هذه الاسهم المستعارة الى احد المشترين فيقبض ثمنها نقداً. ويقف متربصاً اللحظة التي تنهار فيها الاسعار فعلا، عندئذ يبدأ بشراء الاسهم بالاسعار المنخفضة ويسلمها بعد ذلك الى السمسار لتحل محل الاسهم التي استعارها منه، فيكون ربحه هنا الفارق بين السعر الذي باع به الاسهم المستعارة والسعر الذي دفعه ثمناً للاسهم المستبدلة.

انتاب ليفرمور هاجس المال، مع انه اصبح صاحب ملايين، فلم يكن له هم آخر في الدنيا. وبدت علاقاته الاجتماعية خشنة واعرب بوضوح عن احتقاره لكل مظاهر التحضر الانساني. وتروى عنه حكاية، يرفقها دوماً بقهقهة صاخبة غليظة الوقع، ان احد التجار سأله يوماً عن رأيه في الاديب الفرنسي، بلزاك، فأجابه: "انني ارفضالتعامل مع هذه الشركة".

تلمس ليفرمور، على غرار جيانيني، عصبية السوق تنتفض كالفرس غير المروضة. فجلس وحده يتدارس الوضع في مكتبه القائم في "فيفث افنيو" والمعزول عن غرفة المواصلات التي تربطه باستمرار مع شيكاغو وسان فرنسيسكو ولندن وباريس وبرلين وميلانو.

وتردد لون شعر رأسه بين الاشقر والرمادي واحمرت خداه وارتسمت تقاسيم وجهه حادةفارغة، فبدا وكأنه اصغر سناً مما هو. وداوم على تدخين السيجار الهافاني الضخم الملفوف خصيصاً على اسمه في كوبا، فجاءت الثلاثمئة التي يدخنها في الشهر دليلا على التوترات التي تمزقه.

اخوة اهل المصارف

سار القطار "فولفرين" يهدر بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة متجهاً نحو مدينة ديترويت، وشلحت عرباته "البرلمان" من مسحة الخضرة على طبيعة ميتشيغان المكسوة بالثلوج.

نظر الركاب، من داخل العربات المقتربة من المدينة، الى ذلك المبنى الرمادي الضخم الذي تملكه شركة "جنرال موتورز"، من دون ان تسمح لهم المسافة الفاصلة بينهم وبينه من ان يتبينوا الحجار الصغيرة التي تزين سفح المبنى، ولمع امام اعينهم حرف D البارز المحفور في صدر كل حجر منها.

ان حامل الاسم الذي يبدأ بهذا الحرف، وليم كرابو دورانت، كان غارقاً منذ ١٤ ساعة في احد اجتماعاته الطويلة، بين جدران مقصورة فخمة في القطار الجاد في قعقعته. ولولا هذا الرجل لما كان هناك جنرال موتورز ولا شفروليه ولا بويك ولا بونتياك. فكل هذه السيارات هي وليد عبقريته. ولكن عندما دهمته الازمة المالية انقض عليه رجال المصارف وانتزعوا الشركة من قبضته، فقاده تحرره من اعباء ادارة شركة بهذه الضخامة الى سوق السندات المالية. وقدرت ارباحه في الشهر الاول بمليون دولار، وقفزت في الشهر الثاني الى عشرة ملايين، ووصلت الى خمسين مليوناً بعد ثلاثة اشهر، وهو الذي لم يحمل معه، لدى تركه جنرال موتورز، سوى كرسي حلاقة نقالة خاصة به، ترافقه في كل تنقلاته. وها هي الكرسي تتوسط الآن المقصورة الفخمة.

ترجل دورانت من القطار في ديترويت، وعلى وجهه بوادر الغضب. ان اتصالاته الهاتفية بنيويورك جاءت مبهمة، والنذر القليل الذي طرق اذنيه منها لم يساعد ابداً على تهدئة غضبه. انه سمع تشارلز ادوين ميتشل، رئيس "ناشونال سيتي بنك" اضخم المصارف الامريكية، يصرح ان القرار الذي اتخذه مجلس الاحتياط الاتحادي بدأ يعطي مفعوله. لقد توجه المجلس في هذا القرار الى جميع المصارف الامريكية طالباً منها الحد من القروض المعطاة للسماسرة، فقفزت قيمة القروض الى حين الطلب، خلال ٤٨ ساعة، ٣،٥ في المئة وواصلت ارتفاعها حتى بلغت ١٠ في المئة، هذا النهار، اي في السادس عشر من شهر فبراير (شباط).

والسؤال الآن: من يجرؤ على مواجهة هربرت هوفر، رئيس الجمهورية المنتخب، ويصارحه القول فيدرك هذا ان عافية الامة المالية انما تقوم على قانون الاعتمادات وان مجلس الاحتياط الاتحادي قتل بقراره الدجاجة التي تبيض ذهباً؟.

علم ميتشل بأن دورانت، في مقابلات صحافية سابقة عرفت انتشاراً واسعاً، ادلى بتصاريح عدة ردد فيها هذا القول واقتنع ضمنا بأن دورانت يتمنى محاورة هوفر.

وفي غرفة الاجتماع المكسوة جدرانها بخشب السنديان، وهي الغرفة الخاصة بمجلس ادارة مصرف "يونيون اندستريال بنك" في مدينة فلنت ميتشيغان تحلق ١٥ رجلا حول الطاولة المصقولة، يعلو رؤوسهم رسم تشارلز ستيوارت موت، رئيس مجلس الادارة ان هذا الرجل لم يدع الى الاجتماع، لانه اذا علم بما يدور فيه لطالب بزج المجتمعين في السجون. لقد كان هؤلاء موظفين عنده وامناء صندوق في مصرفه، لكنهم كانوا، في الوقت نفسه، مختلسين فيه.

نظر كرمبيت بيتت، احد نائبي رئيس المصرف، الى الاختلاس الذي يمارسه كأنه "مجرد قرض مالي من دون موافقة". مع ذلك، بدأ خطر افتضاح امره ينغص عيشه ويقض عليه مضجعه فلا يعرف للنوم سبيلا. وهو قلق على وضع زوجته نانسي واولاده في حال افتضاح امره وزجه في السجن.

وتعمد هارولد مور، نائب الرئيس الآخر، ابعاد نفسه عن مثل هذه الهواجس. وهو ايضاً رب عائلة، زوجته ديان مريضة، واولاده في مقتبل العمر. وقد ردد عليه الطبيب مرارا ان صحة زوجته "هشة" وان الاعتناء بها سيطول والتكاليف الطبية ستتضخم. وقد دفعته رغبته في الحصول على كميات اضافية من المال الى الانضمام الى هذه العصابة.

اما مساعد امين الصندوق، روجير مايز، فقد مارس الاختلاس لكي يحافظ على مستوى معين من المعيشة، لا يسمح له به راتبه الشهري المؤلف من ٣٧٥ دولاراً. وهو افتتح عمليات الاختلاس في مستهل ١٩٢٨، فاستخدم مال المصرف للمراهنة في السندات المالية النيويوركية. فقام بعملياته الاولى منفرداً، الى ان تبين له تدريجاً في بحر السنة، ان الآخرين يمارسون اللعبة ذاتها. فتجمع شملهم وازداد الارتياح لديهم مع ارتفاع عددهم فالفوا هذه العصابة. وبرز مايز بينهم قائداً مسلماً به، يبيع ويشتري السندات بواسطة الهاتف الخاص الذي يربط مكتبه بوول ستريت.

زادت كمية المال المختلس من المصرف على مليوني دولار، فوجد المختلسون انفسهم غارقين في الديون وتبين لهم ان السوق راكدة وان استثمارهم للمال لم يكن موفقاً. كما وجدوا انفسهم في مسيس الحاجة الى صفقة رابحة تساعدهم على استرجاع المال المختلس وتبرير ساحتهم بالتالي.

شاء روجير مايز ان يختم الاجتماع ببارقة امل، فأكد لرفاقه انهم سيخرجون عاجلا من هذا المأزق وان الثروات ستنهال على كل منهم. وقال: "ان السندات المالية مقبلة على قفزة تنطح بها القمر".

التجمع التجاري

في مساء الثامن والعشرين من شهر فبراير (شباط)، خلص مايكل ميهان والخبير في شركة "راديو كوربوريشن اوف امريكا" في البورصة الى الاعتقاد بأنه لا بد له من ايجاد تجمع تجاري ضخم انطلاقاً من اسهم الشركة. ففكر ملياً في اسماء الذين ينوي دعوتهم الى الاشتراك معه في هذا التجمع. وقرر بأن تتألف نواة المشروع من برسي روكفلر وجون راسكون وبللي دورانت الذين يعتمد عليهم.

وتبادر الى ذهنه اسم شريك آخر هو زوجته. ان قوانين البورصة تمنع عليه ان يكون شريكاً في التجمعات التجارية التي يتسلم ادارتها. لكن القوانين لا تحرم على زوجته اليزابيت المضاربة في اسهم شركة "آر. سي. آي" فقد سبق ان تعاطت هذا النشاط في الماضي.

لم يفاجأ ميهان لما بلغه ان السوق تدهورت، في الرابع من شهر مارس

(آذار) اي يوم تسلم الرئيس هوفر الحكم. وفي اليومين التاليين قفزت الاموال المسلفة الى حين الطلب الى ١٣ في المئة. وهذا المؤشر ٤ علامات اخرى حسب المؤشر الموحد لجريدة "نيويورك تايمس".

وفي السابع من الشهر، استجمعت السوق قواها فارتفعت قيمة اسهم الراديو (آر. سي. آي) من ٧٤ الى ٣/٤ ٩١. وفي هذا النهار كذلك، وزع ميهان بياناً سرياً وخاصاً حدد فيه اسس تجمعه التجاري. فتجاوب مع عرضه ستة وثمانون مستثمراً، وتعهد راسكون بتقديم مليون دولار، وتعهد والتر كرايزلر بنصف مليون، وسجلت اليزابيت ميهان تعهداً بمليون دولار. وبلغت قيمة التعهدات النهائية ١٢٦٨٣٠٠٠ دولار.

نهار الاثنين الواقع فيه الحادي عشر من مارس (آذار) ظهر في جريدة "دايلي نيوز" النيويوركية مقطع يقول فيه كاتبه - وهو احد الصحافيين القابلين للرشوة - ان اسهم "الراديو" ستقفز الى المئة في "القريب العاجل وان شراءها نهار الثلاثاء يعتبر صفقة موفقة". وهكذا، قبل ان يخف طنين المطرقة التي اعلنت افتتاح السوق صباح الثلثاء، اخذت اسهم "الراديو" تتحرك. فتوجه السماسرة الى جناح الشركة في المركز الرقم ١٢ وقدموا طلباتهم الاولى. لم تكن هذه ذات حجم كبير، ولكن لم تطل الحال حتى انضم اليها عدد من الطلبات الاخرى الواردة من انحاء عدة في البلاد، جاء بعضها نتيجة اكيدة للمقطع الذي ورد في جريدة "دايلي نيوز" وفي غيرها من الصحف التي تنشر في آن مقال الكاتب المذكور.

ولاحظ ميهان ان اسهم "الراديو" سلكت طريق الصعود بالنسبة الى سعر البارحة الذي بلغ ٩٠١/٨، وادرك انه خلال لحظات سيحمل الهاتف كلمة السر هذه يبثها السماسرة المحليون الى زبائنهم قائلين: "هذا هو الظرف الملائم لشراء "الراديو". فتنفس الصعداء وتأكد انه خلال ايام قليلة ستنهال عليه الطلبات من كل جهة.

تسلم مديرو التجمع التجاري طلبهم الاول الكبير قرابة الساعة العاشرة والنصف صباحاً والبالغ خمسة آلاف سهم. وبعد ثوان، نقل التلغراف الخبر. وللحال تدفقت الطلبات من بعيد، من سان فرنسيسكو وسياتل وفلوريدا ومن هاواي كذلك. واعلن المراسلون الماليون في "اسوشييتدبرس" و"يونايتدبرس" ان اسهم "الراديو" تتحرك صعداً، ورددت الاذاعات هذه الاخبار وادرجتها في نشراتها الاخبارية اللاحقة واضافها محررو الصحف الى طبعاتهم الاخيرة. وفي الساعة الحادية عشرة، تتابعت نقرات التلغراف تعلن صعوداً شبه متواصل في سوق اسهم "الراديو".

وقبع بللي دورانت في مكتبه في مانهاتان يراقب جهاز التلغراف، ولاحظ ان الاربعمئة الف دولار التي استثمرها في عملية التجمع بدت رابحة. ثم حول انتباهه الى مفكرته وانعزل في مكتبه فاحكم اقفاله وقطعه عن العالم الخارجي، لانه كان يعتقد ان الهواء الطلق يجر معه تلوثات قد تضر بصحته. وتميز

دورانت ايضاً بصفة اخرى تتم تفاصيلها ساعة الظهر. في هذا الوقت، دخل عليه الطاهي الشخصي القائم على خدمته، فانتهك حرمة المكتب المعزول وهو يجر عربة تضم فرناً نقالا طبخ فيه غداء دورانت. ويقطع الطاهي يومياً ثلاثين شارعاً في المدينة في سيارة سيده لكي يقدم اليه الطعام، لان هذا لا يثق بطهاة نيويورك لتحضير طعام خال من الجراثيم.

وكان سماسرة سان فرنسيسكو تلقوا سيلا من الطلبات لشراء اسهم "الراديو". وظهرت في بورصات بوسطن وبلتمور وهرتفورد صعوبات متزايدة للحصول على هذه الاسهم وعلت الصرخة ذاتها من ٢٢ بورصة اخرى المنتشرة بين سانت لويس ولوس انجيلوس، ووردت على وول ستريت طلبات تلغرافية، وبعضها الـ ١٠ اسهم او ٥٠ او ٧٥ سهماً.

وصلت اصداء هذا الاقبال على اسهم "الراديو" الى مسامع كرمت بيتت في فلنت، فبث النبأ الى رفاقه المتآمرين معه، ودارت على الاثر مناقشة في ما بينهم حول امكان "وضع اليد" على كميات اخرى من اموال المصرف لاستثمارها في "عملية بدت وكأنها ربح اكيد". لكن بيتت اقترح التريث ومراقبة تطورات الاحداث، فنزل الآخرون عند رغبته.

وادرك مايك ميهان ان تجمعه التجاري قد انطلق باجمل الوعود. ولاحظ أنه، خلال ما لا يزيد على خمس ساعات من النشاط المحموم، سلم السماسرة شركته طلبات لـ ٣٩٢٦٠٠ سهم، بينما باعت الشركة في الوقت نفسه ٢٦٤٠٠٠ سهم. وارتفعت اسعار الاسهم في ختام النهار الى ٥/٨ ٩١، ثم قفزت الى ٢/١ ١٠٩، لما اقفلت البورصة ابوابها عند منتصف نهار السبت الواقع فيه السادس عشر من مارس (آذار) كانت اسعار اسهم "الراديو" بلغت ذروتها. وهذا الامر لم يكن يعرفه سوى المسؤولين عن اللعبة. فاجتمع هؤلاء سراً نهار الاحد وتشاوروا وقرروا في النهاية ان "يفرطوها" في اليوم التالي.

وفي هذا النهار انزلوا بحذر الى السوق ٢٣٨٦٠٠ سهم، فاخذت اسعار "الراديو" طريق الهبوط التدريجي حتى وصلت الى ١٠١. عند هذا الحد، قرر "حلف الافندية" في مصرف "يونيون اندستريال بنك" في فلنت المجازفة مرة اخرى، فاستخدموا ودائع مختلسة لشراء اسهم "الراديو".

وفي الايام الثلاثة اللاحقة، هبط سعر سهم "الراديو" الى ٢/١ ٩٢، بعدما تمكن اركان التجمع من انجاز عمليتهم المدمرة. فارتأت جماعة فلنت ان وقت الانسحاب قد حان، فباع اعضاؤها حصصهم في "الراديو" بـ ٤/١ ٧٨، وتكبدوا بذلك خسارة كبرى اخرى ووجدوا انفسهم في ورطة مالية اسوأ من الورطات السابقة. اما الحال لدى شركاء ميهان فلم تكن على هذا الشكل. فقد اسفرت عمليتهم عن نجاح هائل واعطتهم ارباحاً صافية توازي ٤٩٢٤٠٧٨ دولاراً. وهكذا استعاد راسكوب مليونه وربح ما معدله ٢٩١٧١٠ دولارات وكسب دورانت ١٤٥٨٥٥ دولاراً، وميهان وزوجته ٦٥٢٧٨٣ دولاراً. أما مؤسسة ميهان ذاتها فقد بلغت حصة عمولتها

وحدها ٥٨٠٠٠٠ دولار. وجاءت حصيلة هذه الايام القليلة مرضية.

وتمت كل العمليات حسب الاصول المرعية في السوق، اي في ظل القوانين والانظمة الصادرة عن بورصة مدينة نيويورك وبالاتفاق التام معها.

مواجهة رئيس الجمهورية

وفي كل واحدة من محطات القطار "اوفرلند ليمتد" المتوجه من شيكاغو الى كاليفورنيا، كان يؤتى بآخر طبعات الصحف الى مقصورة جيانيني الخاصة فيتبين له منها ان اسهم شركته "ترانس اميركا" ما زالت تتبع خطاً معتدلا، لكن المسلك الاجمالي المسيطر عليها اقلقه، فبدا له ان هناك مؤامرة ترمي خلق وهم في عقول الناس بانهم عثروا للمرة الاولى في التاريخ على مفتاح سحري يفتح لهم ابواب سوق دائمة الصعود.

فرفض جيانيني بشدة اخبار الصحف وتقاريرها الماضية في قولها ان هناك سبيلا واحداً امام السوق، الا وهو الصعود. وتفاقم كرهه لهؤلاء الصحافيين المرتشين الذين يخدعون قراءهم لمصلحة اسهم مشبوه بها.

وبلغه في ساعة متقدمة من بعد ظهر الاثنين ٢٥ مارس (آذار) ان الاموال المقترضة الى حين الطلب قفزت الى ١٤ في المئة، وهي اعلى القفزات التي عرفتها منذ شهر يوليو (تموز) ١٩٢٠، فتدهورت اسهم "ترانس اميركا" وهبطت معها غالبية الاسهم. وسجل هبوط "ترانس اميركا" خمس علامات بينما ٩٠ شركة اخرى هوت الى اقصى الدرجات المعروفة خلال هذه السنة.

اما التلغراف، فقد تأخرت اخباره في ذاك النهار خمسين دقيقة عن موعدها. وفي هذا النهار كذلك انقض جيسي ليفرمور فجأة على السوق وضرب بشدة لم ينتظرها احد. وهو كان امضى صباحه مترقباً الاخبار علّه يجد فيها الخبر الذي ينتظره، اي تصريحاً صادراً عن مجلس الاحتياط الاتحادي يعلن رفع معدل الفائدة الرئيسية او معدل الحسم او اعادة الحسم.

وعلم الجميع في وول ستريت ان المجلس منعقد منذ ايام وراء ابواب مغلقة في واشنطن. وكان في ظن ليفرمور ان السوق مقبلة على انهيار حتمي ناتج عن الغموض المنتشر في الاجواء. فهرع الى مكتبه في الساعة الثامنة والنصف صباحاً، وما ان اعلن جرس البورصة افتتاح السوق حتى اندفع يغذيها بسلسلة محيرة من طلبات البيع والشراء من دون ان يدرك احد مقصده. وراح يبيع باسعار متدنية مستعيراً الاسهم التي يبيعها، فورد عليه للحال سيل من الطلبات المرعية الاصول من كل انحاء البلاد.

افتتحت السوق في الصباح التالي وبلغت الاموال المسلفة الى حين الطلب ٢٠٪، فيما مجلس الاحتياط الاتحادي صامت لا يحرك ساكناً. وتراكمت طلبات البيع في السوق فسجلت في ختام النهار رقما قياسياً، اذ تم تداول ٨ ٢٤٦ ٧٤٠ سهماً، وهو اضخم حجم في تاريخ البورصة. عندها عاد ليفرمور فشن غارة جديدة على السوق وبدأ يبيع باسعار تدهور هبوطها الى القاع. وتبين في ما بعد ان ارباحه في هذين اليومين بلغت ٢٠٠ ٠٠٠ دولار.

ورصد تشارلز ميتشل، رئيس مصرف "ناشونال سيتي بنك" هذا التدهور الجدي المبشر بنهاية قاصفة تلحق بسوق الشراء التصاعدية، واخذ يدلي بتصريحات صحافية معلناً ان مصرفه على اتم الاستعداد لوضع كميات ضخمة من المال في تصرف المستدينين لاستخدامها على النحو الذي يشاؤون. وانتشرت اخبار هذا العرض في وول ستريت فتبخرت الغيوم السود فيها واخذ المال المسلف الى حين الطلب ينهال مجدداً على السوق وبدأت اسعار الاسهم تستجمع قواها مرة اخرى. وعند ساعة الاقفال في ذاك النهار بلغ هبوط المال المسلف الى حين الطلب الى ١٥ في المئة وكان فضل الفرج فيه عائدا الى تشارلز ميشتل. واتخذ هذا التدابير اللازمة في مصرفه للوفاء بوعده، وفي صباح الاربعاء ٢٧ مارس (اذار) طلب قرضاً بعشرين مليونا من مجلس الاحتياط الاتحادي في نيويورك، متحدياً بذلك مجلس الاحتياط الاتحادي في واشنطن، فلبى مجلس نيويورك طلبه بينما امتنع مجلس واشنطن عن التعليق، علماً أن الاموال ستوجه نحو تغذية السوق المالية. وهكذا عادت سوق الصعود الى صخبها المعهود.

وجلس الرئيس هوفر في واشنطن يصغي الى بللي دورانت. فحذره هذا من ان انهياراً مالياً واقع حتماً ما لم تكف يد مجلس الاحتياط الاتحادي وقال ان محاولات المجلس التحكم بالقروض المقدمة الى العملاء وبسندات الاعتماد هي السبب في ذلك. وتحدث دورانت باتزان مركزاً على الاحداث وساردأ تفاصيلها كما يراها هو، الى ان انهى كلامه قائلا: "والآن الامر بين يديك". لم يعلق الرئيس على الحديث، لكن دورانت خرج من عنده مقتنعاً بان مهمته كانت ناجحة.

ويوم الخميس ٣٠ مايو (ايار)، توجه البريطانيون الى صناديق الاقتراع في انتخابات عامة، وتجمهر الناس امام واجهة الرقم ١٠ من "داونينغ ستريت"، مقر رئاسة الحكومة يراقبون النتائج ويتكهنون بمصير الحكومة المقبلة: هل ستأتي حكومة جديدة ام يمدد لحكم المحافظين بقيادة ستانلي بلدوين؟ اما وزير المال في ذلك الوقت، ونستون تشرشل المشرف على الخامسة والخمسين من عمره، فقد صمم على زيارة امريكا في حال فشله في هذه الانتخابات. فتشرشل يملك اسهما امريكية ويحب الاطلاع المباشر على الاوضاع هناك. كذلك ان وجوده في امريكا يساعده بلا شك على التأكد من حقيقة المخاوف التي ابداها مونتاغو نورمان، حاكم "بنك اوف انغلند" اي البنك المركزي الانكليزي.

وفي النهار التالي، علم تشرشل بان حزب المحافظين خسر المعركة الانتخابية لمصلحة حزب العمال، وانه هو احتفظ بمقعده في المجلس. فاخذ يفكر جديا في السفر الى امريكا وباشر الاعداد لهذا الحدث.

وانعكس فوز العمال على بورصة لندن، فتدهورت اسعار الاسهم فيها وسعت المصارف البريطانية الكبرى الى سد الثغرات المالية.

وتنوعت ردود الفعل في اوروبا.

فعودة العمال الى الحكم بعد اقل من خمس سنوات، رافقتها لامبالاة في فرنسا وقلق في المانيا؛ ودهشة في ايطاليا وبلجيكا وهولندا. اما بورصات الولايات المتحدة فلم يحدث الخبر فيها اي تموج.

الغيوم المتلبدة

راح جيسي ليفرمور يفكر في وول ستريت من اعالي وكره الشاهق في "فيفث افنيو" فبدا له في ذاك اليوم الجميل من ايام الصيف، الثلثاء ١١ يونيو (حزيران)، وكأنه "مضخة عملاقة ماصة تستنزف رأس مال العالم بلا هوادة فيولد" هذا الاستنزاف السريع فراغاً في البلدان الاوروبية.

وكان عملاؤه اجروا، خلال الاسبوع الماضي، حملة جس نبض للسوق المالية في اوروبا وكندا بحثاً عن مؤشر يسمح بشن غارة اخرى على السوق. فتبين لهم ان الولايات المتحدة تبتلع الرساميل الاوروبية على نحو لا مثيل له، وان هذا الابتلاع جعل من وول ستريت، على حد" قول احدى المجلات الاسبوعية الانكليزية، "العاصمة المالية للعالم اجمع".

وعزا ليفرمور هروب رؤوس الاموال الى "ضعف الطاقة التجارية المتلبدة كالغيوم السود في سماء بورصات اوروبا"، وقد وجدت الاموال جاذباً في الاجواء الامريكية.

اكب ليفرمور مطولا على درس التقارير التي عرضها عليه معاونوه وانتهى منها مداعباً نفسه، على غير عادته، قائلا: "يسير التيار المائي الساخن في اتجاه واحد عبر الاطلسي، لكن التيار البارد يسير في الاتجاه المعاكس".

وفي المنازل طغت الاخبار والتقارير المالية على ما عداها من الصباح حتى المساء. واصبحت هذه الاخبار الرفيق الملازم لملايين الناس في امريكا الشمالية كما اضحت جزءاً لا يتجزأ من روتين حياتهم اليومية. وخصصت الصحف مجالات واسعة لجداول الاسهم ولوائح السوق الموزعة على مجموعات الصحافة المالية الموحدة.

بدا هذا كله، في نظر ليفرمور، طعماً للسمكات الصغيرة موجها الى صغار المستثمرين الذين "يجهلون تماماً لماذا يشترون ولماذا يبيعون". على كل، يظهر ان السمك الصغير لا يرفض الطعم على ما ورد في تقارير عملاء ليفرمور النشطين. فهم كدسوا جبالا من المقتطفات الصحافية التي تبين ان السوق نجحت في اغراء ابعد الناس عنها.

ويروي ان طاهية في احد منازل "فيفث افنيو" تركت عملها لان ارباب المنزل رفضوا تجهيز المطبخ بتلغراف خاص. وندبت احدى الارامل الثريات حظها لان سائق سيارتها تمنع عن خدمتها قبل ان تقفل السوق ابوابها. على ان ليفرمور اقتنع في سريرة نفسه بالمثل الشعبي السائر الذي يقول: "اشتر مما هب" ودب" تربح"، فجمع موظفيه وامرهم بأن يحللوا اوضاع السوق من خلال وجهة نظر جديدة. كما طلب منعهم ان يقارنوا اسعار البورصة الحالية في نيويورك باسعار المرحلة الاولى من السنة ذاتها، فاكتشفوا خسائر ضخمة تعرض لها عدد من ابرز الاسهم في السوق المالية، ووجدوا

كذلك ان اسعار اسهم شركتي "يو. اس. ستيل" و"دوبون" قد فقدت ٤٠ علامة خلال الشهرين الاخيرين ورأوا ان ما يزيد على ستين في المئة من ١٠٠٢ نوع من الاسهم مسجلة في جدول بورصة نيويورك تدهورت الى ما دون المستوى الذي كانت عليه في شهر ديسمبر (كانون الاول).

وبرز عامل آخر هو ان مجموع حسابات التوفير في انحاء البلاد مال نحو الانحدار، وذلك بعد ١٩ سنة من الازدهار. ان السحب المتزايد من الودائع، في اعتقاد صحيفة "كومرشيال اند فاينانشل كرونكل"، يعود، في معظمه، الى اغراءات الكسب في البورصة.

وتأكد لليفرمور، في ختام يومه، الظن الذي كان يخامره، وهو ان هذا الشكل الجديد من المقامرة قد امتدت عدواه بسرعة الى امريكا بكاملها.. وأوحى اليه حسه الغريزي بأن انقلاباً مفاجئاً في السوق بات اقرب مما كان سابقاً، ويعود ذلك الى وجود هذا الجمهور من الناس الذين انضموا الى اللعبة من دون توجيه او تهيئة. "فالسمك الصغير" هذا، تنقصه المزايا الاساسية التي تساعد المقامر المحترف على الصمود: اعصاب باردة وبراعة في استقراء الاحداث وقدرة على ضبط النفس "ساعة يهب الباقون هائمين كالمجانين في كل اتجاه". اما "السمك الصغير" فيرعبه اي تبديل في السوق.

وفي مستهل شهر يونيو (حزيران)، عوض المختلسون في فلنت، معظم خسائرهم وذلك على اثر المشتريات المتأخرة التي قاموا بها خلال شهر مارس (آذار). وهم انتقلوا من استثمار ناجح الى استثمار آخر مثيل بد، عن طريق تدوير قسم من الاموال المستعارة في صناعة الطيران والسيارات. وكسب هؤلاء، في ايام معدودة، ٤٠٠٠٠٠ دولار.

ونهار الاربعاء في ٩ يونيو (حزيران) تسربت الى احدهم، هارولد مور، كلمة سرّ مغرية، فوظف للحال قسماً من ماله في اسهم شركات المأكولات. وبعد يومين من هذا التوظيف، ذاع خبر مؤداه ان ج.ب مورغان وشركاه اعلنوا تأييدهم لعملية دمج قريبة بين عدد من الماركات المتزعمة صناعة المأكولات، فارتفعت للحال اسعار الاسهم التي اشتراها مور بنحو ٣٠ علامة. وهكذا، في نهاية الشهر، تمكنت جماعة فلنت من تعويض نصف قيمة المليونين ونصف المليون من الدولارات المختلسة. وادرك هؤلاء ان الطريق امامهم لا تزال شاقة، لكنهم رأوا ان استعادة مليون دولار ونيف، في سوق تستمر في الصعود، ليس بالامر المستعصي عليهم. فصرّح كرمت بيتت، وهو حذر في طبعه: "ان يوم الفرج آت لامحالة خلال شهر واحد او ثلاثة في اصعب الحالات".

اللعبة مفتوحة للجميع

جدّ شارلتون ماك فيغ، وهو احد المصرفيين العاملين في خدمة مورغان، مسرعاً، في اتجاه الباب الرقم ٢٣ في وول ستريت قبل ان يسبقه اليه احد من شركاء سيده. وبينما هو يعبر الشارع من رصيف الى آخر، وقعت عينه على جوزف كينيدي واقفاً في ظل كنيسة الثالوث الاقدس

وظهرت على الايرلندي ملامح انسان لذعته شمس حارة فبدا نحيف الجسم، رشيقاً يتمتع بحال من الارتياح بعيدة عن تلك التي وجده فيها ماك فيغ ذات صباح سابق على اثر الذل الذي انزله به معلمه جاك مورغان.

كان كينيدي أحد ابناء رجل اعمال وزعيم سياسي كاثوليكي في مدينة بوسطن، وقد جمع ثروة لا يستهان بها من الاعمال المصرفية، والانتاج السينمائي. ثم زاد على ثروته مالا فوق مال البورصة. لكن احداث بداية ١٩٢٩ اقلقته فقرر بيع اسهمه والانسحاب من البورصة. وقبل ان ينفذ قراره هذا، شاء مفاتحة مورغان في الامر. لكن مورغان رفض استقباله، مدفوعاً بعامل التعصب للمقاييس البروتستانتية التي تركزت عليها اركان مؤسسته.

اما اليوم فقد بدت دلائل العافية على وجه كينيدي معززة الاشاعات الرائجة في الاوساط المالية ومؤادها ان ابن بوسطن استسلم في الاونة الاخيرة لحياة اللهو والترف.

ان الرجل، على رغم حداثة نعمته، لا يزال منجذباً بالمراكز العليا والسلطة. وهو يدرك ان هذا لن يتم له ما لم يضع يده على ثروة ضخمة. وهو قصد وول ستريت صباح هذا الاربعاء ١٧ يوليو (تموز) وفي نفسه حاجة. قصده لكي يجس نبض سوق السندات المالية بعناية ويطلع بنفسه من دون وسيط، على الاوضاع ويصغي الى وجهات نظر ابرز المتحرفين القدامى هناك. وقد تنبه الى وجود مايكل ليفين الثري الكبير وصاحب اعرق مؤسسة للخدمات في المنطقة، فرآه يعبر دار "مورغان هاوس" من دون ان يعيرها اي انتباه، فلم يعجب للامر بل ردد في نفسه: "عاملوه في هذه الدار معاملة سيئة وليس كينيدي من الناس الذين يتناسون الاهانات بسهولة".

اظهر انداد كينيدي كرهاً مكشوفاً له، اذ انهم طالما وقعوا في فخ سحره من دون ان يدركوا ان وراء مداعباته يختفي انسان "له قلب لا يرحم وعقل ماض كحد الموسى" كما جاء على لسان جون. ج. راسكوب.

وراسكوب واحد من الذين غضوا النظر عن النهج العنيف التهجمي الذي يتبعه كينيدي في اعماله، فراح يردد ان هذا الايرلندي هو حصيلة البيئة التي عاش فيها. واسرّ ذات يوم للمصرفي جايمس ريوردان: "ان كينيدي يخفي وراء كلامه المعسول نفسية انسان ايرلندي من عامة الشعب". فابتسم ريوردان واعترض على هذا الكلام قائلا: "لو انه جاء على لسان شخص آخر غير راسكوب لكان صرعه ارضاً، اذ ان ريوردان من اصل ايرلندي كذلك وهو فخور بهذا الاصل".

استقبل الرجلان جو كينيدي بحرارة في احد مكاتب وول ستريت الذي يخص صديقاً لراسكوب يدعى ارتوركوتن. وظهر هذا كأحد ابرز المضاربين المستترين في وول ستريت. فمنذ ان تظهر له صورة في الصحف او يؤخذ منه تصريح. وهو باح يوماً لجيانيني: "ان ذكر اسمك في الصحف لا يرد عليك مالا".

عقد الاجتماع الرباعي في جوّ من الارتياح والبساطة. فتح الحديث

راسكوب ثم تبعه ريوردانفكوتن. وعرض الثلاثة امام كينيدي احداثاً ليست غريبة عنه واظهروا تفاؤلهم بالنسبة الى الوضع العام. لكنهم لم يقنعوا كينيدي، فبدالهان وجهةنظرهم التي تمثل وجهة نظر وول ستريت بالذات، ضيقة المدى وقد تكون ضحية الدعايات التي يخلقونها هم انفسهم. فتركهم وشأنهم وراح ينتقل من دار سمسرة الى اخرى، طارحاً الاسئلة ومصغياًالى الاجوبة عنها، فسمع الكلام نفسه الذي ردده عليه الرجال الثلاثة. وقيل له ان اسهم "دوبون" في ارتفاع، واسهم "يو.اس.ستيل" في ارتفاع ايضاً واسهم "كونسوليتداتد غاز" هي كذلك. وشعر بالتفاؤل يغمره من كل صوب.

وعند الظهر، وجد نفسه من جديد على رصيف وول ستريت. فتوقف امام الرقم ٦٠ واخذ يتأمل ماسح الاحذية بات بولونيا وهو مستغرق في قراءة "وول ستريت جورنال". فتسلق كرسيه المرتفعة وجلس فيها، ثم سأل الماسح: "كيف حال السوق يا بات؟" فأجاب: "انها مزدهرة، يا سيدي، مزدهرة جداً. هل انت في حاجة الى كلمة سر؟". فابتسم كينيدي وهز رأسه ايجاباً فتابع ماسح الاحذية: "اشتر اسهم البترول والقطارات الحديد. ان اسعارها ستنطحالسحاب. مر علي اليوم احد المطلعين على الامور من الداخل واخبرني".

ناول كينيدي الماسح ربع دولار وابتعد.

في تلك الليلة اسر جوزف كينيدي في اذن زوجته روز: "ان سوقاً مفتوحة لجميع الناس، يتنبأ بها ماسح الاحذية، ليست سوقاً مناسبة لجوزف كينيدي".

قنبلة بابسون

عند اقفال البورصة نهار الخميس ٨ اغسطس (آب) انتشر الخبر بأن مجلس الاحتياط الاتحادي سمح اخيراً لمصرف الاحتياط في نيويورك برفع معدل الحسم علامة واحدة، فأصبحت ٦ في المئة. وقد اجتاحت وول ستريت، على الاثر، موجة من "العويل والرعب" دامت حتى الجمعة حين لوحظ حدوث هبوط واسع في الودائع، لكن السوق استعادت جزءاً من عافيتها في صباح السبت. الا ان الناس ظلوا يتخبطون في حيرة متسائلين عن مصير السوق: وهل هي حقاً في انحدار. وراح الناس يتوافدون على وول ستريت من كل انحاء امريكا ليشهدوا ماذا سيحدث نهار الاثنين.

وفي الثامنة من صباح الاثنين، ١٢ اغسطس (آب)، توجه الى وول ستريت احد مديري ردهة البورصة وليم كراوفورد، وهو قدم الى الساحة ساعة قبل موعده، فلاحظ بعينه الخبيرة الحشود حواليه. وكان تجمهر في وول ستريت وحده آنذاك ما لا يقل عن الف شخص. وتوزع مثلهم في الشوارع القريبة مثل "ناسو" و"برود" و"وليم". ووقف حشد آخر بصبر وجلد امام الرقم ٥٥، على ابواب مصرف "ناشيونال سيتي بنك"، بينما توزع آخرون امام المصارف الباقية مثل "بنك اوف مونتريال"، و"بنك اوف يونايتد ستايتس". وقدر كراوفورد هذهالحشود كلها بخمسة آلاف شخص.

وفي التاسعة، وقف احد السماسرة توم براغ عند طرف الشارع برفقة يو. اي هوتون ميللر، المعروف بـ"هوت" بين اصحابه. وقف الرجلان امام دار السمسرة الشهيرة" يو. اي. هوتون" وشركاه التي اسسها جدّ "هوت". فاجال هذا بنظره في الشارع المكتظ بالناس ثم مال الى براغ سائلا: "ما رأيك لو نقلنا البورصة الى "يانكي ستاديوم (اكبر ملاعب نيويورك الرياضية)؟".

اخذ مايكل ليفين طريقه الى مكتبه، حيث يشرف على ادارة جيش من السعاة مؤلف من الفي شخص. فبدا له ان هذا النهار سيكون انشط يوم عرفه في حياته. ولفتته خصوصاً نوعية الناس المحتشدين في الساحة: ليس فيهم ما يدّل على انهم من اهل المال.

قضى ليفين نهاية اسبوعه يتدارس، على غرار سواه من محترفي السوق، الخطوة التي سيقدم عليها مجلس الاحتياط الاتحادي ويتساءل عن مدى مفعولها بالنسبة الى سوق الشراء التصاعدية. وبعد ساعة من النشاط، تبين له انه لا مجال الى القلق. ان رفع معدل الحسم، بعد جدل طال منذ شهر شباط، لن يولد اكثر من الحازوقة التي استولت على السوق خلال نهار الجمعة. وان الامور ستعود الى مجراها السابق، لا بل ستتحسن.

وفي الثالث والعشرين من يونيو (حزيران)، توصل كلارنس هاتري في لندن الى جمع قرابة ٩٠ في المئة من الاموال التي يحتاج اليها لشراء اسهم "يونايتد ستيل". ولكن ظلت تنقصه قيمة تقل عن مليون دولار، او، كما جاء على لسانه في ما بعد، "تلك الحصة الاخيرة المشؤومة". لقد استنفد جميع الموارد التي كانت في متناوله وتورط في عمليات لا تليق بأمثاله وهي من عادة المحتالين. ووقف وراء خطةمن الاحتيال تقضي باصدار "شهادات علاوة" وهي كناية عن ايصالات في شكل سندات، تشير الى مال مقبوض، كانت تستبدل لاحقاً في الظروف الطبيعية بسندات صحيحة. وهذه الشهادات التي تتناول كميات ضخمة من المال، حملها عملاء هاتري الى المصارف واستودعوها اياها في شكل ضمانات تسليف. وهكذا اصدروا خلال ستة اسابيع ما توازي قيمته مليون جنيه استرليني.

وادرك هاتري ان الوقت لن يطول حتى يبدي اصحاب المصارف شكوكهم في شهاداته الوهمية. فحاول في بداية الامر التعامل مع وول ستريت من اجل سدّ عجزه المالي، فرفض الامريكيون الذين اتصل بهم التسليف الفوري للمال المطلوب، اذ انهم كانوا يراقبون حزب العمال وتصرفاته في معالجة شؤون الاقتصاد البريطاني المتراخي. فاضطر هاتري للتوجه الى كبرى دور المال في اوروبا. واستمرت محاولاته الاوروبية حتى ٣١ سبتمر (ايلول). وقد واجه تردداً في التعاون مع بلاد لم يصدر عنها الا النذر القليل من اشارات الانتعاش في ظلّ الاشتراكية. فعزم هاتري القيام بخطوة جريئة فلجأ الى مونتاغو نورمان، حاكم "بنك اوف انغلند"، الرجل الوحيد في عرفه القادر على انتشاله من ورطته. فاستقبله نورمان بلطف، وقال له،

بعدما استمع اليه: : "اني آسف للمشاكل التي تعترضك، واني اعتقد انك دفعت ثمناً غالياً لشركات الحديد التي تنوي شراءها". فأكد له هاتري ان الدمج الذي يقوم به "يلاقي الدعم الكامل والدعم التام من سلطات مدينة لندن".

فأجاب مونتاغو: "من الواضح ان واقع الامور يناقض قولك، والا لما كنت هنا الآن". فسأله هاتري: "هل هذا يعني انك لن تمد الي يد المساعدة". فأجاب مونتاغو جازماً: "اجل لن اساعدك". فخرج هاتري من "بنك اوف انغلند" شارد الافكار معقود اللسان.

وفي السادس والعشرين من اغسطس (آب) اشترى مختلسو "يونيون اندستريال بنك" في فلنت، اسهما للقطار الحديد بقيمة عشرة آلاف دولار، ثم بعد يومين باعوها بربح ملحوظ، ولم يعد ينقصهم لاستعادة المليونين ونصف مليون من الدولارات "المستقرضة" من مصرفهم سوى ٦٠٠٠٠ دولار، فبدا لهم ان ازمتهم هي في طريق الانفراج.

قبع جيسي ليفرمور في مكتبه في الطابق الثامن عشر من "فيفث افنيو"، مستسلماً لحسه الخاص الذي كان ينبئه بأن الاحداث تسير نحو "مرحلة حاسمة". ثم استدعى موظفيه ووعدهم بمكافآت اضافية اذا هم تمكنوا من تقديم البراهين الملموسة لحدسه هذا.

قنبلة الانذار الاولى وردت من وراء الاطلسي وتفجرت في مكتبه. فبعد ظهر الاربعاء ١٤ سبتمبر (ايلول).

روت الاخبار ان مسؤولا كبيراً في "بنك اوف انغلند" نشر اشاعات معينة حول محاولة يقوم بها مونتاغو نورمان، حاكم المصرف لايجاد المبررات اللازمة لرفع معدل الفائدة قبل نهاية الشهر. فاذا صدقت هذه الاشاعات، فذلك يعني ان الاموال المخصصة لسوق وول ستريت ستتحول في طبيعة الحال الى لندن، تاركة وراءها تاثيراً سيئاً على السوق الامريكية.

وجاء في الاخبار مقطع آخر جدير بالتأمل والاعتبار، يقول ان كلارنس هاتري في ورطة جدية مع ادارة الضرائب.

عاد ليفرمور الى مكتبه باكراً في الصباح التالي، قبل ان يعود موظفوه المنهكون الى حساباتهم المعهودة. وفي الساعة الثامنة، تحدث الى احد مراجعه في بوسطن فذكره هذا بأن الجمعية الوطنية للتجار تقيم في هذا النهار مأدبة غدائها السنوية وبأن خطيب هذه الحفلة سيكون روجير بابسون الاقتصادي الذي كانت له نظرة متشائمة الى السوق، خلال السنتين الاخيرتين.

عند الظهر، وضع ليفرمور اللمسة النهائية على مخططه واستعان بثلاثين وسيطاً فقط للمحافظة على سرية المخطط ثم شن غارة من البيع المخفض الاسعار باسهم تساوي ٣٠٠٠٠٠ دولار.

وفي الثانية عشرة والنصف، نقلت "اسوشييتدبرس"، على آلاتها المنتشرة في انحاء البلاد، خبراً خاطفاً يتعلق بخطاب بابسون. قال الخبر: اقتصادي يتنبأ بانهيار في

سوق السندات المالية يراوح بين ٦٠ و٨٠ علامة". وفي تلك اللحظة، تأهب وليم هوتون ميللر لتلبية دعوة متأخرة للطعام، فسقط الخبر كالقنبلة على مكاتب شركته، واخذت المكالمات التلفونية، تنهال عليه من الزبائن المطالبين بالبيع.

اقفل جون راسكوب باب مكتبه في "بارك افينو"، ثم القى نظرة على الحجرة التي تضم آلة التلغراف وما ان استقرت عيناه على شريطها الاخباري حتى هرع نحو مكتبه من جديد.

وفي الثانية من بعد الظهر، اصدر البروفسور في جامعة "يال" ارفنغ فيشر، ردا معتدلا على قنبلة بابسون، نقلته صفحات "الهارولد تريبيون" واستبعد فيه حصول انهيار مرتقب، فانتقل الخبر الجديد بدوره الى خطوط التلغراف.

تابع ليفرمور عملياته في البيع باسعار مخفضة حتى ساعة اقفال البورصة. فهبطت ارقام مؤشر جريدة "نيويورك تايمس" عشر علامات، وتدهور عدد وافر من الاسهم الفردية بنسبة اكبر. فبلغ عدد الاسهم المتداولة ذاك النهار، ٥ ٥٦٥ ٢٨٠ سهماً.

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر، اخذ رد البروفسور فيشر يزداد انتشاراً في البلاد، فادرك ليفرمور ان السوق ستعود لتجمع قواها في اليوم التالي. فدعا موظفيه واحاطهم علما بأنه سيعمل، في الساعات الاولى من الصباح، على تغطية موقفه في البيع باسعار منخفضة.

كان ليفرمور على صواب. فقد سلكت الاسهم طريق الربح، منذ الساعة الاولى من نهار الجمعة ٦ سبتمبر (ايلول) واستعادت غالبية الخسائر التي لحقت بها بالامس. "وعاد كل شيء الى حاله السابقة" كما جاء على لسان بات بولونيا، ماسح الاحذية المتفائل، خلال النهار اللاحق، اي السبت وهو النهار نفسه الذي وصل فيه ونستون تشرشل الى الولايات المتحدة.

وصباح الخميس ١٩ سبتمبر (ايلول)، دخل كلارنس هاتري برفقة ثلاثة من مديري امبراطوريته المكتب الفسيح الذي يملكه السيد غيلبرت غارنسي، احد ابرع المحاسبين القانونيين في لندن. وكانت ادارة "لويدز بنك" كلفت غارنسي التحقيق في قدرة شركات هاتري على توفير ضمانات اعتمادية. وكان هاتري اتصل في اليومين الاخيرين بـ "لويدز" في محاولة اخيرة يائسة للحصول على الاموال الضرورية لشراء "يونايتد ستيل" بغية الحفاظ على مصداقيته بين الناس ورد الخطر عن امبراطوريته الواسعة. لكن محاولاته قوبلت بالرفض، عندها فهم هاتري ان ساعة نهايته قد دقت.

جلس غارنسي يستمع الى اعترافات هاتري وكأن على رأسه الطير. فاقرّ هاتري بانه ارتكب جرائم فادحة وان الديون المتراكمة على شركاته بلغت ١٩ مليون جنيه استرليني، بينما اصولها لا توازي اربعة ملايين.

وفي ختام حديثه، وعده غارنسي بأنه سيتوجه تواً الى "بنك اوف انغلند" لمقابلة مونتاغو نورمان، علـه يجد معه وسيلة لتجنب الكارثة. لكنه

لم يلبث ان عاد متجهم الوجه وصرح ان وساطته قد فشلت. ثم اضاف، موجهاً كلامه الى هاتري وشركاه، "ايها السادة، لي نصيحة واحدة اعرضها عليكم. سلموا انفسكم الى العدالة".

في اليوم التالي، دخل جميعهم السجن.

هزة مالية

في التاسع عشر من شهر سبتمبر (ايلول)، تواعد مختلسو فلنت على الاجتماع في قاعة المجلس ليلاً. فقد نزلت عليهم "قنبلة بابسون" كالصاعقة، وقفزت بخسارتهم من ٦٠٠٠٠ دولار الى ٣٠٠ ٠٠٠ دولار. وسبق ان حدث انهيار قاطع في السوق في العاشر من الشهر ذاته، فضربوا به وخسروا قرابة ٤٠٠ ٠٠٠ دولار.

قامت القيامة في صفوفهم تلك الليلة، واستولى "الرعب الشديد" عليهم جميعاً، فلم يعد كرمت بيتت يذكر تماماً ما جاء على لسان رفاقه، لكنه يعلم ان كل ما قالوه كان مجرد هذيان. واستقر رأيهم، قبل ان يتفرقوا على ان لا مفر من متابعة العمليات الاحتيالية.

في هذا النهار اتهم كلارنس هاتري في لندن بالاحتيال بمبلغ ٢٧ مليون دولار.

ومساء الاحد ٢٢ سبتمبر (ايلول)، فتح ليفرمور صفحات مخطوط لكتاب جد في تأليفه واخذ يقرأ على مسامع زوجته: "العلة والمعلول يتفاعلان انطلاقاً من الاقتصاد الى السندات المالية، وليس العكس. ان اقتصاداً متقلباً تهزه كل الاحداث "المتنوعة" والتي تبدو في ظاهرها وكأنها غريبة عنه". ثم اضاف: "ان انهيار امبراطورية هاتري يدخل في اطار هذه النوعية، فاذا صدق ان التملك المضلل تناول كميات ضخمة من المال، فان ذلك قد يسبب موجة من التصفيات قادرة على ان تزعزع ليس فقط بورصة لندن وغيرها من اسواق السندات المالية المتأثرة بها، امثال شانغاي وجوهانسبورغ وسيدني ومونتريال وتورنتو، بل كذلك بورصة نيويورك بالذات.

ترقب شارلتون ماك فيغ انفضاض الاجتماع الباكر الذي عقده شركاء مورغان، فطال الاجتماع اكثر من المعتاد. وعلم شارلتون، كما علم غيره من الموظفين، ان الشركاء جاؤوا خصيصاً في ساعة مبكرة للتجمع حول مكتب توماس لامونت. وشاع خبر بأن رسالة خطيرة وصلت المجتمعين من جاك مورغان، الموجود حاليا في لندن لدرس وتقويم ردات الفعل الممكنة لسقوط هاتري. اما حقيقة الامر فلن يدري بها احد سوى الحلقة الانيقة من الرجال الملتفين في هذه اللحظة حول توماس لامونت، ولن يطلع احد غيرهم على تفاصيل جلستهم هذه، لان السياسة المتبعة في "مورغان هاوس" تمنع تدوين محاضر لمثل هذه الجلسات. بقي امر واحد وثق الجميع به، كما يدعي جاك مورغان في وقت لاحق، وهو ان سقوط هاتري اثر تأثيراً مباشراً على جميع الاحداث التي جرت هنا.

صباح الثلثاء ٢٤ سبتمتبر (ايلول)، قاد جو غارسيا سيارة معلمه، محاطا بصمت نادر. فأخذت السيارة طريقها

بين سان ماتيو وسان فرنسيسكو، فقبع فيها اي· بي· جيانيني متحدباً بقربه، وجلست ابنته كلار صامتة في المقعد الخلفي من "الرولز رويس"·

ان الضربتين اللتين اصابتا السوق في بداية الشهر اقلقتا جيانيني· وقد تحدث هذا الى اخيه اتيليو ـ المعروف بـ "الدوك" بين افراد العائلة ـ في نيويورك، حسب عادته، فاخبره "الدوك" بأن عدداً من التجار المضاربين على الهبوط ظهر في الساحة وان بعضهم اخذ يشيع عن حدوث "هزة" قريبة في السوق·

ولما وصل جيانيني الى فرع "بنك اوف امريكا" في الحي الصيني في سان فرنسيسكو تلقى مخابرة اخرى من "الدوك" في نيويورك يقول فيها: "لقد حدث تزعزع مفاجيء في السوق· اننا نغرق"·

ان السرعة التي تم بها هذا التزعزع اخذ جيسي ليفرمور على حين غرة· فاذا بالسوق تعلو لحظة، ثم تتدهور في الاخرى· فجمد في مكانه يتفرس في تلغرافه يسجل مراحل هذا التقلب، فالانهيار· وعزا ليفرمور ما حدث الى ازمة هاتري· لكنه لبث مقتنعا بوجود "قوى" اساسية اكثر خطورة من هاتري تتمخض كأنها في اجهاد شبيه باجهاد الهزات الارضية· فكل العلامات، في نظره، اشارت فعلا الى ان هزة مالية هائلة، على مثال الهزة الارضية، ستحدث في القريب العاجل·

اشاع هذا التزعزع جواً من الكآبة في اجواء المختلسين الخمسة عشر في "يونيون اندستريال بنك" في مدينة فلنت· فخلال اقل من شهر، انهم "اقترضوا" وخسروا معا مبلغ مليون ونصف مليون دولار·

ان ازمة كلارنس هاتري لم تترك لبعض المضاربين الكبار في السوق سوى مخرجين، اما الانسحاب التام من اللعبة، واما البيع باسعار مخفضة ففي مساء الثلثاء، بدأ الخبير المالي برنارد باروخ "يبيع كل ما وقعت عليه يده"· وتشبه به ابنه، وهو من الوسطاء الشبان الطالعين، فتخلص من اسهمه· وتنازل السمسار القديم العهد ميشال سي· بوفييه، وهو في الثانية والثمانين من عمره، عن جميع الاسهم العادية التي ضمتها حقيبته· وضاهاه ابن اخيه جاك بوفييه، الاختصاصي في المركز الرقم ١١ من البورصة ووالد طفلة ولدت قبل شهرين، فحول معظم اسهمه الى اموال نقدية·

اما جوزف كينيدي فقد ظل راسخاً في موقفه متربصا ساعته·

وصباح الاربعاء ٢٥ سبتمبر (ايلول)، قبل افتتاح السوق النيويوركية، نقلت البرقيات خبر الاجتماع الذي ينوي عقده حكام "بنك اوف انغلند" وقالت مصادر موثوق بها "ان الحكام قرروا التذرع بسقوط هاتري وبتدني احتياط الذهب، لرفع معدل الحسم· في الساعتين الاولى والثانية من السوق، تدفقت طلبات ملحة للبيع· ثم وصلت اخبار اخرى سيئة من لندن: قيمة الجنيه الاسترليني ترتفع مما دل على ان الرساميل ستهجر بقية البلدان، بما فيها الولايات المتحدة، وتتوجه نحو لندن طمعا في الفوائد المرتفعة المرتقب دفعها في بريطانيا· فتدهورت للحال اسعار الاسهم·

وفي اليوم التالي، رفع "بنك اوف انغلند" معدل الحسم الى ٢/١ ٦ في المئة، اي بزيادة نصف علامة على معدل نيويورك. فلم يصدر على هذا القرار اي تعليق رسمي من بورصة نيويورك او غيرها من البورصات في الولايات المتحدة، على ان السوق بقيت على حالها طوال النهار وارتفعت اسعار بعض الاسهم بنسبة معتدلة. لكن المصارف المركزية في النمسا والدانمرك واسوج والنروج وايرلندا،لم تنتظر اكثر من ٤٨ ساعة كي ترفع هي ايضا معدلات الحسم لديها.

البداية

لم يكف جون راسكوب، المتفائل الدائم، عن الحديث مع ضيوف الغداء عن الاسباب التي تحمله على التمسك بالمضاربة على الصعود.ومالت عيناه من طرف المائدة الى طرفها الآخر وتنقلت من بللي دورانت الى ارتوركوتن فالى جامس ريوردان وبرسي روكفلر والاخوة دوبون واوريس ومانتس فان سوارنفن، اصحاب امبراطورية شركة ضمان القطار الحديد حتى استقرّتا في النهاية على وليم لامب المهندس المختار لبناء "امباير ستايت بلدينغ".

وقال راسكوب: "ان عوامل قوية تتحرك، وتنظر الى وول ستريت" نظرة غير ودية، مما يؤثر مباشرة على مسلك السوق. فالخطأ كل الخطأ ان نتجاهل، من جهة هذه "العوامل" ومن جهة اخرى، هذه النظرة. ان الموقف الصحيح يقوم على مواجهة الاثنين وعلى محض السوق "ثقة ايجابية".

ثم اشار الى وليم لامب، فغادر الاثنان الغرفة ثم عادا حاملين نموذجا يمثل "امباير ستايت بلدينغ". فقال راسكوب: "ايها السادة، اليكم صورة عن رهاني، نصباً للمستقبل". واوضح ان: "ناطحة السحاب ترمز الى امريكاالتي اؤمن بها - هذه البلاد التي نطحت السحاب في حين حافظت على اقدامها في الارض". المشروع ضخم وتكاليفه باهظة، لكن تحقيقه ممكن "لان الايمان بالمستقبل، المنعكس في السندات المالية، سهّل علينا مهمة جمع المال له من دون صعوبة".

وعاد لامب الى الكلام فذكر ان طلبات البناء قد وجهت الى كل المصانع في مدينة بيتسبورغ من اجل الحصول على ٦٠٠٠٠ طن من الحديد، اي ما يوازي مدّ خط حديد يربط نيويورك بمدينة بلتيمور، وستزين البناء ٦٥٠٠ نافذة، وترفعه عن الارض عشر ملايين قرميدة يكسوها ٥٥٠٠ متر مكعب من الكلس. وبدأت المعامل، قبل اشهر من موعد التسليم، تجدل ١٥٠٠ كيلومتر من القضبان الحديد الضرورية لحمل ٧٣ مصعداً كهربائياً تقوم على ممرات رأسية لا يقل طولها عن ١١ كيلومتراً.

هزّ الضيوف رؤوسهم باعجاب وقد اعتاد معظمهم المشاريع الضخمة. وانتصب راسكوب واقفاً الى جانب النموذج وقال: "ايها السادة، ان الوطن الذي يستطيع ان يوفر الرؤيا والمال والشعب لبناء نصب على هذه الشاكلة، لا يحق لنا ان ندعه ينهار بسبب غياب دعم امثالنا له".

وقد لاقى كلامه آذاناً صاغية.

وفي التاسع عشر من اكتوبر (تشرين الاول). بدأت السوق تتزعزع بعد دقائق من افتتاحها. وخلال ساعتين من النشاط، شهد بعض الاسهم هبوطاً بنحو اربعين دولاراً. وما ان تسقطت آذان مختلسي "يونيون اندستريال بنك" هذه الاخبار حتى استولى عليهم الرعب مرة اخرى فراحوا يرفعون الصلوات الى رب السماء كي يشفق عليهم ويقوم حركة السوق. لقد ادركوا الآن ان ثرواتهم وثروات العديدين غيرهم من الناس عالقة بهذا الامر.

وبعد اربعة ايام، تدهورت الاسعار مجدداً وسجلت الاسهم هبوطاً مفجعاً. فهبط سعر سهم شركة "ادامس اكسبرس" ٩٦ دولاراً و"كومرشال سولفانتش" ٧٠ دولاراً و"مصاعد اوتيس" ٤٣ دولاراً و"وستنغهاوس" ٣٥ دولاراً و"جنرال الكتريك" ٢٠ دولاراً. وارتفع عدد الاسهم المبيعة حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر الى ٩٦٠ ٣٧٤ ٦ سهماً، مسجلا الرقم القياسي الثاني في تاريخ البورصة.

كانت هذه البداية.

الخميس الاسود

عصا النوم على جفن كرمت بيتت فهجر فراشه ودقت الساعة السادسة والنصف من صباح الخميس ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول). وبقي هذا التاريخ محفوراً الى الابد في ذاكرة كرمت. خارج منزله، تكدست الثلوج التي تركتها وراءها عاصفة مرت على المدينة. وتعطلت الخطوط التلفونية فقطعت فلنت عن العالم.

وكانت الاذاعات الثلاث كرست في الليلة السابقة، وقتاً طويلا من برامجها لاخبار الهبوط الذي دهم السوق خلال النهار، وحققت اذاعات ديترويت تغطية واسعة واوردت تفاصيل انهيار اسهم صناعة السيارات. وجاء في هذه الاخبار ان "جنرال موتورز"، وهي الشركة الصلبة كالصخر، لم تخل من التزعزع على اثر الصدمة. ان المكالمات التي انهالت على بيتت حول اوضاع "جنرال موتورز" هي التي حرمته النوم تلك الليلة. والسبب انه هو ورفاقه وظفوا "جبلا من المال" في هذه الشركة، قبل هبوط نهار الاربعاء بفترة قصيرة. وعاد الى ذاكرته الذعر الشديد الذي لمسه في اصوات رفاقه الثلاثة - ابوّت بريد وروجير مايز وايريك تومسون، الوحيدين الذين يملكون في منازلهم خطاً تلفونيا، فعلت هذه الاصوات الى حدّ الهستيريا. وصرخ بريد من جهته: "انها الكارثة" وردد تومسون: "اننا ندفع ثمن خطايانا".

قفل هوتون - ميللر راجعاً الى وول ستريت في الساعة السابعة والنصف من الصباح، بعد ست ساعات فقط من مغادرته له، واكب من جديد على العمل الشاق الذي اضطره الارهاق الى وقفه في ساعات السحر من يوم الخميس هذا. وهو في طريقه الى مكتبه، لفتته الجموع المحتشدة امام ابواب المصارف وغرف العمليات الخاصة بالزبائن. انها صفوف طويلة من البشر لم يشهد لها مثيلا. وكان هناك حشد من الرجال والنساء يسد مدخل دار "هوتون". وعندما بان "هوت" لاحد الحرس اخذه هذا بيده وقاده الى الداخل. وهنا تصاعدت

صيحات غضبه وتذمر وقال هوتون: "انني امثل واحداً من هؤلاء الذين يعملون على تحطيم احلامهم".

الساعة ٩،٤٥ صباحاً، وقف جون راسكوب الى جانب جهاز التلغراف وردد في نفسه: "انني غارق حتى رأسي في السوق، ان حياتي وحياة عائلتي، ان مستقبلي ومستقبلها... كلنا تحت رحمة ما تطل به علينا هذه الآلة من اخبار".

ونهيأ لبات بولونيا، ماسح الاحذية، ان الصمت في اجواء وول ستريت ينطوي على ترقب كبير. فقال: "جمد الناس في ارضهم وانظارهم عالقة بالبورصة. فجاء صمتهم شبيهاباللحظةالتي تسبق الانطلاق في السباق الكبير. بقيت الدقيقة الثالثة بعد العاشرة مشدودة الى بال "هوت" اذ سمع فيها صوتاً هائجاً يسقط كالصاعقة بين جدران الشركة ويصرخ: "السوق تبيع وتشتري بضخامة وانتعاش".

وهذا ما حدث فعلا، ففتحت السوق ابوابها بانتفاضة خاطفة.

عادت اسهم "كينكت كوبر" فارتفعت اسعارها ١١ دولاراً في عملية تناولت ٢٠٠٠٠ سهم، بعدما كانت عرفت سقوطاً قبل اقفال نهار امس. وسجل سهم "سنكلير اويل" ربحاً مقداره نصف دولار في عملية تناولت ١٥٠٠٠ سهم واستعادت "ستاندارد براندز" ٤٠ سنتا في السهم الواحد. فتوجه "هوت" الى طاولة العمليات، ذاك المكتب الضخم المغطى بآلات الهاتف، ودار عملاؤه حوله في عجز ازاء تفاقم المخابرات غير المنقطعة.

والح العديد من الزبائن على تمديد مواعيد التسديد، بعدما اظهرت السوق بوادر العافية. وفي الدقيقة العاشرة من الساعة العاشرة جاء طلب بيع يتناول ١٣٠٠٠سهم لشركة "باكارد موتورز"، فتضاعفت الآمال بهذه العافية المستعادة. وصمدت الاسعار خلال الخمس عشرة دقيقة التالية.

وفي العاشرة والنصف تقريباً، عادت الخسارة فظهرت لدى "جنرال موتورز" بنسبة ثمانين سنتاً للسهم وتناولت هذه العملية ٢٠٠٠٠ سهم. وبعد اربع دقائق تناول "هوت" هاتفاً بقربه فطرق سمعه صوت يائس يطلب القبول بالبيع باي سعر معروض، ويردد باعلى حنجرته كلاماً تناهى الى اسماع سائر دور السمسرة: "بيعوا، بيعوا بسعر السوق".

وفي الحادية عشرة والنصف، ضاعت الطاسة بين الموظفين العاملين في البورصة فالقوا جانباً المراسم التقليدية المفروضة عليهم. فالاصول المرعية تحرّم عليهم "ان يركضوا او يشتموا او يتدافعوا او يتنقلوا من دون ستراتهم". فاخذ معظمهم في تلك الفترة يركض ويشتم ويتدافع ويتنقل بدون سترات. واستولى الرعب على الردهة وتفاقمت الفوضى مع ورود اخبار الشؤم على شريط التلغراف.

تسمر وسطاء المركز الرقم ١ حول منضدة العمل تضغط عليهم حشود تمكن منها انفعال شديد. واحاط باوليفر بريدجمان، الاختصاصي بشركة "يو. أس. ستيل" جمع صاخب يلوّح بأيديه مهدداً.

وفي هذه الفترة، اطل ونستون

تشرشل على الردهة من شرفة الزائرين. وهو كان قدم الى وول ستريت في الساعة التي عرف هذا الشارع ذروة الرعب. وشاء ان يراقب "حركة فيه من هذا المكان المفضل. واستيقظت فيه للحال نفسية المراسل الصحافي، الذي يسجل كل ما تقع عليه عيناه من معلومات شائقة فيجمعها في سلسلة من المقالات نوى ان يخص بها صحيفة "الدايلي تلغراف" اللندنية. فراح يراقب مسرح الاحداث باعصاب هادئة، وقد الفت نفسه مواجهة المواقف العصيبة، فتبين له "ان ما يراه يدل على هدوء عجيب وانضباطية (...) يراهم هنا يعرضون على بعضهم البعض جبالا ضخمة من السندات باسعار توازي ثلث اسعارها السابقة ونصف قيمتها الحاضرة ويقفون منتظرين دقائق طويلة فلا يجدون من تميز بالمناعة الكافية للاستيلاء على ثروات اكيدة فرض بيعها".

عاد ونستون تشرشل من زيارته الى وول ستريت من دون ان يتصدع ايمانه باميركا. فمهما كانت الانطباعات التي حملها معه في شأن تدهور السندات المالية الاميركية، فانه صمم على كبتها.

وفي الثانية عشرة والدقيقة العشرين، كتّف شارلتون ماك فيغ يديه وتوقف عن العمل عاجزاً، وانصرف مع رفاقه لمراقبة تسلسل الاحداث خارج "مورغان هاوس"، اذ لم تعد الجدران الغليظة التي تصون حرمة هذه الدار قادرة على تغطية الضجة الناقمة المتصاعدة من الحشود المزدحمة على ابواب البورصة.

دخل تشارلز ميتشل، الرئيس الجديد "لناشونال ستي بنك" على "مورغان هاوس" من دون سترته، فاستغرب الوسطاء الشبان الامر المناقض للاصول ورأوا في ذلك دليلا قاطعاً على "ان الاوضاع لا بد انها اصبحت سيئة حقاً". وتفاقم استغرابهم لما اطل عليهم غيره من الشخصيات المالية المرموقة التي توافدت على مكتب توماس لامونت. وكتبت الـ"نيويورك تايمس" في وقت لاحق ان هذه المجموعة البارزة من اهل المال "كانت تمثل ما يفوق ٦ مليارات دولار من الموارد المصرفية الموحدة"، ولا تدخل فيها الثروة الطائلة التي يحتويها "هاوس اوف مورغان".

وتسرب الخبر بان لامونت وزملاؤه اسسوا، على اثر تداولهم، تجمعاً تجارياً لشركاتهم اودعوا صندوقه المشترك ملايين الدولارات، فشاؤوا بذلك "ان يوفروا للسوق حالا من الاستقرار". اما حجم الودائع التي دخلت الصندوق المشترك فكان يتبدل لدى انتقال اخباره من شفة الى شفة ومن مكتب الى آخر. لكن قيمتها الفعلية دارت حول رقم الخمسين مليوناً الذي وضع حالا قيد الانفاق.

وفي الاولى والنصف، دخل الردهة نائب رئيسها ريتشارد ويتني فتوقف امام المركز الرقم ٢، وهو نزل الى الردهة بصفة الوسيط الموفد من التجمع التجاري الجديد. فرفع صوته عالياً وسأل بريدجمان عن الثمن الاخير المعروض لسهم "ستيل" فاجاب هذا: "١٩٥". فقال ويتني: "سجل طلبا بعشرة آلاف دولار بسعر

٢٠٥"، وللحال خيم صمت على الردهة ثم تفجرت الحناجر ابتهاجاً حول الرجل· وواصل ويتني تنقله من مركز الى آخر يسجل الطلبات الكبيرة ويرافقها بابتسامة عريضة انارت وجهه ونقلت عدوى الثقة الى قلوب الاخرين، فظلت الاسعار محافظة على ثباتها· وكان ويتني في تلك الاثناء ينفذ التوصيات التي تلقاها من التجمع المؤسس بدعوة من لامونت بالذات· وهو انفق ملايين من الدولارات في دقائق معدودة·

وفي الثانية بعد الظهر، تبين لكرمت بيتت ولرفاقه ان خسائرهم تقدر بمليوني دولار وان المخارج كلها سدت في وجوههم· ورأى كرمت ان الوقت حان له ولرفاقه لوضع حد نهائي لعملياتهم· وطالبهم بذلك ملحاً فرفضوا التجاوب معه هازئين به·

وفي السابعة والدقيقة الثامنة مساء· اي بعد ٢٤٨ دقيقة من ذلك، توقفت آلة التلغراف عن تسجيل اخبار النهار وجاء فيها ان الوسطاء تداولوا يومها ٩٧٤ صنفاً من الاسهم خلال فترة من الانهيار ضربت رقماً قياسياً في عدد الاسهم البالغ ١٢٨٩٤٦٥٠ سهماً، وانقلبت فيها خسائر الصباح الى تحسن ملموس في الساعات المتقدمة واقفلت السوق في جو من الارتياح·

وسجلت الآلة الاسعار الاخيرة، ثم الحقتها بخبر وجيز مؤداه ان ممثلي ٣٥ من اضخم شركات وول ستريت اصدروا بياناً مشتركا جاء فيه: "ان السوق متينة في اساسها وانها، من الناحية الفنية، في حال افضل من اي

حال سابقة"٠ وانتهى البيان بكلمات ظلت عالقة في البال: "ان الاسوأ قد زال"٠

نذير شؤم٠

وفي التاسعة والنصف من اليوم التالي تجمع الناس في صف طويل امام مدخل البورصة حيث توافد السماسرة، فبدوا في نظر احد الصحافيين الحاضرين كأنهم "جنود قتال جددوا عزيمتهم وتأهبوا للعودة الى الخط الامامي من المعركة، مدركين انهم لن يخرجوا جميعاً سالمين منها وعازمين على البقاء احياء مهما كلفهم الامر٠ فكما ان الحروب تكسب في النفوس اولا، هكذا هي الحال في مناسبات الذعر المالي"٠

وفي دقائق قليلة حل الارتياح محل التوتر، اذ ظهرت الاسعار الاولى تشير الى ارباح فورية - وان تكن زهيدة - في عدد كبير من الاسهم٠ فكانت بادرة خير للنهار، وهي حملت العاملين في البورصة على الايحاء بأن الازمة روضت بنجاح٠

في الساعات الاخيرة من مساء الجمعة أكب "هوت" وموظفوه على درس الخسائر٠ فخلصوا الى النتيجة القاضية باقفال مئات الحسابات، بعضها كبير ومعظمها ضئيل٠ وبدأ هؤلاء الموظفون اتصالاتهم بالزبائن يطلعونهم على الوضع فيسمعون منهم الشتائم لانهم لم يبيعوا اسهمهم في الوقت المناسب٠ فكانت تلك المهمة جحيماً بالنسبة اليهم٠ وادرك "هوت" الطيب القلب ان " هذه الاتصالات ستترك وراءها سحابة طويلة من البؤس البشري"٠ لكن اشغاله الكثيرة والارهاق الذي تملكه لم يسمحا له



بالتوقف عند مثل هذه الاعتبارات الانسانية. فانهى ليلته الثانية على فراش بارد في غرفة فندق كئيبة.

وقبل ان تفتح السوق ابوابها صباح السبت حملت الصحف الى قرائها مزيداً من اخبار الارتياح التي صدرت عن رجال المال البارزين في البلاد. وظلت السوق باهتة، لا جديد فيها، خلال الفترة الوجيزة من نشاط السبت، وسجلت الاسعار هبوطاً طفيفاً.

واقبل نهار الاثنين في ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) يلف المنطقة المالية بجو من التفاؤل. وتوجه الآف القادمين الجدد والمتفرجين الى وول ستريت، وقد حمل بعضهم مالا للاستثمار. وكثرت الاشاعات بأن جبالا من طلبات البيع تكدست فوق مكاتب الوسطاء خلال نهاية الاسبوع.

غير ان مايك ميهان رفض المشاركة في هذه الحماسة. انه لا يدري الى اي حدّ ينوي رجال المصارف تزويد السوق بالمال، انما يدري ان الوضع في خطر اذا ما توقفوا عن ذلك. فصرف همه الى شؤون شركة "الراديو".

وتفجر الوضع في اللحظة التي توقف طنين مطرقة وليم كراوفورد على جرس البورصة معلناً بداية النهار. اذ افتتحت "يو. اس. ستيل" سوقها بسعر ٢٠٢،٢٥ دولار للسهم، اي بأقل من ١،٢٥ دولار عن سعر السبت. وخسرت "انترناشونال تل اندتل" ٣ دولارات و"جنرال الكتريك" ٧،٥٠ دولارات في السهم الواحد. وتأخر التلغراف في اخباره، فبدت الدلائل تشير الى ان شبح "الخميس الاسود" يطل من جديد.

وفي العاشرة والنصف انهارت اسهم "ستيل" وتعدت الحدّ الاسطوري ٢٠٠. ولحق بها عدد من السندات الزرق في موجة من البيع دفعت الاسعار الى ادنى الدركات.

وفي الاولى بعد الظهر بلغ التأخر في التلغراف ٥٨ دقيقة، وازداد البيع الحاحاً كلما تقدم النهار، فتداولت الايدي في الساعة الاخيرة نحو ثلاثة ملايين سهم. وفي الظروف الطبيعية بعيداً عن الاجواء الحاضرة، يعتبر هذا من الارقام الجيدة بالنسبة الى يوم واحد.

ولما ضرب كراوفورد ضربة الاقفال على جرسه القرصي، بلغ الرقم الاجمالي للاسهم المتداولة ٩،٢١٢،٨٠٠، وهو ادنى قليلا من رقم "الخميس الاسود". فالفارق بين الفترتين ان هبوط الاسعار جاء اشد قساوة هذه المرة، اذ هبط المؤشر الموحد في جريدة "النيويورك تايمس" ٣٩ علامة، وهو حدّ لم يعرفه تاريخ البورصة.

وبلغ انهيار السندات في النهاية ١٤ مليار دولار.

وانهمك المحرر المالي في "النيويورك تايمس" في وضع الصيغة النهائية لسلسلة احداث النهار في مكتبه المشرف على "تايمس سكوار" فعزا "الانحدار" الى عوامل مختلفة، منها غياب الدعم الكافي واستنفاد الاحتياط، "ومنها البيع الذي صدر عن عدد وافر من مالكي الاسهم المتخوفين، ومنها اخيراً بعث موجة الذعر التي اكتسحت الاسواق في الاسبوع الماضي".

ونجا جيسي ليفرمور بريشه مرة اخرى من دون ان يتكبد خسارة

كبرى. وانكب هو وموظفوه على تحليل جديد للاوضاع، فوجدوا في الارقام ما يدل على ان السوق استنزفت "مرونتها" وهذا امر يدعو الى الشؤم. ووجدوا دليلا آخر اكثر شؤماً هو ان الضرر في غالبيته حصل في اللحظات الاخيرة من عمليات التبادل. وهذا يشير الى اسوأ العواقب في اليوم التالي.

يوم الكارثة

في التاسعة صباحاً غطى رذاذ المطر المنطقة بحجاب قاتم. لكنه لم يوهن عزيمة جيسي ليفرمور الخلاقة. فهو قضى معظم ليله يتأهب للعودة الى الهجوم، يدعمه فريق من الموظفين اضناهم التعب وتملكتهم الحماسة في آن.

وداخل ردهة البورصة تبدل مسار العمل على نحو مثير حول مركز عمليات "الراديو" منذ تسلم ادارته مايك ميهان وفريقه. ووصل هذا الايرلندي الموهوب والغريب الاطوار لابساً بذلة انيقة ذات لون ازرق قاتم، يتلاءم معها لمعان حذائه. فكان "في مظهره هذا، يوحي بأحدى صورتين: أما صورة صاحب ثروة طائلة واما صورة متأهب لحضور جنازة".

وعلا الضجيج في صحن الردهة قبل ان يرفع كراوفورد مطرقته، وتحول تدريجاً الى "نباح" ضاع فيه طنين الضربة الافتتاحية على الجرس القرصي..

وتعالى الصراخ من كل جهة:
"عشرون الفاً بسعر السوق"
"ثلاثون الفاً. بيعوا!"
خمسون الفاً. بيعوا بسعر السوق!"
وأجفلت ضربات المطارق اللواء اوليفر بريدجمان، الاختصاصي في شركة "يو.اس.ستيل" التي لحقها التهشيم في هذه المعركة، فتدهورت على نحو مفجع في ختام نهار البارحة وخسر سهمها ١٨٦ دولاراً بسبب هبوط اسعار ٦٥٠ الف سهم في الدقائق الثلاث الاولى من البيع. وولد هذا الانهيار ذعراً مروعاً. وراح الناس يشتمون ويتلاطمون ويضربون بعضهم بعضاً، فالتجأ بريدجمان الى المركز ٢ يحتمي داخله.

وحاول احد السعاة ان يشق طريقه بين الحشود المتراصة فوجد نفسه فجأة مرفوعاً فوق الارض ومحمولا بشعر رأسه، بينما الرجل الذي قبض عليه يقول صارخاً: "لقد خسرت كل شيء! لقد خسرت كل شيء!". وتمكن الشاب المذعور من النجاة بعد جهد تاركاً في قبضة الذي يمسك به خصلا من شعره، وأدار الساعي ظهره للبورصة من غير رجعة.

ترك الساعي وراءه مسرحاً من الجنون المتصاعد بعد ان تناول التدهور كتلا ضخمة من الاسهم في مراكز البورصة السبعة عشر، وبعد ان وضح تدريجاً ان هذا "سيكون النهار الذي تتم فيه مجزرة اصحاب الملايين".

لم ينس وليم كراوفورد ابداً كيف هام في البورصة يتلاطمه هذا التيار البشري الهائج. وتذكر الناس "وهم يصرخون ويزأرون ويغرزون انيابهم بعضهم في رقاب بعض، كأنهم زمرة من الوحوش المفترسة".

وفي المركز ٦ انهال موظفان بالسياط يضربان بها واحدهما الآخر، كأنهما فقدا في هذا الظرف حاسة الشعور بالالم. فاسرع الاختصاصي

في شركة "جنرال الكتريك" يفصل بينهما، ثم عاد الى ساحة القتال حيث راح ينظر بلوعة الى اسهمه وهي تنهار بمعدل دولار واحد كل عشر ثوان خلال الدقائق الست من بداية السوق.

أما في المركز ١٥، المخصص لشركات أكثر ضخامة، فقد انهالت الضربات على "وستنغهاوس" التي تدهورت اسعار اسهمها بمعدل دولارين في الدقيقة الواحدة، منذ لحظة الافتتاح حتى العاشرة والربع، وعند الظهر تخسر الشركة حتماً كل قيمة لها اذا ظلت سالكة الطريق. وبلغ عدد الاسهم المتداولة في ٣٠ دقيقة ٣،٢٥٩،٨٠٠ وتجاوز مجموع الخسائر الملياري دولار.

وفي السابعة والنصف بتوقيت سان فرنسيسكو ارغم جانيني نفسه على الاقرار بأن احلامه تحطمت. واقتنع بأن شركته "ترانس اميركا"، التي تمتعت بمناعة من العسير انتهاكها. تغرق بمعدل ٤،٥٠ دولاراً بالسهم وتعرض نفسها للبيع بسعر ٢٠،٢٥ فلا تجد من يشتري.

الخطوط الهاتفية مشغولة باستمرار عند جيسي ليفرمور. ويحاول موظفوه تتبع مجرى الاحداث في وول ستريت وغيرها من المناطق البعيدة، ودار ليفرمور على ذاته داخل مكتبه "كأنه واحد من الدراويش" على حد قول احد موظفيه، وهو يغزو السوق بطلباته المتلاحقة تارة للبيع وطوراً للشراء.

وظل شبح الذعر مهيمناً منذ الصباح حتى الفترات الاولى من بعد الظهر. الحديد والفحم والقطارات والسيارات - هذه كلها وغيرها من عمالقة الصناعة - قصمت قصماً. وذرف الناس دموعاً سخية في صحن البورصة، والتجأ بعضهم الى الصلاة فسجدوا على الارض في تضرعات مرتجلة. وانتقل كثيرون الى كنيسة الثالوث الاقدس القريبة فغصت بهم لما دقت ساعة الخدمة الالهية ظهراً، وظلت تعج بهم حتى نهاية النهار.

وفي الاولى بعد الظهر ارتفعت ارقام البيع الجنوني الى ١٢،٦٥٤،٠٠٠ سهم.

وقبيل الساعة الثانية عزم كرمت بتيت اخيراً على اتخاذ خطوته النهائية. فقصد الى مكتب رئيس المصرف "واين تشابمان"، وطلب الاختلاء به. فقاده هذا الى غرفة مجلس الادارة حيث عقدت اجتماعات "عصبة الافندية" خلال اشهر طويلة لوضع مخططات عملياتهم. وبدأ بتيت اعترافه. وما ان لفظ كلمة "اختلاس" حتى اوقفه تشابمان وخرج حالا الى ردهة المصرف فأنجز بسرعة اعمال الزبائن القلائل وأقفل الابواب. ووقف متجهماً في رواق المصرف الكبير وامر جميع الذين لهم يد في الاختلاس ان يتوجهوا الى مجلس الادارة. ثم انضم الى بتيت وجلسا معاً يراقبان الباب المغلق في صمت رهيب.

وقرع هارولد مور الباب متردداً ثم دخل شاحب الوجه. وتبعه قرع آخر تلاه دخول تشارلز تايلور واريك طومسون، ولحق بهما جمع مؤلف من ثمانية امناء صندوق. ودخل الغرفة روجر مايز وابوت بريد من دون ان يقرعا الباب. وظل المختلسون في حال انتظار صامت ومتوتر. وأخيراً قرع الباب وظهر على عتبته جون تشابمان، ابن الرئيس وأمين

الصندوق في المصرف والخليفة المنتظر لابيه. وفغر تشابمان الاب فاهه وهتف: "حتى انت يا جون؟" فطأطأ هذا رأسه واغرورقت عيناه بالدموع.

اما الاموال التي اختلسها هؤلاء من مصرفهم فبلغت ٣،٥٩٢،٠٠٠ دولار.

وفي الخامسة والدقيقة الثانية والثلاثين سجلت اجهزة التلغراف، في بلاد خدرتها البورصة، التسعيرة الاخيرة. وختم العامل الميكانيكي شريطه بالنص الآتي: "بلغ مجموع المبادلات اليوم ١٦،٣٨٣،٧٠٠ سهم. تصبحون على خير".

مثلت هذه الملايين خسارة تقدر بعشرة مليارات دولار في بورصة نيويورك وحدها. في ذاك الوقت كان هذا المبلغ يوازي ضعف الكتلة النقدية المتداولة في البلاد كلها.

اما الخسارة الكلية خلال هذه المرحلة الجنونية التي هزت السوق المالية فيمكن تقديرها بمبلغ صاعق تعدى الـ٧٤ مليار دولار.

ذيول الكارثة

بلغ عدد المتضررين من الانهيار مليون امريكي في اقل تعديل، وهناك من يرفع هذا العدد الى ثلاثة ملايين، تكبد قسم منهم اضراراً فورية مباشرة وضرب قسم آخر ضربة قاضية افقدته كل ما يملك.

وشهدت الاسابيع التالية تدهوراً مستمراً في انتاج الحديد وصناعة السيارات وفي حمولات الشحن. وعملت الحكومة على اعادة الثقة الى النفوس. فأصدرت مرسوماً بتخفيف ضريبة الدخل، فجاءت بادرتها موضوع سخرية. فالرجل الذي يعول زوجته، مثلاً، بدخل سنوي يبلغ اربعة آلاف دولار لحقته منحة ٣،٧٥ دولارات. ورفعت الحكومة موازنة الاشغال العامة الى ٧٠٠ مليون دولار لسنة ١٩٣٠، فعجزت هذه الموازنة عن كبح تزايد جيش العاطلين عن العمل.

ومع ذلك اصر اركان البورصة على التصرف كأن امراً لم يحدث فطلبوا من وليم كراوفورد ان يعد العدة لاضخم وأصخب حفلة تمكن اقامتها عشية رأس السنة، الثلثاء ٣١ ديسمبر (كانون الاول).

صباح ذلك النهار ذهب كراوفورد بنفسه، قبل افتتاح البورصة، يراقب الاعمال الجارية لاقامة منصة الفرقة الموسيقية في صدر الردهة. وفي الواحدة والنصف بعد الظهر اعتلت المنصة الفرقة التابعة لفوج المشاة ٣٦٩ في الجيش، واخذت تعزف الحاناً شعبية ومختارات رائجة من صميم العشرينات الصاخبة. وتطايرت في بهو البورصة آلاف القصاصات الورقية الملونة.

وبدت التكهنات حول السنة الجديدة براقة، والسوق اظهرت اشارات صعود اكيد. وفي واشنطن اعلنت وزارة العمل ان ١٩٣٠ ستكون "سنة رائعة يتم فيها القضاء التام على البطالة".

وانتهت حفلة تلك الليلة من دون ان ينتهي عهد الاوهام. ففي ١٩٣٠ لمس الناس تمرساً في الكساد ليس هناك من هو قادر على استئصاله. وعزم جون راسكوب على تشييد بناء "امباير ستايت بلدينغ" ليكون رمزاً للامل في زمن مضطرب قاتم. وهلل الناس ابتهاجاً لما شاهدوا ٥٧ الف

طن من الهياكل الحديد وهي تستوي منتصبة خلال ٢٣ اسبوعاً من العمل، اي قبل الموعد المضروب باثني عشر يوماً، فسجل بذلك رقماً قياسياً هو الاول في سلسلة من الارقام اللاحقة التي ستتحطم في عالم البناء. وازداد تهليل الناس وابتهاجهم عندما انصرف ما يزيد على ثلاثة آلاف عامل الى رفع البناء، طابقاً فوق طابق، بمعدل ٤،٥ طوابق في الاسبوع.

وفي الاول من مايو (ايار) ١٩٣١ احتفل بتدشين البناء رسمياً في رعاية هربرت هوفر، رئيس الولايات المتحدة آنذاك. واعلن راسكوب ان هذا التدشين علامة ظاهرة تشير الى عودة "ايام الخير". لكن العودة طالت من غير ان ينغص هذا التأخير على راسكوب عيشه. ان ما تبقى من ثروته الطائلة وفر له جميع اسباب الرخاء حتى ايامه الاخيرة.

وهشم الانهيار بيلي دورانت على نحو مفجع فقدرت خسائره بأربعين مليوناً على ما جاء في بعض التقارير. وأعلن افلاسه عام ١٩٣٦ مسجلا ديونا بقيمة ٩١٤،٢٣١ دولاراً. اما ممتلكاته فثياب لم تتجاوز قيمتها الـ ٢٥٠ دولاراً.

وثابر جيسي ليفرمور على العمل وجمع المال في سوق مترددة خلال ١٩٣٠. فتدهورت احواله في السنة التالية وبدأ يخسر الى ان تبخر نصف ثروته في نهاية السنة. ثم خسر معظم النصف الثاني في سلسلة من الصفقات التجارية جاءت قصيرة النظر درساً وتخطيطاً. وبدد ليفرمور خلال هاتين السنتين ثلاثين مليوناً، حسب التخمينات. وفي ٤ مارس (آذار) ١٩٣٤ اعلن افلاسه بدوره، فبلغت ديونه ٢،٢٥٩،٢١٢ دولاراً وممتلكاته، ومعظمها مشكوك فيه، ١٨٤ الف دولار.

وذات يوم من ايام الخريف، بعد ست سنوات من الافلاس، قصد ليفرمور الى مقهى فندق "شيري نذرلاند" حيث ابتلع قدحين من المارتيني. ثم تناول قلماً وورقة كتب عليها بخط عريض: "حياتي مخفقة! حياتي مخفقة!" ونهض عن كرسيه المرتفع وتوجه نحو مرحاض الرجال فتناول مسدساً من جيبه وصوبه الى جبهته وأطلق الرصاص منتحراً في الثالثة والستين من عمره (★).

ويروى عن مايكل ميهان انه، في اشد ساعات ازمة الانهيار، صرح الى احد زملائه مداعباً: "يبدو اني على عتبة الافلاس. ما رأيك لو وهبنا جميع موظفي المكتب منحة اسبوعي عمل لاثبات هذ الافلاس". وهكذا كان، فتعززت بذلك حيوية شخصيته الايرلندية الشهيرة. وكلفه الانهيار غالياً من دون ان يدري احد ما هي القيمة بالضبط، اذ انها بلغت "عشرات الملايين" كما جاء على لسان ابنه وليم.

وأصبح "بنك اوف امريكا"، الارث الذي تركه جيانيني، من اضخم المصارف في العالم. وواظبت ابنته كلار، بعد وفاته عام ١٩٤٨ عن ٧٩

(★) خلافاً للاشاعات لم تتفاقم حوادث الانتحار في اعقاب الكارثة. وتشير ارقام شركات التأمين الى ارتفاع طفيف في المعدل المرتقب لهذه الحوادث. الا ان العديد من اصحاب الاسهم وضعوا حداً لحياتهم بسبب الكارثة.

سنة، على العمل الفعلي فيه. وهي لا تزال حتى اليوم تقصد الى مكتبها فيه بانتظام فتبدو، وهي في الخامسة والسبعين، سيدة جذابة او فخورة بوالدها.

اما جوزف كينيدي فقد خرج من ازمة الانهيار سالماً، فأمن لنفسه ولعائلته مستقبلا باهراً. وفي ١٩٣٠ وما بعدها من السنوات وسع ثروته على اثر سلسلة من الصفقات الجريئة والخالية غالباً من الشفقة. انه عرف كيف يختار الصفقات الرابحة التي فرضتها ازمة الكساد. وفي يوليو (تموز) ١٩٣٤ عين كينيدى رئيساً للجنة المبادلات القائمة حديثاً، فساهم وجوده في وضع حد للتلاعب والمناورات في البورصة وتعزيز القوانين الجديدة المتعلقة باصدار السندات. وفي ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩، اسلم جو كينيدي روحه وسط عائلته، مدركاً انه ترك سلالة حاكمة في عالم السياسة. وكان آنذاك في الحادية والثمانين.

الشرارة الاولى

ترددت اصداء الانهيار في العالم، فسببت لالمانيا تدهوراً سريعاً في الازمة الاقتصادية المتخبطة فيها، وارتفع عدد العاطلين عن العمل الى مليونين في نهاية نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٩. ودخل ادولف هتلر الساحة الالمانية التي شهدت فراغاً شبه كامل في الحقول السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ووعد الشعب بأنه سيجعل من المانيا دولة قوية مكتفية. وعدهم، ببسيط الكلام، بأنه لن يسمح مرة اخرى لانهيار خارجي بأن يؤثر على شؤون بلادهم الداخلية. فتلقى الالمان وعوده بلهفة، وامتدت شعبيته وتفاقمت سطوته. هكذا مهد الانهيار في امريكا السبيل الى الحرب العالمية الثانيةعلى نحو غير مباشر.

وهز الانهيار بورصة لندن التي كانت لا تزال تعاني ذيول فضيحة هاتري. وكانت لندن من اضخم الاسواق بالنسبة الى الاسهم الامريكية. فجاءت نتيجة الانهيار فيها تعلن ارتخاء سريعاً في قيمة الاسهم وارتفاعاً في الفوائد على القروض وفرض شروط اقسى على الاعتمادات. وفي نهاية السنة بدأ النشاط التجاري انحداره نحو ما هو معروف بـ "السقوط".

وأنقذ رجال الحكم البريطاني في الهند ما استطاعوا من استثماراتهم المالية في وول ستريت، فحولوها الى بورصة شنغهاي.

وكانت اوستراليا، كالولايات المتحدة، تتمتع بازدهار ساعد على انتشاره اكتشاف منجم الفضة والرصاص في جبل ايسا عام ١٩٣٢. لكن الحكومات الاوسترالية المتعاقبة تصرفت بطيش على مثال المضاربين في وول ستريت، فاستلفت ما استطاعت من الاموال طمعاً بارباح يلوح بها المستقبل. الا ان الانهيار قصف هذه الاحلام. وكان اقتصاد البلاد يعتمد على قروض تأتيها عبر البحار، وعلى التصدير. فالقروض والتصدير هبطت على نحو ساحق في الجزء الاخير من ١٩٢٩. وحل سقوط الاسعار العالمية للقمح والصوف كالكارثة على اوستراليا، فغرقت في نوع من الكساد الخاص بها.

واحتاجت كندا الى التصدير كي تبقى حية، غير ان القدرة على الشراء تضاءلت في الدول الاوروبية، باستثناء فرنسا حيث تلقت البورصة الفرنسية رساميل عائمة خسرتها وول ستريت. وأقفل الانهيار في وجه كندا ابواب الاسواق الامريكية القريبة والمربحة. فأطلت على كندا تلك الايام المعروفة بـ "ثلاثينات الجوع".

لماذا حدث هذا الانهيار؟

تحدث الناس طويلا عن البورصة ووجهوا اليها اصابع الاتهام. قالوا انها الوكر الانسب لجماعات المقامرين وانها ابرز الامثلة العصرية عن الضغط النفسي على الجماهير البشرية واستغلالها، وأخيراً انها ثمرة مرحلة معينة من التاريخ، فريدة من نوعها ومعروفة بالعشرينات الصاخبة.

ووجه الناس انتقاداتهم كذلك الى مجلس الاحتياط الاتحادي، يتهمونه بأنه هو الذي زج البلاد في الكارثة، عندما خفض معدل الفائدة وسهل عمليات التسليف في اواسط ١٩٢٨. والجميع يتفقون على القول ان هذا المجلس فقد فرصته الذهبية لمنع "الانهيار" يوم اصدر قرار الانذار والمطالبة بخفض كميات السيولة المخصصة للمضاربات من دون ان يرفق قراره هذا بمواقف عملية فعالة. فواصلت التصرفات الشاذة طريقها في غياب المراقبة اللازمة.

وانحى خبراء البورصة باللائمة على عاتق بعض الافراد او بعض الاحداث الفردية. فوجهوا اللوم الى ميتشل لانه لم يتقيد بموقف مجلس الاحتياط الاتحادي في مارس (آذار) ١٩٢٩، فجعل المال في متناول الناس في وقت كان المجلس يطالب بالحد منه. ولاموا ايضاً الرئيس هوفر، وكلارنس هاتري، وعمليات التجمع التجاري، والمراهنات على اسعار الاسهم، والبيع بالسعر المخفض، وأخيراً وسائل الاعلام.

ويستحيل حقاً استفراد اي انسان او حدث معين واتهامه بأنه كان السبب الوحيد لـ"الانهيار" الشهير.

هل يعقل ان يتكرر "الانهيار" يوماً؟

اذا حدث ذلك فلن يكون للاسباب ذاتها. فمن النتائج المباشرة للانهيار في وول ستريت اقرار مجموعة كبرى من القوانين لضبط زمام الامور وأقفال الابواب في وجه الاخطار والمفاجآت ولكن من السذاجة ايضاً تجاهل امكان حدوث عوامل ومناسبات جديدة تتجمع فتسبب انهياراً آخر.

ونجد في وول ستريت نفسها فريقاً من الخبراء المتمرسين الذين يؤكدون تأكيداً لا تردد فيه ان انهياراً ثانياً آت حتماً، كما نجد فريقاً آخر منهم يتمتعون بالمكانة ذاتها ويعتبرون ان الحديث عن انهيار آخر انما هو وليد تكهنات مغرضة. انهم يؤمنون بامريكا وبأن السوق مشرفة على "اضخم واقوى ازدهار اقتصادي في التاريخ".

ان المقلق في هذا الكلام هو انه دار على الالسن في زمن سابق، عشية اليوم الذي تفجر كل شيء... يوم الكارثة.

■ **غوردون توماس**
وماكس مورغان ــ ويتس



ابو ظبي
عدن
عمان
انقره
بغداد
البحرين
بنغازي
القاهرة
الظهران
الدوحة
دبي
جدة
الخرطوم
الكويت
لرنكا
مسقط
رأس الخيمة
اثينا
كوبنهاغن
فرانكفورت
جنيف
اسطنبول
لندن
مدريد
ميلانو
باريس
روما
زوريخ
بيروت
ابيدجان
كوتونو
لاغوس
مونروفيا
تونس
في جدول
رحلاتنا الحالي
يمكنكم أن
تجدوا الرحلة المناسبة
وموعد السفر الملائم
تؤمن شركة طيران الشرق الأوسط
اوسع خيار من الرحلات انطلاقاً
من بيروت الى ٣٢ مدينة في اوروبا -
الشرق الاوسط وافريقيا.
أن شركة طيران الشرق الاوسط
التي تتمتع بـ ٣٤ سنة من الخبرة
تؤمن لكم جدول رحلات دقيق يضمن
راحتكم ويلائم أعمالكم.
MEA



تأملات معاصرة

الخير والشر

حتى وان كان هناك اشرار في مكان ما يرتكبون آثامهم بغدر وبات ضروريا عزلهم عن سائر الناس وافناؤهم، فان الخط الفاصل بين الخير والشر سيحتل ركناً من قلب كل كائن بشري. ومن ذا الذي يقدر على تدمير جزء من قلبه؟

الكسندر سولجينتسين: كتاب "ارخبيل الغولاغ"

تقدير المعرفة

مرة نظر ابي الى واحد من كتبي المحشوة بالمعلومات وسألني: "اسحق، كيف تعلمت هذا كله؟"

- بفضلك يا ابي.

- بفضلي؟ اني لا افقه شيئا من هذا.

- لا داعي الى ذلك يا ابي. انك قدرت المعرفة وعلمتني ان اقدرها. وكل ما عدا ذلك جاء بيسر.

اسحق عظيموف: كتاب "طفولة ذاكرة"

اصنعوا هذا لذكري...

سياتي يوم يرقد جسدي فوق فرشة بيضاء طويت بعناية بين زوايا السرير الاربع في مستشفى مليء برائحة الولادة والموت. وفي لحظة ما سيعلن الطبيب ان دماغي توقف عن العمل وان حياتي انتهت.

فمتى حل ذلك، لا تحاولوا بث روح اصطناعية في جسدي ولا تستخدموا الآلات. ولا تسموا هذا فراش الموت، بل ليكن فراش الحياة. وتعالوا خذوا من جسدي لكي ينعم الآخرون بحياة اكمل.

امنحوا عيني لمن لم ير في حياته شروق الشمس او وجه طفل او الحب في عيني امرأة. وهبوا قلبي لمن لم يحظ من قلبه بغير ايام الالم الدائم. واعطوا دمي لمراهق انتزع من حطام سيارته لعله يعيش حتى يرى احفاده يمرحون. وأهدوا كليتي الى من يعتمد آلة تساعده على الاستمرار من يوم الى يوم. وخذوا عظامي وكل عضلة ونسيج وعصب في جسمي، وابحثوا عن وسيلة تجعل طفلا مشلولا يسير.

استكشفوا كل زاوية في دماغي وخذوا كل خلية، اذا اقتضى الامر، ودعوها تنمو لعلها تساعد يوما ما صبيا اخرس على الصراخ عند ركل الكرة، او فتاة صماء على سماع صوت المطر يرشق نافذتها.

واحرقوا ما يتبقى مني وذروا الرماد في الهواء لكي اعين الورود على النمو.

واذا كان لا بد من دفن شيء، فادفنوا خطاياي وضعفي وكل احقادي ضد اخوتي البشر. واعطوا آثامي للشيطان وروحي لله.

وان رغبتم، عرضا، ان تتذكروني، فتذكروني بعمل طيب او كلمة رقيقة لمن يحتاج اليها. فاذا فعلتم كل ما طلبت، فسأبقى حيا الى الابد.

روبرت ن. تست



اوميغا المدينة صورت في كورفور ستاندام ببرلين

اوميغا المدينة . من اليسار الى اليمين : BA 591-0022, BA 591.0023 BA 591-0029 اجزاء الثلاثة الداخلية من الكوارتز ، عيارها ١٨ قيراطا . ذهبية ، ياقوتية بلورية نماذجها مسجلة

اشتريها من وكيل اوميغا الرسمي فقط ، واطلب منه شهادة الكفالة الرسمية .

